



صمد بهرمتي

خوشه
واللف خوشه

ترجمة وتقديم : د . ماجدة العناني
مراجعة : د . إبراهيم الدسوقي شتا

• قصص عن الفارسية مباشرة



21

المشروع القومي للترجمة

اهداءات ١٩٩٩
المجلس الاعلى للثقافة
ج.٥.٤

صمد بهرنجی

خوخة وألف خوخة

وقصص أخرى

ترجمتها عن الفارسية وقدمت لها

د. ماجدة العنانة،

راجعها

د. إبراهيم الدسوقي شتا



۱۹۹۷

هـذا الكتاب

ترجمة لقصة يك هلو وهزار هلو

وقصص أخرى للكاتب الإيراني

صمد بهمن رنجی

من مجموعته القصصية

قصه های بهرنج

تهران - دنیا - ۱۳۵۹ هـ. ش.

۱۹۸۰

إهداء

إلى روح أبى .. رحمة الله عليه
وإلى أمى .. أمد الله فى عمرها
إعترافا بفضل
يبقى أبـد الدهر.
ماجدة

بسم الله الرحمن الرحيم تصدير

غريبة هي حياة ذلك الكاتب الإيراني الشاب صمد بهرنجي (١٩٣٩-١٩٦٨) أولعلها بتعبير أحد الكتاب الإيرانيين المعاصرين " العمل الأعظم من أعماله " . تسعه وعشرون عاما فحسب عاشها هذا الشاب ، مثل ومضة البرق ، لكن على نور هذه الومضة ، وضع الشاب لنفسه موضعا في الأدب القصصي الفارسي المعاصر مع خمسة آخرين ، مات معظمهم في سن الشباب ، وإن كان صمد قد مات في سن أصغر ، إلا أن المرء لا يكاد يصدق أنه في خلال إحدى عشرة سنة فحسب منذ أن تخرج من مدرسة إعداد مدرسي الأرياف والمناطق النائية وحتى وفاته ، يمكن لكاتب أن يترك كل هذه الأعمال من قصص للأطفال إلى مقالات نقدية ومترجمات عن أدبه القومي الأدب الآذرى نسبة إلى " آذربيجان " إلى اللغة الفارسية ، إلى نظرات في نظم التعليم ومقررات الدراسة ، وكلها على مستوى واحد من الجودة والدقة ، وسيادة روح التغيير والحماس ، ووضوح الهدف والإتجاه إليه مباشرة . إلا أن أهم ما يتميز من أعمال صمد حقيقة تلك المجموعة من القصص التي كتبها للأطفال وعن الأطفال ، ومن خلالها ولج إلى حياة الكبار ومشاكلهم في مرحلة تعد من أعقد مراحل التاريخ الإيراني المعاصر ، ويرغم عمره القصير ، أعتبر واحدا من بناء الفكر الثوري الإيراني المعاصر ، وترجمت مجموعات من قصصه إلى لغات أوروبية عديدة من أهمها الإنجليزية والفرنسية ،

وكتبت عنه دراسات نقدية عديدة، وفازت بعض أفلام الأطفال التي أخذت عن قصته " السمكة السوداء الصغيرة " بجوائز أولى في مهرجانات عالمية لسينما الأطفال ، ويعد الثورة ، ملأ الدنيا وشغل الناس ، وتعرضت أعماله لعاصفة من النقد ، بين إفراط وتفريط ، لكن أحدا لم ينكر أنه مؤسس كتابة القصة للطفل في الأدب الفارسي المعاصر، وأن كل من كتبوا القصة للطفل من بعده إستفادوا منه بشكل أو بآخر.

ومن ثم فقد كانت مفاجأة حقيقية لي يوم أن إطلعت على رسالة الماجستير التي كتبتها الباحثة الدكتورة ماجدة العناني المدرس بكلية الآداب جامعة حلوان عن صمد وقدمت من خلالها ترجمة ست قصص من أشهر قصصه ، ووجدت ترجمة الباحثة ترجمة دقيقة تتميز بحساسية لغوية نادرة ربما كان مصدرها أن الباحثة تمارس أيضا كتابة القصة للطفل ، واقتрحت عليها أن تضم إلي هذه القصص بقية قصص صمد المشهورة ، وبخاصة قصة السمكة السوداء الصغيرة التي كانت قد تركتها على أساس أنها ترجمت من قبل إلى العربية ، غير أنني بمضاهاة الترجمة على النص إكتشفت أن مترجمتها - وربما نقلت ترجمتها عن ترجمة أوربية مشوهة - قد تصرفت كثيرا في النص . وبهمة تحسد عليها قامت الدكتورة ماجدة العناني بإضافة ست قصص أخرى من قصص صمد لتقدم هذه المجموعة الغنية إلى القارئ العربي في ترجمة مشرقة غنية فياضة بالمحبة للطفل ولعالم الطفل ، متعاطفة أشد ما يكون التعاطف مع مشاكل الطفل وآلامه وعالمه الصادق ، وينفس الهممة قدمت لمجموعتها بمقدمة تتناول

بعض الموضوعات التي لم تكن قد تناولتها في رسالتها، وهي عن صمد
والتراث وصمد والقيم الثورية وصمد والرمز. وإنني إذ أقدم هذه
المجموعة أقدم إلى المكتبة العربية كاتبا جديدا كما أقدم لها مترجمة
جديدة واعدة وملتزمة في نفس الوقت تبشر بالكثير وينتظر منها
الكثير. والله من وراء القصد.

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتيا

أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

في ٢٤ مايو سنة ١٩٩٦

مقدمة المترجمة

لست أريد في هذه الصفحات القليلة التي أقدم بها قصص صمد بهرنجي إلى قراء العربية أن أخوض في موضوعات سبق أن بحثتها في رسالتي للماجستير التي تقدمت بها إلى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس ، ونلت بها الدرجة سنة ١٩٨٩ ففيها من التفصيل ما يغنى القارئ الذي يريد الإستزادة عن مكونات شخصية صمد بهرنجي الأدبية والفكرية وملابسات حياته عن أن أعيد هنا ما كتبت ، وأكرر ما أسلفت من قول ، إلا أن هناك بعض النقاط رأيت أنني لم أتطرق إليها ، وإن كنت قد مستها مسافيقا ، فهي في حاجة إلى بسط وزيادة وهي صمد والتراث ، وصمد والقيم الثورية ، وصمد والرمز.

١- صمد والتراث :

كان صمد يكتب قصصه دون أن ينسى لحظة واحدة أنه معلم ، وعلى لسان أحد أبطاله من الأطفال يقول : "رسالة المعلم ، أن يبين حقائق الطبيعة ، ويحارب الخرافات . " الدمية المتحدثة : حوار بين ياشار وبهرام " ، وخلف صمد بهرنجي ، كان هناك تراث خصب من الأدب الفارسي ، وللدب التعليمي فيه شأن وأى شأن^(١) ويرغم ندرة الإشارات الصريحة في قصص صمد إلى أعلام الأدب الفارسي " إشارة إلى سعدى وإلى ابن سينا عن الطاووس في الدمية المتحدثة " إلا أن هناك - في هذه النقطة بالذات - تأثيرات أخرى لم يشر إليها صمد كما سنرى فيما بعد .

(١) Rypka, Jan, History of Iranian Literature , pp. 419- 480
Dordrecht, Holland, 1968

وهناك إشارة عند مولانا جلال الدين الرومي عن أدب الأطفال وما يمكن أن يحتوى عليه من حكم ومعان عميقة :

- كانت سبأ هذه مدينة كبيرة جدا ، إستمع إلى حكايتها كحكاية من حكايات الأطفال .

- إن الأطفال يقصون الحكايات ، وتحتوى حكاياتهم على كثير من الأمثال والعظات .

- إنهم يتحدثون بكثير من الهزل في حكاياتهم ، فداوم البحث عن الكنوز في الخرابات .^(٢)

ويواصل مولانا جلال الدين على مدى أكثر من عشرين بيت في قص حكاية من حكايات الأطفال المشهورة على مستوى التراث الشعبي للعالم الإسلامي . وربما كانت هذه الإشارة المفصلة لمولانا جلال الدين إلى أهمية قصص الأطفال وإلى توحى المعاني المستترة وراءها برغم سذاجتها الظاهرة سببا في إهتمام صمد بمولانا الذى يبدو شديد التأثر به في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول في حديثه عن الطاووس في قصة " اولدوز والدمية المتحدثة " حيث توجد هذه المعاني بشكل شديد التفصيل في أكثر من موضع من مثنوى مولانا جلال الدين ، أكثرها تفصيلا الواردة في الكتاب الخامس :- كان طاووس يقتلع جناحه في واد ، وكان أحد الحكماء قد ذهب هناك للنزهة .

- فقال له : أيها الطاووس ، أمثل هذا الجناح السني ، كيف تقتلعه هكذا من أصله دون توقّف ؟

- وكيف يطاوعك قلبك أن تقتلع هذه الحل وتلقي بها في الوحل ؟

(٢) مثنوى مولانا جلال الدين الرومي - الكتاب الثالث الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة الأبيات . ٢٦٠٣ - ٢٦٠٥

- وكل ريشة منك من عزتها والإعجاب بها ، يضعها الحفاظ في المصاحف .

- وهي مفيدة من أجل التهوية ، ومن ريشك تصنع المراوح (٢)
أما الموضع الثاني فقد ورد في قصة خوخة وألف خوخة عندما تتحدث الخوخة عن تحولها بعد أن يأكلها الإنسان إلى حياة داخل جسده ، ويذكرنا هذا بحديث السيدة التي تنضج حبوب الحمص الواردة في الكتاب الثالث من مثنوى مولانا جلال الدين:
- ويا حبة الحمص ، داومي على الغليان في الإبتلاء ، حتى لا يبقى لك وجود أو ذات.

- وإذا كنت ضاحكة في ذلك البستان ، فأنت الآن زهرة بستان الروح والبص.

- وإذا صرت منفصلة عن بستان الماء والطين ذاك ، فقد تحولت إلى لقمة ، ودخلت إلى عالم الأحياء .

- فتحولي إلى غذاء وقوة وفكر ، لقد كنت عصارة ، فتحولي إلى أسد في الغابات (٣).

أما الموضع الثالث فقد ورد في قصة " اولدوز والدمية المتحدثة " عند حديثه عن بقرة اولدوز التي ذبحت فصار لحمها مرا لمن يكرهون اولدوز حلوا مستساغا لمن يحبونها ، تماما مثل ماء النيل عند مولانا جلال الدين الرومي الذي كان عذبا زلالا على بني اسرائيل دما على آل

(٣) مثنوى مولانا جلال الدين الرومي - الكتاب الخامس الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة الأبيات ٥٣٧-٥٤١ .

(٤) مثنوى مولانا جلال الدين الرومي - الكتاب الثالث الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة الأبيات ٤١٨٤-٤١٨٦ .

فرعون ، وفي الكتاب الرابع من المثنوى تصوير لهذه الحادثة التراثية ، أغلب الظن أن صمد قد إستفاد منه في رسمه لهذه الصورة (٥) ومهما كان يقال عن صمد من أن موقفه من الدين كان سلبيا " وربما روج لهذا اليسار الإيراني التقليدى ومنظمة فدائى خلق التى كانت تعتبر صمد واحدا من مفكرىها وشهدائها " ، نرى أنه من المستحيل أن يتجاهل كاتب إيراني التراث الصوفي الإيراني من قبله، وحتى إن كان يرفضه من منطلق فكرى ، إلا أنه لا يستنكف إستخدام بعض مفرداته ، وتوظيفها لبيان بعض أفكاره ، ولا يمكن أن يكون صمد قد تجاهل في تصويره الحمام الرامى لجيش الملك بالمنجنيق في قصة " الأقرع اللامع بالحمام " حادثة تراثية هامة تتعلق بالطير الأبابل ورميها لجيش أبرهة وقيله عندما جاء لهدم الكعبة ، والواردة في القرآن الكريم وفي التفاسير وفي كافة كتب التراث . كما أن قصة " دومرول ديوانه سر أو دومرول المجنون " قائمة في أساسها على فكرة دينية هي أن حضور الله تعالى يتجلى لأشد البشر إنكارا له ولربوبيته عند الموت وعند حضور ملك الموت ، ففي المأثور الدينى أنه كان يظهر قديما لمن يريد أن يقبض روحه ، وفكرة أخرى تقوم عليها القصة وفحواها أن أشد الناس جرأة وشجاعة إنما يقف أمام الموت مكتوف الأيدي ضعيفا لا يملك حيلة ، ثم فكرة ثالثة : أن أحدا لا يستطيع أن يموت بدلا من أحد حتى ولو كان أمه وأباه . ومن المظنون أن القصة خصوصا فيما يتعلق بذلك الحوار الذى يتوقع فيه البطل على الذات الإلهية في الحديث قد

(٥) مثنوى مولانا جلال الدين الرومى - الكتاب الرابع الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة الأبيات ٣٤٣١-٣٤٤٣ - القاهرة ١٩٩٣ .

يصدم القارئ .. لكن ألم ينقل القرآن الكريم أحاديث الكفار وتوقعهم ؟

ومثلما إستفاد صمد من التراث الفارسي الكلاسي ، فإنه يعد جزءاً لا يتجزأ من تيار الأدب الفارسي المعاصر ، ومن المعروف أنه كان يترجم إلى الأذرية بعض عيون الأدب الفارسي المعاصر للشعراء نياما يوشيع وأحمد شاملو ومهدى أخوان ثالث وفروغ فرخزاد وغيرهم ، ويرى رضا رهگذر (٦) أن قصة السمكة السوداء الصغيرة قد تكون مستلهمة من شعر لمهدى أخوان ثالث يقول فيه :

إنني هنا ضيق الصدر جدا

وكل لحن أسمع ، سيء التردد

فتعال لنحمل زاد الطريق

ولنمض في طريق بلا عودة

ولننظر إلى السماء في كل مكان .. هل هي بنفس اللون ؟

ومن الممكن أن يعتبر صمد واحداً من المدرسة التي بدأها صادق هدايت وطورها جلال آل أحمد وحمل لواءها من بعدهما جماعة من الكتاب الذين كانوا شباناً قبل الثورة : جمال ميرصادقي وغلامحسين ساعدي ومحمود دولت آبادي ، تلك المدرسة التي كانت تنتج أدبا مرتبطاً في لغته وبيئاته وخلفياته ومشاكله بالطبقات الدنيا من الشعب الإيراني .

وكان نقد الشعر من إهتمامات صمد أيضاً . وله مقال قصير ناقش فيه مهمة الشاعر ورسالته وعلاقته بالسياسة وعلاقة الشعر بالاجتمع . ليس الشاعر صحفياً أو موظفاً أو وسيلة تسليية أو نديماً ، والشعر

(٦) رضا رهگذر: نجاهي ديجر به ماهي سياه كوتشولو - في كيهان فرهنگي سال بنجم - ارديبيشت سال ٦٧ ص ٣٦ .

الجيد لا يمكن أن يكتب في موضوعات فاسدة (٧) كما أنه لم يكن يعيش بمنأى عن الحركة الأدبية من حوله ، وينفس أسلوبه الحاد يفتتح مقاله :

نظري به أدبيات امروز : نظرة إلى أدب اليوم " أول كلامي مع جماعة الشعراء والكتاب الأحياء ، ولأترك جانباً الأدباء أصحاب اللحن والشوارب ، فلا شأن لي بهم " (٨) ويقدم نقداً لرائعة غلامحسين ساعدي " عزاداران بيل : القائمون بالعزاء في قرية بيل (٩)

إلى جوار التراث الفارسي ، كان جل اعتماد صمد على تراث آذربيجان ، والواقع أن جوانب عديدة من قصصه تعتمد على هذا التراث وتجليه ، وله كتاب ضخ من أساطير آذربيجان " افسانه های آذربایجان - صمد بهرنجي ويهروز تبریزی - ط ١٣٥٧ هـ ش " قدم صمد ورفيقه في هذا الكتاب تسعا وثلاثين حكاية شعبية آذرية لا يخلو قارئها الجوال عام المشترك بينها وبين القصص التي أبدعها صمد ، ومعظمها يدور حول فكرتين أساسيتين : البطولة والعشق ، ومنهما تنبثق عدة أفكار تدور في فلك الفكرتين الرئيسيتين كالألحان الداخلية المنبثقة من اللحن الرئيسي والتي تدور حوله : الضعيف الذي ينقلب إلى يطل قوى بمعونة قوى أسطورية ، والأميرة التي يخرجها العشاق من جلاها الأرستقراطي المرفه ، والفقراء في صراعهم المتمد

(٧) انظر مقال : شعروا اجتماع في مجموعة مقاله هاتشاب دوم سال ٢٥٣٧ ش .
صص ١٠١-١٠٤ وانظر الترجمة الإنجليزية في :

Critical Perspectives on Modern Persian Literature Edited and
Compiled by Thomas M. Ricks
Three Continents Press PP240-241 First Edition 1984 .

(٨) مجموعة مقاله ها : ص ١٠٥ .

(٩) انظر ترجمتها الإنجليزية في :

Critical Perspectives PP 360-365.

ضد الأغنياء وأكلي الحقوق وأكلة السحت ، والحماثم الوديدة التي تنقلب إلى حماثم مقاتلة إنتصارا للضعفاء ومساعدة لهم ، بل وتتجلى الأنشطة التورانية في سدى القصة الفارسية ولحمتها من تأثير هذا الجوالاذرى الصريف " أسطورة حب " : البشر الذين ينقلبون إلى جياذ ، والحديد الذى تصنع منه السيوف الأسطورية " الحديد أيضا قاسم مشترك أعظم في الأساطير التورانية والترك يسمون أبناءهم دمير وتيمور ومعناها الحديد " كما تشترك الأساطير التركية مع الأساطير الفارسية في أنهما معا يحفلان بوصف الطبيعة التي تتجلى في قصص صمد وتلعب دورا شديدا الأهمية : ليالي الشتاء الطويلة ذات الثلج والتي تزيد أبطاله الفقراء بؤسا فوق بؤس ، والطبيعة القاسية وكيف تتكاتف مع البشر القساة في اضطهاد الضعفاء وصب الوليات فوق رؤوسهم حيث تتجلى براعة صمد في وصف الطبيعة ومنحها دورا في القصة يؤثر في مصائر أبطالها وفي تيار الحدث .

والأساطير التي نقلها صمد عن الآذرية أساطير ذات برنامج وذات هدف - إن صح التعبير - حيث يتداخل الحدث الواقعي مع الحدث الأسطوري ، وكل يؤدي دوره دون أن يطغى على الآخر .. ومن ثم يمكن الفصل بينهما بسهولة ، ومع ذلك فإن هذا التداخل يستهويننا ، إذ نلتقي بعالم صمد الواقعي والأسطوري في إنسجام وتناغم يخفف كثيرا من حدة الجو الكئيب الذى يزج بنا فيه ، حيث يركز عينا على المجتمع بكل تناقضاته وشخصياته الطيبة والشريرة على السواء ، ويقدم جانبا من صراعاتها ، ثم تتدخل القوى الأسطورية في الوقت المناسب لتحدد مسير تطور الحدث بما فيه مصلحة الفقراء ، ويكفي هنا أن أقدم نموذجا واحدا يتمثل في قصة " إبنة الحاج صياد " حيث الإبنة الشابة الفاتنة ، يأتمن عليها أبوها قبل سفره إلى الحج أحد " الملات " الذى يحاول أن يخون الحاج في عرضه ، ثم هروب الفتاة

بشرفها وإنقاذ الملك لها في البرية ، وزواجه منها ، ثم الملا الشرير
الفاسد^(١٠) يرسل إلى أبيها أن ابنته قد فرطت في عفافها وهربت ،
وسعى أخ الفتاة في العثور عليها لقتلها وبعد عدد من المغامرات
تثبت براءة الفتاة أمام أبيها^(١١).

والأبطال الضعاف الذين يخرجون من بين الطبقات الدنيا من
الشعب ولا يتميزون بقوة جسدية خارقة لهم في أعمال صمد شأن
وأى شأن ، وتكمن قوتهم الحقيقية في عقولهم وحسن تصرفهم وسعة
حيلتهم ومواتاة الحظ لهم . وتلفت شخصية الأقرع وهو من أهم
شخصيات الأسطورة الأثرية النظر كما أنه من أهم الشخصيات في
قصص صمد ، وهو في العادة شاب فقير معدم لا يتقن صنعة يعيش في
الغالب مع أمه العجوز ويأكل من كدها ، هو كسول ، لكنه إذا ما
أضطر إلى إطعام نفسه يبدى من العقل والفراسة والذكاء ما يعجز
عنه الأبطال والوزراء والملوك^(١٢) . وعندما يعيد صمد صياغة صورة
البطل الشعبي " كور اوغلو " ومعناها الحر في ابن الأعمى والبطل
الشعبي كتشل حمزه " حمزه الأقرع " في قصة تحمل نفس العنوان في
مجموعته القصصية الرئيسية " قصة هاي بهرنج " تنبئ إلى أي حد
إستطاع أن يستفيد من القصص الشعبي في تصوير مجتمعه المعاصر
وبيان أفكار جديدة وتعاليم جديدة وقيم جديدة ، لكنه يظل يتغنى

(١٠) وهو شخصية نمطية في الأدب الفارسي القصص المعاصر . أنظر : إبراهيم
الدسوقي شتا : مطالعات في الرواية الفارسية ، غلامحسين سامعي الخوف
والرعدة " ترس ولرز " حيث يصور الشيطان في صورة ملا .

(١١) (بخترا حاجي صياد في افسانه هاي آذربايجان صص ١٣ - ٢١ .

(١٢) كلها تمثلة في قصة الأقرع اللامب بالحمام من قصص هذه المجموعه وفي
أسطورة كتشل مع سياه التي نقلها في افسانه هاي آذربايجان صص ٣٠٥ - ٣٢٥ .

بالضعفاء وما يستملعه الضعفاء ، وأن النصر في النهاية لهم ، هذا ما كان يقصده صمد بهرنجي في كل أعماله .

٢- صمد والقيم الثورية :

لكي نعرف مكانة القيم الثورية في قصص صمد ودورها في يقظة الشعب الإيراني ، علينا أن نضع في الحسبان أن الجيل الذي كان يقرأ هذه القصص في الستينيات هو نفس الجيل الذي أدركه العام الدامي للثورة " ٧٨/٧٩ " شابا وشارك فيه مشاركة فعالة . وفي كل كتابات صمد ، هناك إحساس شديد بمدى ما تفعله الطبقة في المجتمع الإيراني ، وأبطاله في الأغلب مقهورون ينزل عليهم القهر من كل مكان ، إنهم في داخل البيت تحت سيطرة زوجة الأب القاسية ، وفي المجتمع تحت سيطرة الأغنياء وأرباب الذهب والقوة ، والحكام والشرطة ، الأب في الغالب مهاجر إلى العاصمة في سبيل لقمة العيش ، والصبي يتحمل في سن صغيرة مسؤولية البيت ، يحلم أبطاله جميعا بالعيش الرغد وهم يعيشون في حضيض المجتمع " أربع وعشرون ساعة من القلق " ، ويتحملون من الصغر مسؤولية الإنفاق على الأسرة " الصبي بائع البنجر المسلوق ، الأقرع اللاعب بالحصان - أربع وعشرون ساعة من القلق - خوذة وألف خوذة " . ومما عمق هذا الإحساس بالدونية ومعاناة الإضطهاد أن صمد نفسه كان ينتمي إلى آذربيجان ، يضطر إلى استخدام لغة ليست لغته الأم " التركية الآذرية " كل هذا مع إحساسه بغنى منطقتة وبالدور الذي لعبته في تاريخ إيران المعاصر (١٣) وغنى تراثها ، يحس أنها منطقة على الهامش ، مما عمق في قصصه هذا الإحساس بالإحباط المستمر " قيل أنه كان

(١٣) له مقال عن دور آذربيجان في الثورة الدستورية أنظر مجموعته مقاله ها
صص ٩ - ٣٣ .

يعرض أعماله على بعض الكتاب للنظر في صياغتها الفارسية!!^{١٤} وبالرغم من أن من سمات قصص الأطفال أنها تجرى في غير زمان وفي غير مكان - أو هكذا في أغلبها - إلا أن صمد قدم لنا المجتمع الإيراني قبيل الثورة بكل تناقضاته الطبقيّة وصور الظلم الشائعة فيه والخلل البين في بنياته الاجتماعيّة والإقتصاديّة والفكريّة والسياسيّة ، والمشكلات التي يعانيها أطفال قصصه هي في الغالب من نتاج كل هذه التناقضات الموجودة من حولهم ، وعندما " تُدس " كل هذه الأفكار الكبيرة في قصص " الصغار " تشارك بشكل أو بآخر في خلق وعي مبكر بحركة المجتمع عند الصغار والشباب في سن مبكرة .

وكمعلم في القرى " من سن الثامنة عشرة حتى وفاته في سن التاسعة والعشرين " ، كان صمد على صلة بقاع المجتمع من ناحية ، ومن ناحية أخرى إكتسب هذه الخاصية شديدة الوضوح في قصصه ، وهي أنه في كل قصصه يهدف إلى تعليم شيء، وكانت ثورته على نظام التعليم والمواد الدراسية والحالة المزرية للمدارس والتلاميذ والمعلمين جانباً كبيراً من جوانب نشاطه ، وهو في هذا المجال يلتقي مع كاتبين كبيرين بارزين في عصره : أحدهما مشهور وهو جلال آل أحمد الذي صب كل نقده على النظام التعليمي في روايته المشهورة " مدير المدرسة " ، والثاني أقل شهرة وهو رسول بروينى الذي ضمن مجموعتيه القصصيتين : " لولي سرمست : اللعوب الثملة " و " شلوارهای وصله دار : السراويل المرقعة " سخريّة سوداء من المدارس ونظام التعليم^(١٥) وفي مقدمة قصصه التي ترجمت أغلبها في هذه المجموعة ينص على هدفه التعليمي الثوري " لقد مر الزمان الذي

(١٤) انظر بحث إبراهيم الدسوقي شتا بالفارسية تحت عنوان " بحثى در باره رسول بروينى وآثاروى المنشور فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ٥٩ لسنة ١٩٩٣ .

نجد فيه أدب الأطفال بالدعوة عن طريق النصائح الجافة التي لاشر فيها ، وتلقينها ، ينبغي إثاس الأطفال من العوامل المؤلفة الواهية ضعيفة الأساس ، ثم خلق آمال أخرى على أساس معرفة الواقعيات الإجتماعية وسر مقاومتها ^(١٥) ويقول في موضع آخر " ليس الهدف من القصص هو مجرد التسلية والمتعة ، أنا لأحب أن يقرأ الأطفال قصصي من أجل المتعة والتسلية فحسب ^(١٦) ولم يكن نشاطا صمد قاصرا على التعليم في المدارس ، بل كان يبذل نشاطا ملموسا من أجل التعليم في المناطق القروية والنائية ، يحمل الكتب التي يشتريها من مرتبه الضئيل ويوزعها في قرى آذربيجان ، يدخل محال بيع الكتب ويناقش الناس حول الكتب التي يجب أن يقرأوها .

كان صمد يعاني مثل كل كتاب عصره من الرقابة ، وكان يريد أن يقول الكثير ، لكن الرقابة بالمرصاد ، فما العمل ؟ القصة ، قصة الأطفال ، وبالنسبة لمعلم أطفال لا يستغرب استخدام هذا الأسلوب ^(١٧) وهناك جانبان متميزان في هذا المجلل عند صمد بهرنجي : جانب التنظير الذي ضمنه كتابه " كندكاو در مسائل تربيتي در ايران : بحث في القضايا التربوية في ايران " حيث تحدث في المقام الأول عن السيطرة الأمريكية على عملية وضع المناهج الدراسية في ايران والفجوة الموجودة بين ما يدرسه التلميذ وبين الواقع الذي يعيش فيه ، وهو نفس الموضوع الذي دق عليه جلال آل احمد ورسول پرويزي ،

(١٥) قصة هاي بهرنج - مقدمة - ص ٥ - انتشارات دنيا - طهران ١٣٦٠ هـ ش .

(١٦) من مقال معلم مريم لغلام حسين فرنور في آرش - ١٨ - ١٣٤٧ ص ٦٠ .

(١٧) Brad Hansen , The westoxication of Iran : Deception and Reaction of Behrangl . Ale Ahmad and Ali Shariati

الترجمة الفارسية تحت عنوان " غرب زدگی در ايران از ديده

صمد بهرنجي و جلال آل احمد وعلى شريعتي المنشورة في كتاب

شريعتي در جهان صص ١٣١ - ١٦٦ .

ثم جانب التطبيق من طريق القصص التي تشير كل قصة منها إلى وجوب القيام بثورة تعليمية وتدرسية في المقام الأول ، وأنه لا أمل للجيل الجديد في أى تقدم طالما هو خاضع لهذا النمط من التربية والتعليم في نفس الوقت الذى يعاني فيه من حياة يومية غير إنسانية .

ومن قضايا التربية والتعليم إنتقل صمد إلى نقد النظام القانوني والإجتماعي (١٨)

ويتساءل : أينبغى علينا أن نخبر أطفالنا عن أطفال لم يروا الجبن لشهور وربما لسنوات ؟ أينبغى أن نخبر أطفالنا أن أكثر من نصف سكان العالم من الجوعى وكيف نحد من جوعهم ؟ أينبغى علينا أن نعلم أطفالنا التاريخ على حقيقته ؟ وتقدم المجتمعات البشرية وتقدمها ؟ .

وبالرغم من أن صمد كان يعيش في ظل دولة ملكية ، تكاد عبادة الشاه تكون فيها فكرا مسيطرا ، إلا أن معظم الملوك المصورين في قصصه يصورون بصورة ساخرة " أسطورة المحبة مثلا " ، فلا شخصية مسيطرة ولا مهابة ، وفي الأغلب يكون الشاه ألعوبة في يد وزيره الأكثر غباء ، وتظل الشخصية المتسلطة عادة شخصية ضعيفة مهترئة من الداخل ، تصبح في بعض الأحيان ألعوبة في أيدي الأطفال ، لأنها ببساطة أقل ذكاء وأكثر عبادة للخرافات " اولدوز والغريان " . في نفس الوقت يقدم صمد شخصية الطفل بشكل مختلف ، فهي شخصية ذكية متأمرة جريئة مبادرة ، تصارع عالم الكبار وتنتصر عليه في بعض الأحيان " اولدوز وياشار في الدمية المتحدثة - اولدوز في اولدوز والغريان - الأقرب للاعب بالحمام - أسطورة المحبة -

(18) Sabri Tabrizi , Human Values in The works of two Persian Writers in correspondance d'orient , Acts x1 " 1970 pp411-418

لطيف في أربع وعشرين ساعة من القلق " وهناك نماذج جديدة حقا بالملاحظة والتقدير: تارى وردى الصبي بائع البنجر المسلوق الذى يتصدى لصاحب المصنع دفاعا عن شرف أخته ، ولطيف في أربع وعشرين ساعة من القلق الذى برغم إحساسه بالدونية تجاه الأغنياء ، إلا أنه يتحرش بهم ، وكان مستعدا حتى للقتل في سبيل ما يراه حقا له . وتثير النقطة الأخيرة بالذات سؤالاً مهما هو: هل كان صمد يؤمن بالعنف كوسيلة لتغيير المجتمع ؟

الواقع أننا لا نلتقي في قصص أطفال بسمكة تدافع عن نفسها بخنجر " السمكة السوداء الصغيرة " وبغراب يبرر السرقة ولا يرى أنها حرام " اولدوز والغريان " ويحمائم مقاتلة " الأقرع اللاعب بالحمام " ويماعز تنتج المنجنيق " الأقرع اللاعب بالحمام " وبطفل يتمنى لو كان يملك مدفعا رشاشا ليحول دون بيع لعبة تعلق بها قلبه " أربع وعشرون ساعة من القلق " اللهم إلا في قصص صمد ، ويمكن تفهم هذا الاتجاه إلى العنف في إطار الروح التي كانت سائدة في إيران في ستينيات هذا القرن، والإحباط العام واليأس الكامل من جدوى التغيير السلمي ، وإلى أن صمد في رفضه للنمط السائد من قصص الأطفال كان قد سار إلى نهاية الشوط ، فضلا عن أن النمط السائد في القصص الشعبي الأذرى كان نمط تمجيد القوة والشجاعة والروح القتالية وخوارق الأمور التي تجرى أيضا على أيدي الأطفال ، وهو ما لا يفصله عن العنف سوى خط واه ، وكان هذا التراث الشعبي كما رأينا شديد التأثير على صمد . ويدافع أحد نقاد اليسار عن القيم التي ينشرها صمد عندما هوجم بأنه ينشر قيم الحق والكراهية ، وكان الحق والكراهية ليسا من الأساسيين الإنسانية ، وكان الحب والبغض والصداقة والعداوة مجرد قيم في خيال الإنسان وليس لها ماصدقات خارجية ، إنهم يعلموننا أن بني آدم أعضاء جسد واحد وأسألوهم

أى بنى آدم مع أى بنى آدم أعضاء في جسد واحد ؟ هل الطفل الذى يموت جوعاً عضواً في جسد واحد مع المليونير المتخمس ؟ وإذا كان البشر يصلون في كراهيتهم للبشر إلى حد قتلهم جوعاً ، فعلى من تقع المسؤولية ؟ على كواهل النهابين أو المنهويين ؟ وهل يلزم على أمثال صمد أن يأتوا ويعلموا الأطفال التصوف والزهد ؟ أو كما المسيح يقولون له : من ضريك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ؟ الكراهية التى يعلمها صمد للأطفال " ولولم يعلمها لهم لعلمها الزمان لهم " كراهية إنسانية ، كراهية الشر والأشرار والجبناء ، الحقد والكراهية سلاح استخدمته السمكة السوداء في مواجهة السرطان ، وإلا كان قد ابتلعها . (١١)

هذا العنف يقابله عند الأبطال إحساس عظيم بحب التضحية ، ورغبة في المعرفة والإكتشاف " السمكة السوداء الصغيرة " (٢٠) ويظل الأمل في انتصار الثورة موجوداً ، فلا إحباط ولا يأس ، ومع كل الجوع الأسود الذى يصوره بصراحة ووضوح " وحتى دون رحمة بالقارئ " وبإخلاص شديد للصدق الفني ، وكأنه كان يتمثل قول معاصرتة العظيمة الشاعرة فروغ فرخزاد " لا أمر على الحواري التى تفوح برائحة البول في تهران ثم تطالبوني بوصف العطور " ، يظل صمد على أمله في المصير النهائي . فلم يكن صمد كاتباً إصلاحياً ، بل كان كاتباً ثورياً ، وكان الكتاب الثوريون أكثر مساهمة في تطوير الأدب وفي التأكيد على دور الكاتب في التغيير ، وكان ثم مصطلحات تملأ المحيط الأدبي : أدب المقاومة وأدب الإستسلام ، شعر الشعب وشعر

(١٩) منوچهر هزارخانى : جهان بينى ماہى سیاہ کوجولو - نشر احیاء تبریز - بدون تاریخ - صص ٨ - ٩ .

(20) The Little Black Fish and other Persian Stories by Samad Behrangi , Tran. by Eric Hoogland and Mary Hagland - P13- Washington , Three continent Press , 1987.

القصر، شعر التعبئة والناس^(٢١) وقد فهم صمد الدور الثوري للكاتب والفنان، وبالطبع عندما كان يكتب عن أطفال القرى النائية المحرومين العراة، لم يكن يكتب عن أطفال محترمين يحبون الملك، كما يعبر صمد عن الضغوط الاقتصادية المتزايدة والضغوط العسكرية لأوريا والولايات المتحدة، في مقدمة قصة اللاعب بالحمام يقول صمد " في المجتمع السليم، ينبغي ألا يوجد أثر للمرض، والإفلاس وقول الزور والكذب والسرقة كلها أمراض، ومن أجل علاج كل هذه الأمراض ينبغي أن نكتشف عللها، إنكم تسألون أنفسكم دائما: لماذا أرسل زميلكم في الدراسة إلى مشاغل السجاد؟ لماذا يسرق بعضهم؟ لماذا توجد الحروب وسفك الدماء هنا وهناك؟ ماذا يؤول إليه حالي بعد الموت؟ وماذا كنت قبل الحياة؟ وما نهاية الحياة؟ ومتى ينتهي الفقر والجوع؟ وهناك آلاف الأسئلة الأخرى ينبغي أن تطرحوها حتى تفهموا المجتمع وأمراضه. واعلموا أيضا أن المجتمع ليس هو الجدران الأربعة لمنزل كل منكم. المجتمع هو كل مكان يعيش فيه مواطنونا، من القرى النائية، حتى المدن الكبيرة والصغيرة، من أزقة القرى المليئة بالطين والروث إلى شوارع المدن النظرة النظيفة، من الأكواخ الضيقة المظلمة المليئة بالذباب للقرويين الفقراء، إلى القصور البانخة لسكان المدن، من أطفال الزراع وناسجي السجاد لابس الأسمال إلى الأطفال الذين يعد أقل طعام لهم الأرض بالدجاج والديكة الرومية والموز والبرتقال، هذا هو المجتمع الذي سيورثه آبائكم لكم، ولا ينبغي أن تسلموه لأولادكم دون أدنى تغيير، بل ينبغي أن تقللوا من المساواة أو أن تقضوا عليها.

(21) Thomas M. Ricks , Samad Behrangi and Contemporary Iran, the Arist in Revolutionary Struggle in Critical Prepectives P363 .

المجتمع أمانة لا يحتفظ بها كما هي^(٢٢) وفي هذا المجال تدور قصص صمد حول محاور ثلاثة :

١- الثقافة المهتزة المتباينة الإتجاهات للشعوب الإيرانية ، والصراع التاريخي بين الأسر الحاكمة والقوى الثورية .

٢- أهمية التعليم والحاجة إلى تفسير العلاقات الداخلية للحضارة والتاريخ بنظرة واقعية للمجتمع وأقل تقليدية .

٣- الحاجة الملحة إلى مقاومة مسلحة لتحقيق مكاسب للناس وليس لمجرد نظرة قيمية .^(٢٣) والثقافة ليست تيارا متقطعا بل يعتمد سابقها على لاحقها ، والهجوم على روافد الحضارة لشعب من الشعوب يعد هجوما على الشعب نفسه ، وهكذا ففي خلال بحثه في المأثور الأثرى الشعبي وعيشه إحدى عشرة سنة متتالية في قاع المجتمع الأثرى إكتشف صمد معنويات هذا الشعب وجاهد في المحافظة على الأسس الثقافية من خلال قصصه وترجماته ، وأرسى أسس تحليل علمي للمجتمع.

والصراع عنصر أساسي من عناصر قصص صمد ، وفي قصة اللاعب بالحمام مثلا يقدم صمد صراعا علنيا بين أقرع فقير وبين أصحاب المصانع ، ومن خلالها يدق على قيمة العمل " يدعو الأميرة نفسها إلى العمل " ويعيد الثروة التي نهبها صاحب المصنع المستغل إلى الفقراء والمحرومين . وفي قصة " الصبي بائع البنجر المسلوق " يقدم صراعا بين صبي نسيج وحده يقف بالمرصاد لصاحب المصنع مضحيا بمصدر رزقه للدفاع عن عرض أخته . وكأنه كان يريد أن يقول لقارئه : إنك مهما كنت وأربع وعشرين ساعة من القلق " حيث تصيح السمكة السوداء الصغيرة " في يوم ما سوف أضطر إلى مواجهة الموت ،

(٢٢) قصة هاني بهرنك : ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(23) Thomas M.Ricks , Samad Berhangi and Cotemporary Iran. P.364

صغيرا وضعيفا وفقيرا إلا أنك تستطيع أن تقاوم وأن تقف وأن تصمد . والقصتان كلتاهما تصوران بشكل مباشر الفروق الرهيبة بين نوعين من الحياة : حياة مرفهة إلى درجة السفه حيث تستغل الأموال المكتسبة من عرق العمال في عقد زيجات المتعة بينما يعيش العمال في مستويات أدنى من مستوى الحيوان ، نفس الصورة التي تتكرر في قصصه "خوخة وألف خوخة" والسمة السوداء الصغيرة لكن هذا لا يهم ، المهم هو تأثير حياتي أو موتي في حياة الآخرين " (٢٤) . ومن خلال تعبيرات بسيطة جدا يقدم صمد آراء لا تخفى على القارئ الفطن الخبير بتاريخ ايران ، ومن خلال عبارة واحدة في "خوخة وألف خوخة" يقدم رأيه في الإصلاح الزراعي التي جاءت به ثورة الشاه البيضاء ، فالإقطاعي يحتفظ بالأرض الخصبة والبستان النضر لنفسه ، بينما يبيع الأرض البور الجرداء للفلاحين ، وبينما يحرم الفلاحون من ثمار البستان ، تتمنى الخوخة نفسها أن تكون طعاما للصبيين المحرومين اللذين زرعها ، وعندما يموت أحد الصبيين بلدة ثعبان ، ويرحل الآخر تسقط الشجرة ثمارها بنفسها ، ولا تعود تثمر ، نظرة نفادة لما يمكن أن يؤدي إليه الظلم من خراب . وتنتهي قصة "أربع وعشرون ساعة من القلق" بأن يتمنى بطلها لطيف أن لو كان يمتلك مدفعا رشاشا ليحول بين اللعبة التي كان يعشقها ويشاهدها من وراء زجاج المحل وأن تباع إلى طفلة مرفهة ، قد تلعب بها يوما أو بعض يوم ثم تلقي بها في سلة المهملات . وإذا قورنت أعمال صمد ببعض الأعمال الأخرى ذات الطابع الثوري في الأدب الفارسي ، يظل صمد أخطر الكتاب جميعا ، فقد كان يكتب للأطفال بما يمكن أن يحرك الكبار ، وكان يزرع بهذه القصص البسيطة معاني شديدة العمق في نفس الطفل ، كان يقدم للأطفال

(24) Thomas M. Ricks , Samad Behrangi , p 366

أحلاما يكون تعبيرها في مرحلة الشباب ، ومن ثم فقد كان صمد يضحى في كثير من الأحيان بمقاييس فنية في سبيل أن تصل الرسالة ، وكان هو نفسه يفخر بأنه يكتب للمشردين والعراة والجياع وليس لأولئك الأطفال الأنانيين المرفهين السمان ركاب السيارات وداهني شعورهم المعطرين⁽²⁵⁾ ومن هنا يمكن إدراج أدب صمد بهرنجي فيمقدمة ما أطلق عليه "أدب النضال: ادبيات مبارز" تلك التي استمرت أكثر من نصف قرن بداية بهدايت ومرورا بصادق تشويك وجلال آل احمد تعبىء الشباب الإيراني ، وتعدده لليوم الموعود .

٣- صمد والرمز:

من الطبيعي في قصص الأطفال - وبخاصة تلك القصص ذوات البرنامج والهدف المحدد المرسوم - أن تكون قائمة على استخدام الرمز، ومن الطبيعي أيضا أن يكون الرمز في قصص الأطفال واضح الصلة بالرموز له بحيث يصل إلى هدفه مباشرة ، ولا يكدر ذهن الباحث أو الدارس - ناهيك عن المخاطب الحقيقي وهو الطفل - في الوصول إليه . فهل نجح صمد بالفعل في تقديم مجموعة من الرموز يمكن أن تكون مفتاحا إلى العالم الذي أراد أن يقدمه للطفل؟ الواقع أن صمد في رموزه لم يسلك طريقا ثابتا ، ربما لأن النظرة الفانتازية عنده كانت تغلفها واقعية مغلقة محددة بأطر فكرية تحد من إنطلاق الرمز وعموميته من ناحية ووضوحه من ناحية أخرى . وثمة خاصية أخرى في قصص صمد جعلته لا يجيد صنعة الرمز أولغته، وهي أن قصصه وإن كانت للأطفال إلا أنها في الواقع قصص عن الكبار وعن عالمهم ومشاكله والتي تنعكس بدورها على الأطفال .

⁽²⁵⁾ Thomas M. Ricks , Samad Behrangi , p.369

وقد فطن رضا رهگذر إلى هذه المشكلة (٣٦) وفي تحليله لأشهر قصص صمد " السمكة السوداء الصغيرة " فطن إلى أن صمد لم يكن يعرف حدود استخدام الرمز ، فكل مجموعة من النباتات أو الجمادات أو الحيوانات تستطيع أن ترمز لبشر ، فما العلة في اختيار الصلزون رمزا للمفكر المتحرر ؟ ويمكن أن يقال نفس الشيء عن بقية رموزه .. ولماذا تكون السمكة الصغيرة سوداء ؟ لماذا لا تكون حمراء مثلاً ؟ ويمكن الرد على هذه النقطة بالذات . المغامرة كلها قامت بها سمكة سوداء ، وفي آخر القصة كانت الجدة قد أنهت قصتها ، وظلت سمكة حمراء ساهرة ولم تنم .. والرمز هنا شديد الوضوح ، فإذا كان من المتعارف عليه ، وكانت أجهزة الأمن تعرفه ، أن اللون الأسود في أعمال أدباء ما قبل حتى الثورة كان يرمز إلى الجناح الديني من المقاومة ، وأن اللون الأحمر كان يرمز إلى الجناح اليساري (٣٧) ، فإن هدف صمد يكون شديد الوضوح وليس في حاجة إلى تأويل ، وإذا كانت القصة قد ألغت في منتصف الستينيات حيث كانت المقاومة بالفعل في أيدي رجال الدين بعد الحركة الضمنية الأولى " ١٩٦٣ " فإن الرمز هنا يكاد يكون تصريحاً . غير أننا لا ينبغي أن نسلم بهذا التفسير تماماً ، ففي قصصه الأخرى وعلى الخصوص " اولدوز والدمية المتحدثة واولدوز والغريبان يغلب اللون الأحمر تماماً ،

(٣٦) مقال نكاهي ديكربيه ماهي سياه كوجولو - كيهان فرهنگي - سال بنجم - ارد بيهشت ١٣٦٧ - صص ٣٤-٣٧ .

(٣٧) كان الشاه نفسه يسمي رجال الدين المناضلين الرجعية السوداء . ولتفصيلات أنظر : ابراهيم الدسوقي شتا - الثورة الإيرانية الجذور والأيدولوجية ط ٢ - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ١٩٨٨ - ص ٣٠٤ . وأيضاً : ابراهيم الدسوقي شتا : مطالعات في الرواية الفارسية المعاصرة - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٦ - صص ١٦٦-١٦٧ .

كما أن نشيد الورد الحمراء الذي تغنيه الحيوانات في الغابة ليس أيضا في حاجة إلى تأويل ، والسطور الأخيرة في القصة تكاد تكون بيانا ثوريا : " لابد أنكم تنتظرون إلام انتهى أمر الدمية والأطفال ، وإن لم تكن حادثة الغريان قد حدثت ، لمائت ولدوز حزنا ، ولضاعت من أيدينا ، لكن ظهور أم الغراب ، وصداقة الأطفال مع الغريان غيرت الأمور برمتها ، فلقد استعادت ولدوز واستعاد ياشار حماسهما ، وجاهدا كثيرا ليصلا إلى مدينة الغريان " (٢٨) هذا التعاقب بين الأحمر والأسود لا يعني أن صمد قد انتصر للون الأسود إلى لنهاية ، ففي الصفحة التالية للصفحة المذكورة آنفا يقول " يقول مؤلف هذا الكتاب : لقد تعرفت على ولدوز بعد سنوات من ضياع الدمية المتحدثة وصادقتها كما ذكرت في قصة ولدوز والغريان ، تعرفت عليها في قرية جدتها ، وكانت آنذاك في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها ، وكنت معلما في نفس القرية ، وفي النهاية استطعت أنا وتلاميذي أن نجد دمية ولدوز المتحدثة ، وهذه قصة أخرى سأذكرها في كتاب : الغريان والدمى والبشر ، فانتظروا من الآن صدور هذه القصة " (٢٩) اللون الأسود عند صمد له دوره الثوري أيضا ، وإن كان يرقب إتحادا بين اللونين لعله كان يريد التعبير عنه في قصة الغريان والدمى والبشر التي لم يصدرها قط فيما أعلم " وإن كان هذا الإتحاد قد حدث في عام الثورة والعام التالي له " ، لكن تبقى بعض الإشارات تهز من اليقين في أن صمد كان ينتظر بالفعل دورا من اللون الأسود ، ففضلا عن السمكة السوداء الصغيرة تختفي لتترك دورها لسمكة حمراء ، يجعل الكلب الذي هدّد ولدوز ويأشار

(٢٨) قصة هـى بهرنك : ص ١٣٨ .

(٢٩) المصدر السابق ص ١٣٩ .

في اولدوز والغريان أسود ، كما يجعل القطعة التي أكلت الكارع السحري في اولدن والدمية المتحدثة سوداء ، فاللون الأسود عنده ذو دور ثوري كما أنه ذو دور سلبي أيضا .

والواقع أن رموز صمد بالذات قد أثارت ردود فعل عديدة وذلك من خلال الدراسات التي أعادت تقييم أعمال صمد بعد انتصار الثورة الإسلامية ، ولم يكن الإتجاه اليسارى عند صمد مما يصادف هوى عند المثقفين الثوريين الإسلاميين الذين وجدوا عالمه شديد البعد عن القيم الإسلامية ، بل ووقر الشك في أصالة ثورية صمد ، ويصل الأمر هنا إلى درجة الإحالة ، ففي تقييم رضا رهگذر على قصة السمكة السوداء الصغيرة ، يناقش لا منطقية الحدث ، وكأن قصص الأطفال ينبغي عليها أن تحافظ على حدود المنطق ، ويتساءل : هل من الممكن أن تكون هناك قصة ثورية تحكيها جدة قبل النوم ؟ وهل تقييم سمكة النبع أسماك البحر ؟ وهل تحركت أسماك البحر بعدها في عمل ثوري ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المترصدة التي تغيب تماما من طبيعة عملية الإبداع الخاص بالأطفال . وينكر رضا رهگذر على صمد أنه ما دام قد استخدم رموز الحيوان في القصة فلا قيمة إذن لوجود الإنسان ، وهو حكم في محله إذا تم تجاهل طبيعة قصة الطفل ، فالإنسان الطبيب الضعيف المسحوق الذي يواجه قوى أقوى منه ، عادة ما تخف قوى غيبية لنجدته قد تكون من الجن ومن المخلوقات الخرافية ، وإن اختار صمد قواه الغيبية من الطيور والحيوانات فذلك لكي يقوم بعملية ربط بين الإنسان الطفل وبين ما يحيط به من مخلوقات ، وهذا لا يقلل أبدا من قيمة الإنسان سيد المخلوقات والذي خلق كل ما في الأرض لخدمته كما في المأثور الديني نفسه . ويتساءل الناقد : القصة الرمزية لا تدور في زمان معين أو في مكان معين .. هي قصة تجريدية ، وكيف يمكن للطفل أن

يقتنع بالأحداث الخارقة وهي تجري في زمان ومكان ماديين ومعلومين ؟ وينسى الناقد أن كل أساطير إيران محددة بأزمنة وأماكن ، وينسى أيضا أن صمد لم يكن يريد أن يحس الطفل بالجو الأسطوري . لأن الأمر إن كان برمته أسطورة ، فإن الغرض من التعليم ينتفي ، فضلا عن أنه كان يريد أن يضع الطفل على أرض الواقع عن طريق الأسطورة ، وينسى أيضا أن ثمة فرقا بين الزمن الأسطوري في الأسطورة ، وبين نفس الزمن في قصة الأطفال .

ويتساءل الناقد : كيف يصدق الطفل أن القصة تجري على ألسنة الحيوانات ؟ وهل تتحدث الحيوانات ؟ وهنا يصل إلى قمة ترصده وغيبابه التام سواء عن الأدب الرمزي أو أدب الطفل أو أدب الحيوان مع ماله من ماض في الأدب الفارسي ، ومن الطريف أن مولانا جلال الدين رد على هذه القضية وناقشها مناقشة مستفيضة ، يقول :

- وإن لم تكن قد رأيته لا من الداخل ولا من الخارج ، فخذ من الحكاية المعنى أيها المسكين .

- لا مثل ذلك الذي سمعها كحكاية ، والتصق بصورتها كالشين في كلمة نقش .

- حتى ليقول : كليلة تلك التي لا لسان لها ، كيف تسمع الكلام من دمنة التي لا تتكلم ؟

- وإذا كانت كل منهما تعرف لغة الأخرى ، فكيف فهمهما البشر وهما لا تنطقان ؟!

- وكيف صارت دمنة رسولا بين الأسد والثور ؟ وكيف خدعتهما معا ؟

- وكيف صار الثور النبيل وزيرا للأسد ؟ وكيف خاف الفيل من إنعكاس القمر ؟

- إن كليلة ودمنة هذه كلها إختلاق ، وإلا فمتى كان بين الزاغ واللقلق
إمتراء ؟

- فيا أخي ، إن لقصة مثل الكيل ، والمعنى داخلها على مثال
الحبوب .

- ورجل العقل يأخذ حبوب المعنى ، ولا يرى الكيل إن نقل إليه .
- فاستمع إلى حادثة البلبل مع الوردية ، وإن لم يكن ثم مقال ظاهر
فيها .

-- واستمع أيضا إلى ما جرى بين الشمعة والفراشة ، واختر أنت
المعنى من الحكاية . (٢٠)

فكأن مولانا كان يريد على رضا رهجذر عندما قال نقدا على قصة
السمة الصغيرة السوداء بعد مناقشة ما جرى على ألسنة الأسماك
حرفيا وأنهى المناقشة بأن الأسماك لا تتحدث في الأصل "!!" وأن
الحيوانات لا تفكر أصلا ولا ترسم الخطط ، وما يحدث من
الحيوانات في قصص صمد يغير تماما ما يحدث في حياتها
الطبيعية "!!!" (٢١) منتهى التنطع والإحالة .

غير أن هذا التنطع وهذه الإحالة كانا أمرين طبيعيين إذا وضعنا في
الحسبان ما استخرجه نقاد اليسار من قصص صمد من أفكار تبدو
بدورها من الإحالات ، والفريقان كلاهما بدأ من نقطة خاطئة هي
مناقشة قصص الأطفال بمعايير قصص الكبار من ناحية عند نقاد
ما قبل الثورة والبحث والتنقيب عن الرمز السياسي ومناقشة

(٣٠) مثنوى مولانا جلال الدين الرومي - الكتاب الثاني - الترجمة العربية

لإبراهيم الدسوقي شتا - الأبيات : ٣٦٣١-٣٦٤١ .

(٣١) مقال رضا رهجذر : ص ٣٧ .

القصص من منطلق أن صمد يسارى ملتزم بالمقولات اليسارية وهو حكم مسبق لم يقيم عليه أى دليل ، وأبرز مثال على نقاد ما قبل الثورة الناقد منوتشهر هزاريخاني في نقده على السمكة الصغيرة السوداء (٣٢) يعتبر هزاريخاني المناقشة بين السمكة السوداء وبين الأم في النبع والجيران الذين يسخرون منها ومن تطلعاتها ، ومن إتمامها بالسمات اللازمة للثورة الحقيقي : الفكر والوعي والإرادة ، بينما تمثل الأم والجيران جناح المحافظين الذين يفكرون في المصلحة ، والأمري رأى هزاريخاني يمثل الصراع الفكرى بين الأجيال ، نمط تفكير جيل في سبيله إلى الإنقراض ، في مواجهة جيل متمرّد ، أو الصراع الدائم بين جيلين : جيل وصل بمرور الزمان إلى نوع من السكون الفلسفي المزيّف ، وجيل في حالة غليان (٣٣) ، وتنتصر السمكة السوداء على هذا المنطق " العفن " طبعاً بالفكر والإرادة والوعي ، وإن كان وعياً نسبياً في مواجهة حياة رتيبة ووثيرة ، فهي لا تعلم ماذا تريد ، لكنها تريد تغيير الوضع فحسب حتى بالتضحية بكل روابطها وعلاقاتها ، لكنها تعلم - وليسنا ندرى من أين - أن الطريق سوف يتضح لها عند قطعه . ويتساءل هزاريخاني : إذا وصفنا هذا النمط أمام أصحاب الأيديولوجيات .. ماذا يقولون ؟ سيقولون : بورجوازية صغيرة مغامرة ورومانسية ثورية كاذبة وعندها جنون مؤقت ناشيء عن عقدة النقص والنظرة الدونية إلى نفسها ، وإخلال بالنظام وتحريض على أمن الأسماك ، عميلة للأجانب " الصلزون المتلوى " ، وثمة نقاد لا يودون أيضاً النظر بغضب ، لكن صمد كان يخلق نمطاً جديداً .

(٣٢) منوتشهر هزاريخاني : جهان بيني ماهي سياه كوجولو - نشر إحياء تبريز - بدون تاريخ .

(٣٣) هزاريخاني : ١-٢ .

يتميز بخصلتين بارزتين: الجرأة والشجاعة ، جرأة وشجاعة ثوريتين ، ليست فروسية اسكندر ديماس الكاذبة أو الفرسان الأغبياء في قصة الملك بهمن .. وهذه الشجاعة نتيجة قوة خلاقة عن طريق الإرادة والوعي ، تنبثق كالطاقة الذرية ، وتمنح الحياة أبعادا وأفاقا أوسع ومستوى أعلى إلى حد تكامل الإنسانية وقمة نضجها ، فهل هذه رومانسية كاذبة ، ومغامرة لبورجوازية صغيرة ؟ (٢١)

ويتحمس هزارخاني ، ويصور الضفادع الصغيرة وجوارها معها بأنه تعبير عن طبقة البورجوازية المفكرة "!!" التي تعيش في بركة ساكنة وتدمي الأصالة والأرستقراطية ، حتى أسماؤهم ليست ملكا لهم ومع ذلك يظنون أنهم محور الوجود ، والبركة التي يعيشون فيها هي كل العالم ، والصفدة هي نموذج الإدماء واحتقار الآخرين لمجرد أنها تستطيع العيش في الماء واليابسة ، وتسمع الحقيقة من السمكة السوداء الصغيرة : " عيشي أضعاف هذا العمر مائة مرة ، سوف تظلين ضفدعة حكيمة " (٢٢) لكن السمكة الصغيرة وإعية بضعفها وقوة الآخرين ، فلا تجر إلى معركة غير متكافئة ، ولا يخرجها أيضا خداع السرطان عن وعيها ويجعلها تتبعه ، وتظل على كراهيتها للسرطان وحذرهما منه ، ويجدها هزارخاني فرصة للدفاع عن القيم التي ينشرها صمد بما أشرنا إليه آنفا .. ثم يأتي هزارخاني إلى السحلية ، لماذا هي رمز الوعى ؟ لأنها تعرف أعداءها جيدا وأصدقاءها جيدا ولا تنخدع وتعرف مخاطر الطريق ، وتفضح الأعياب البجعة ، وتحذر السمكة السوداء منها .. وهذا في رأى هزارخاني رمز للتعلم أثناء الحركة ، واستخدام العلم من أجل التقدم ، ومن بعدها تصبح

(٣٤) نفس المصدر ص ٤-٥ .

(٣٥) جهان بيني ماهي سياه كوتشولوس ٧ .

السمة السوداء الصغيرة قائدة للأسماك الضئيلة التي تحس بالخوف والرعب من البجعة ، ومن ثم فهي مشلولة ، علم نفس الخوف وروحياته ، ومن ثم فهي تشق فيه فجوة ، منها يمكن العبور إلى غير الممكن وإلى المحال ، وفي الصراع مع البجعة تمثل الأسماك الضئيلة حالة الرعب والفرع ، فحالها خارج كيس البجعة ليس بأفضل من حالها داخله ، بل هو نتيجة حتمية لهذا الرعب (٣١) وعند الخطر تبدو قيمة المرء الحقيقية وجوهرة ، فئمة مشاجرة بين السمة الصغيرة والأسماك الضئيلة داخل كيس البجعة ، الأسماك الضئيلة هلع خائفة نادمة تود أن تتوسل إلى قاتلها بأن يرحمها ، وتتملقه ، لكن السمة السوداء تعلم أن كل هذا لا يجدي ، إنها تكره - حتى في هذا الخطر- ضعف النفس والملق والتوسل والتذلل ، وعندما تحاول البجعة أن تؤلب الأسماك الهلعة على السمة السوداء وتطالب برأسها ثمناً للعفو عنهم ، تعلمهم السمة السوداء الدرس الأخير ، وعندما تبتلع البجعة الأسماك الضئيلة تقوم السمة السوداء بعملها ، ويخنجرها ، تمزق جوفه ، وتلخص فلسفة حياتها قائلة : " الآن ليأت الموت نحوى ببساطة شديدة ، لكن مادمت حية لن أسعى للقاء الموت ، ولكن إن اضطريت إلى مواجهة الموت ، لا يهم ، المهم أى أثر لحياتي أو موتي في الآخرين " وفي بطن النورس تقول للأسماك الضئيلة التي تتوجع وتتفجع وتنادى أمهاتها " كفى ، كفى يا صغيراتي ، لقد قضيتم على كرامة الأسماك تماماً " والآن تريدون أن تنتهي القصة بانتصار السمة البطلة وتنصيبها زعيمة على الأسماك ؟ لقد فهمتم خطأ ، فصمد لا يعترف بالبطل الدائم والبطل المحترف ، إنه يقبل البطل أثناء بطولته ، عمله ، صراعه وكفاحه ، لقد

(٣١) المصدر السابق ص ١٢.

صارت السمكة الصغيرة جزءاً من كل سمكة حرة تصل إلى البحر ، هي ليست سمكة حرة ، لكنها جزء من قيمة الحرية ، لثمت السمكة السوداء الصغيرة ، لكن السمكة الحمراء الصغيرة التي استمعت إلى قصتها ظلت ساهرة طوال الليل تفكر في البحر. (٧٧)

الناقدان إذن اليساري والإسلامي وقعا بين إفراط وتفریط ، الإسلامي وقف عند الظاهر لا يريم ، واليساري صور كل شيء بمصطلحاته هو ، والسمكة الصغيرة السوداء قد تكون هذا أو قد تكون ذاك ، وقد تكون شيئاً آخر أراد صمد أن يضرب به للأطفال الصغار مثلاً عن عدم الإستسلام لحياة الخنوع ، والمقاومة حتى ولو لم تكن مجدية ، فضلاً عن أن يسارية صمد ليست يسارية معلنة ، وجنوحه إلى المقاومة الدينية ليس واضحاً أيضاً ، ومن ثم تبقى السمكة السوداء الصغيرة مجرد قصة أطفال ، وينبغي أن يقرأها الطفل أولاً ثم نسأله : بماذا خرجت منها؟

وختاماً لهذه العجالة أرجو أن أكون بمجموعتي هذه قد أضفت شيئاً يذكر إلى المكتبة العربية ، وأضفت إلى وجدان الطفل القاريء بالعربية جديداً ، ولا يفوتني أن أقدم شكرى لأستاذي الجليلين : الدكتور أحمد الضولي على مساعدته إياي عند كتابتي لرسالة الماجستير وبدء طريقي مع صمد ، والدكتور إبراهيم الدسوقي شتاً على الأفاق الجديدة التي فتحها أمامي بشأن صمد ، وعلى تفضله بتشجيعي على إكمال هذه المجموعة ومراجعته إياها ، جازاهما الله عنى خير الجزاء . والله ولي التوفيق .

دكتورة

ماجدة العناني

مدرس اللغة الفارسية وآدابها

كلية الآداب - جامعة حلوان

مايو ١٩٩٦

(٣٧) (جهان بينى ماهى سپاه صص ١٥-١٦ .

١ - "أولدوز" والدمية المتحدثة

أوشكت الشمس على الغيب ، وكانت " أولدوز " تجلس فى
المخزن، وهى تضع دميته الكبيرة أمامها وتحدثها ببطء شديد
قائلة :- "أتريدين الحقيقة يا دميته الكبيرة ؟!! ليس لى غيرك فى
دنياى ، أتسأليننى عن أمى ؟ أنا لا أتذكرها مطلقا !! ولكن جيراننا
يقولون أن أبى طلقها منذ زمن بعيد ، وأرسلها عند أبيها فى القرية ،
وأنا أيضاً لا أحب زوجة أبى ، فمنذ أتت إلى بيتنا أخذت منى أبى ،
وأنا وحدي فى هذا البيت ، لقد ذبحوا أيضاً بقرتى بالأمس ، وكانت
علاقتهى بها أفضل منهما عندى ، كنت أحدثها وهى تعلق يدي
بلسانها وتعطينى لبنها ، وكانت لا تسمح لأحد أن يحلبها إذا لم ترنى
أمامها . كانت فى منزلنا منذ صغرها ، فأمى هى التى استقبلتها
على يدها منذ ولادتها ، وقامت برعايتها حتى كبرت ... يا دميته
الكبيرة ، إما أن تبادلينى الحديث أو انفجر !! نعم ، قلت إنهم ذبحوا
بقرتى بالأمس ، فقد كانت زوجة أبى تتوحم واشتهت الأكل من لحم
بقرتى ، والآن ها هى وأختها تجلسان فى المطبخ تنتظران نضوج
اللحم لتأكلان ... مسكينة بقرتى الحنون !! أعرف أنك الآن تغلين
فوق النار ... دميته الكبيرة تحدثنى وإلا انفجرت ، إننى أنجرح مرارة
الموت ... فمنذ أن كانت زوجة أبى تتوحم وهى لاتطبق رؤيتى ،
وتقول لى " عندما أرى وجهك أصاب بالغثيان ، ليس بيدي " ، ولذلك
فأنا مجبرة أن أقضى معظم الوقت فى المخزن حتى لا ترى زوجة أبى
وجهى فتصاب بالغثيان ، يا دميته الكبيرة ، تحدثنى وإلا انفجرت ،
أنا لا أعلم منذ متى وأنت معى ؟!! منذ أن فتحت عيني على الدنيا
رأيتك ، فإذا أصبحت أنت الأخرى سيئة وعابسة معى ، فلا أدرى

ماذا يجب على أن أفعل؟! يا دميّ الكبيرة!! تحدّثي وإلا سأنفجر...
 سأموت كمدأ ، يا دميّ الكبيرة!! إنني أنفجر...تحدّثي...تحدّثي...!!
 فجأة شعرت " أولدوز " بيد تمسح دموعها وتقول لها بهدوء : -
 " أولدوز "!! يكفي هذا!! لا تبكي... لن تنفجري... فهذا أنا أتحدّث ،
 أنسمعين صوتي؟! دميّتك الكبيرة نطقت ، لن تكوني وحيدة مرة
 أخرى أبداً!!

أزاحت " أولدوز " شعرها جانبا ورفعت رأسها فرأت دميّتها الكبيرة
 قد نهضت من جوار الحائط ، وجلست في مواجهتها ، وأخذت تمسح
 دموعها بيدها ، فقالت :

" أولدوز " - أيتها الدمية : أكنتِ تتحدّثين ؟

قالت الدمية المتحدّثة : - نعم ، وسوف أتحدّث ثانية ، فأنا أعرف
 لغتك .

كان الليل قد هبط ، وكانت " أولدوز " ترى دميّتها بمشقة ، وخرجت
 من المخزن وهي تتحسس طريقها في الظلام ، واتجهت نحو الرف لكي
 تحضر الكبريت لتشعل المصباح ، لكنه لم يكن بجانب المصباح ،
 فوضعت المصباح على الأرض وذهبت لتحضر الكبريت من الرف
 الآخر . فاصطدمت رجلها فجأة بالمصباح فانقلب ، وانكسرت
 زجاجته وانسكب الكيروسين على السجادة ، واختلطت رائحة
 الكيروسين بالظلمة وانتشرت في الحجرة . أثناء ذلك دق الباب
 فاضطربت " أولدوز " ، فقالت لها الدمية وهي تقترب من عتبة
 المخزن : - أدخلني هنا يا " أولدوز " من الأفضل أن نتجاهل الأمر ،
 وقولي أنك لم تخرجي من المخزن مطلقا.

تناهى إلى الأسماع صوت الأب وزوجته في الممر الخارجى ، وتقدمت زوجة الأب وقالت : - كنت فى المطبخ ولم أشعل المصباح ، وسوف أشعله الآن .

قالت العروسة لـ " أولدوز " : - أسرعى ... وادخلى هنا .
قالت " أولدوز " : - من الأفضل أن أقف هنا وأقول لهما أن الزجاجة قد انكسرت ، وإلا ربما وطأت أقدامهما الزجاج ويسوء الأمر .
وعندما كانت زوجة الأب تمر من العتبة إلى داخل الحجرة ، أشعلت " أولدوز " الكبريت وقالت لها : - أمى !! انتبهى !! لقد وقع المصباح وانكسرت زجاجته .

وبخل الأب عقب زوجته بينما كانت زوجة الأب ترفع يدها لتصفع " أولدوز " ولكن سرعان ما أنزل الأب يدها وقال لها : - ألم أقل لك اتركها وشأنها عدة مرات ؟!!

وكانت " أولدوز " عندما كانوا يذبحون البقرة قد بكّت وأظهرت الجزع ، حتى قال الجميع أنها ستنفجر من شدة البكاء . وبالأمس أيضاً لم تتناول عشاءها ، وأخذت تهذى وتقلد صوت البقرة حتى الصباح ، لذلك أوصى الأب زوجته بأن تترك " أولدوز " لعدة أيام ولا ترصدها .

قالت زوجة الأب : - لم أر بنتاً مهملة وكسولة مثلها !! حتى الصباح لم تستطع إشعاله ، الآن أغربى عن وجهى !!

ذهبت " أولدوز " إلى المخزن ، وأشعلت زوجة الأب مصباحاً آخر ، وقالت لزوجها : - إن رائحة الكيروسين تجعلنى أشعر بالغثيان .
كان الجو صيفاً ، والنافذة مفتوحة ، أطلت زوجة الأب من النافذة

وتقيأت ، وكان الأب قد أبدل ثيابه ، ثم قام بجمع الزجاج المكسور
وأثناء ذلك جاءت أخت زوجة الأب مسرعة وقالت : - أختى ..!!
صار اللحم أمراً من السم !!

اعتذلت زوجة الأب وقالت : - ماذا قلت ؟!! اللحم مرّ المذاق !!
وقدمت " برى " قطعة من اللحم لها وقالت : - تذوقى ... وأنظرى ؟!!
اختلطت زوجة الأب قطعة اللحم من يد أختها ووضعتها فى فمها ،
وكان اللحم حقاً مرّ المذاق ، سيئ الطعم ، بحيث شعرت زوجة الأب
بالغثيان مرة أخرى .

- لن أطيع عليكم - وأسهرت زوجة الأب والأب و " برى " إلى
المطبخ ، وكانت " أولدوز " ما زالت - هي ودميتها المتحدثّة - تجلسان
بالمخزن وتحدثان ، بينما كان الضوء خافتاً ، قالت " أولدوز " : -
أسمعتى يا دميّة المتحدثّة ماذا قالت " برى " ؟ لقد قالت أن اللحم
أصبح مرّ المذاق .

قالت الدمية المتحدثّة : - أظن أن البقرة جعلت لحمها مرّ المذاق لهم
فقط ولكنه لن يكون مرّ المذاق فى فمك !!
قالت " أولدوز " : - سوف أكل منه .

قالت الدمية : - لا بد أن تحتفظى بشيء من البقرة ، سوف ينفعنا
هذا النوع من الأبقار فإن له خواصاً عديدة .

قالت " أولدوز " : - أى قطعة فى رأيك أحتفظ بها ؟!
قالت الدمية : - كارعها مثلاً !!

إنه مر المذاق لزوجة الأب

حلو المذاق لـ "أولدوز"

اجتمع الأب وزوجته و"برى" في المطبخ، وأخذوا يتذوقون قطع اللحم قطعة وراء الأخرى، ويلفظونها، وكان قدر كبير من اللحم لا يزال معلقاً بالخطاف، كانوا قد تركوه لليوم التالي ليفرموه. فقطع الأب قطعه من اللحم النئ وتذوقها فوجدها أيضاً مرة المذاق، سيئة الطعم، فقال: - لا أدري ماذا أكلت البقرة قبل ذبحها فصار لحمها هكذا!!؟

قالت زوجة الأب: - لم تأكل شيئاً، ولكن ابنتك صبت سم عينيها عليها، كم هي دميمة!!

قال الأب: - لقد ذبحناها بلا سبب!! حرام!! وكم قلت لك دمعني أشتري لك لحم بقر من القصاب، ولكنك لم تقبلي.

قالت زوجة الأب: - فلتذهب البقرة إلى الجحيم!... أنا موشكة على الإنهيار فالرائحة العفنة تشعرني بالغثيان.

وأمسكتها "برى" من ساعدها وقالت لها: - هيا بنا نخرج.

إنكأت زوجة الأب على ساعد "برى"، وذهبت وجلست على حافة الحوض وقالت: - نادى "أولدوز" لتأخذ هذا اللحم وتحمله إلى بيت كلثوم فرائحته العفنة تملأ البيت.

كانت كلثوم جارتهم من جهة اليسار، وكان زوجها فى طهران يشتغل عاملاً فى حرق الطوب، ولها طفل صغير يدعى "ياشار" يذهب إلى المدرسة بينما كانت هي تقوم بغسل الملابس أغلب الوقت.

أسرعت "برى" صوب الحجرة ونادت على "أولدوز" قائلة :-
 "أولدوز! أولدوز! أمك تريدك أن تذهبي إلى منزل "ياشار".
 وعندما نادت "برى" على "أولدوز" قطعت حديثها مع دميته .
 فقد كانت تُعرفها بـ "ياشار".
 وقالت الدمية المتحدثة : إذا رغبتِ فى نقل خبر نطقى إلى "ياشار"
 فافعلى .

فقالت "أولدوز" :- أجل لابد أن أقول له .
 ذهبت "أولدوز" إلى الفناء وكان المصباح الكهربى على رأس الحارة
 يبعث ضوءاً خافتاً فى الفناء ، وكانت زوجة الأب جالسة تتقيأ ، وقد
 أحضر الأب الوعاء ووضع تحت شجرة التوت ، وذهب ووضع كفه
 على جبهة زوجته .

وقالت "برى" لـ "أولدوز" :- خذى هذا الوعاء وأعطيه لكلثوم .
 وقالت زوجة الأب :- لا تجلسى كثيراً وتحدثى مع هذا الولد
 الصائح... عوبى سريعاً ! ...

قالت "أولدوز" :- أمى ، لماذا لا تأكلين من اللحم؟
 أجابت زوجة الأب وقد نفد صبرها :- هل حشوت أنفك بالقطن !!؟
 ألا تشمين رائحته العفنة ؟! إحمليه وأسرعى .

قالت "برى" لزوجة الأب :- يا أختى الكبيرة : عندما كانت هذه
 البقرة حية ، كانت بليدة عذبة ، إنها حيوان حقير .
 ولم يكن الأب ينبس . وعاد ينظر إلى- "أولدوز" فرأها قد أخرجت
 قطعة من اللحم من الوعاء وأخذت تلوكها بشهية وقلد ثم تبتلعها .
 وفجأة صاح وقال :- أيتها البنت !! لا تأكليها فتمرضين

وهنا التفت الجميع لصوت الأب ، وأخذوا ينظرون إلى " أولدوز " فتجمدوا فى أماكنهم من شدة تعجبهم .

وقال الأب مرة أخرى : - أيتها البنت قلت لا تأكلى !! أبصقيها على الأرض .

قالت " أولدوز " : - يا أبت !! لحم بهذه الجودة والمذاق الطيب ... لم لا آكل ؟ !!

قالت " برى " : - عجباً !! إنها مثل الجوارح ، أى شىء تحصل عليه تأكله !!

قالت زوجة الأب : - إنها ليست آدمية .

وضعت " أولدوز " : - قطعة أخرى فى فمها وقالت : - أنا لم آكل من قبل لحماً أشهى من هذا !!

ارتعدت زوجة الأب ، وعبست " برى " وبهت الأب ، فقالت " أولدوز " مرة أخرى : - يا لها من رائحة طيبة ، إن مذاقه مثل مذاق الزيد ولحم الدجاج وما يشبهها يا أمى .

كانت زوجة الأب تدعك يديها ووجهها ، فنهضت وذهبت نحو الغرفة وقالت لها : - كلى كما تشائين ، حتى ولو خرجت أحشاؤك ، فمالى أنا !! قال الأب : - يكفى آخر يا بنت ،، إنك ستمرضين ، احمليه واعطيه لبيت كلثوم .

قالت " أولدوز " : - أتركنى أكل قطعة أو إثنين .

ودلف الأب و " برى " أيضاً إلى الداخل . وأخذت زوجة الأب تقطع الغرفة ذهاباً وإياباً ، وهى تضع يدها على بطنها وتتاوه ، وعندما دخل الأب و " برى " قالا : - الرائحة العفنة تملأ المكان !!

قالت "برى" : - ورائحة الكيروسين أيضاً يا أختى الكبيرة .
 قالت زوجة الأب : - هل أنا غبية إلى حد أنى لا أعرف رائحة
 الكيروسين؟!! آخ!! بطلى!! أحشائى تخرج ... آه ... آه !!
 قال الأب : - إحمليها يا "برى" إلى الفناء حتى تشم هواً نقياً .
 وأخذت "برى" يد زوجة الأب ، وخرجتا إلى الفناء ، وكانت
 " أولدوز" لا تزال جالسة تحت الشجرة ، تأكل من اللحم بشهية ،
 متلذذة به وهى تلعق أصابعها وتعلن استحسانها ، فصاحت زوجة
 الأب قائلة : - يا نصف الشير: ها أنت تقومين ثانية بإخراجى عن
 طورى ، قلت لك أخرجى هذه الرائحة العفنة من البيت !!
 قالت " أولدوز" : - أى رائحة عفنة هذه يا أمى ؟!!
 رمت زوجة الأب الوعاء وصاحت قائلة : - اقول لك ، لحم بقرتك
 الجرياء هذه ... ياللا ، إنهضى واحملى هذه الرائحة وأخرجيها من
 هنا ، فإن أحشائى تخرج من بطلى .
 قالت " أولدوز" : - أتركينى يا أمى أكل بعض القطع منها ، فإننى
 جائعة .
 أمسكت زوجة الأب بشعر " أولدوز" وأخذت تصيح قائلة : -
 أتعاندينى يا بنت الكلب !!
 أطل الأب من النافذة على الصباح والصراخ وسأل : - ماذا حدث
 ثانية ؟!!
 قالت زوجة الأب : - إنك لا تقدر على أحد قط سوى أنا التعيسة ،
 لا تزال تقول لى ألا يكون لى شأن مع هذه الصفراء ، الآن أنظر كيف
 تعاندينى ؟

حملت " أولدوز " الوعاء وذهبت به تجاه باب الممر، ووضعت الوعاء خلف الباب على الأرض، وأمسكت بحلقة الباب، وألصقت إحدى قدميها بالباب ورفعت نفسها الى أعلى، وفتحتة، ثم نزلت، وحملت الوعاء وخرجت .

فصاحت زوجة الأب وراءها قائلة : - لا تغلقى الباب !!

حديث بسيط وودى :

وفى تلك الليلة نام الاب وزوجة الاب فى الفناء ، قالت اولدوز سوف انام فى الحجرة .

قال الأب : - يا بنت ، إنك دائما تقولين إنك تخافين من النوم فى المخزن وحده ، الآن ماذا حدث لك ؟!! أتريدين أن تنامى بمفردك تماما ؟

قالت " أولدوز " : - أشعر بالبرد .

قالت " برى " : - جوبهذه الحرارة !! وتقول أنها تشعر بالبرد ؟ مسكينه يا أختى !! إنك على حق عندما لا تطيقين رؤيتها .

قالت زوجة الأب : - إهمليها ، ولتذهب إلى الجحيم ، فهى ليست بآدمية ، تأكل اللحم العفن وتتلذذ به !!

وعندما هدأت الضوضاء ، نادى " أولدوز " على دميته المتحدثة ، فجاءت العروسة ودخلت تحت غطاء " أولدوز " وانهمكتا فى

الحديث ، وسألت الدمية " أولدوز " قائلة : - هل رأيت " ياشار " ؟

قالت " أولدوز " : - نعم رأيته ! لم يصدق أنك صرت تتحدثين ولابد أن نجتمع ثلاثتنا ذات يوم و...

قالت الدمية : - الآن نحن فى الصيف ، و " ياشار " لا يذهب إلى

المدرسة ، نستطيع أن نلعب ونتنزه من الصباح حتى المساء .
 قالت " أولدوز " : - " ياشار " ليس عاطلا ، إنه يعمل فى نسج
 السجاد .

قالت العروسة : ولكن أين أبوه ؟!!
 قالت " أولدوز " : - ذهب إلى طهران ليعمل فى قمائن الطوب .
 قالت الدمية : - يا " أولدوز " لابد أن تحتفظى لنا بكارع البقرة فى
 أى مكان تكوين فيه ، ذلك لأنها لم تكن بقرّة عادية .
 قالت " أولدوز " : - وأفكك على ذلك ، كل من يأكل لحمها يصاب
 بالغثيان ، أما بالنسبة لى فلها مذاق الزيد والعسل ولحم الدجاج ،
 كذلك " ياشار " وأمه أعجبهم وأكلوه بشهية .

قالت الدمية : - هل كان " ياشار " بخير ؟
 قالت " أولدوز " : - قطعت السكين إبهامه هذا الصباح وهو فى
 المصنع ، يالسوء الحظ ، لن يستطيع أن يعقد العقد بعد .
 فجأة ارتفع صراخ زوجة أبيها عليها بصوت عال : - يا بنت ...
 إكتمى .. لماذا تثرثرين مع نفسك هكذا مثل المجانين ، كلامك غير
 واضح ، ماذا تقولين ؟!!

قال الأب : - إنها تحلم .
 قالت زوجة الأب : - تنام ما تقوم .
 همست الدمية : - من الأفضل أن تنامى .
 فهمست لها " أولدوز " : - إننى لا أرغب فى النوم ، أريد التحدث
 واللعب معك هل تعرفين حكى القصص ؟
 أجابت الدمية : - فلتنامى الآن قليلاً ، وعندما يحين الوقت سأوقظك

لأننى أريد أن آخذك أنت و "ياشار" إلى الغابة .
لم تقل " أولدوز " شيئاً ، وتمددت على ظهرها ، وثبتت عينيها
بالنافذة ، وأخذت تنظر إلى السماء فى انتظار رؤية النجوم .

٢ ليلة الغابة

٢ ليلة وكأنها كانت حلماً

٢ شقبة فى السماء

بعد أن انقضى نصف الليل ، وبينما أخذ القمر فى الظهور من
خلف الجبال ، سكن الهواء فوق الأرض ، ولم يكن ثم نفس ، وكان
النسيم فى الطبقات العليا يهب عليلاً ، بينما كانت هناك ثلاث
حمام بيض يطرن على جناح النسيم ويمضين بخفة وينزلن ، كانت
البلدة نائمة تحت أرجلهن وأجنحتهن فى ظل ضوء القمر . وكان
لإحدى الحمام ريشة مكسورة مريوطة بخيط ، وكان هناك بعض
الأشخاص ينامون على الأسطح ، واستيقظ طفل وقال لأمه : - أمى :
انظرى هذه الحمامات وكأنها ضلت طريقها ، كانت أمه تغط فى
نوم عميق ، فلم تستيقظ ، وظلت عين الطفل تتابع الحمامات
وتتحسر ، وظل هكذا حتى غلبه النعاس مرة أخرى .

وبينما كان القمر يزداد سطوعاً أخذت الظلال تنحسر ، وكانت
الحمام قد ابتعدت عن البلدة كثيراً ، وقالت الحمامة ذات الريشة
المكسورة للحمامة

الوسطى : - أيتها العروسة المتحدثة : هل الغابة بعيدة جداً ؟!!

أجابت الحمامة الوسطى : - لا يا عزيزى "ياشار" إنها تقع وسط
هذه الجبال ، إنها تلك الغابة التى يظهر من خلفها القمر ، أخشى أن

يكون التعب قد أصابك .

قال " ياشار " : - وهو نفسه الحمامة ذات الريشة المكسورة : -
لا أيتها الدمية المتحدثة ، فأنا سعيد بالطيران ، فمهما أطيروا
أتعب ، ففي أيام الصيف دائماً كنت أحلم أننى أركب طائرتى
الورقية وأطير بها .

قالت الحمامة الثالثة : - أنا دائماً أحلم كل ليلة أن لدى جناحاً
وأطير .

قالت الحمامة الوسطى : - وهى الدمية المتحدثة : - كيف ؟!
قالت الحمامة الثالثة : - ذات ليلة رأيت فى الحلم أننى كنت أحمل
علبة غسل وقد أكلتها ، وعرفت زوجة أبى فتعقبتنى ويدها عصا
العجين فحاولتْ - بقدر المستطاع - الهرب منها ، ولكننى لم أستطع ،
كنت أحس بثقل فى قدمى ، وأخذت أترجع للخلف ، ولم يبق سوى
القليل وتلحق بى زوجة أبى ، وفجأة ارتفعت فى الهواء وبدأت فى
الطيران ، وابتعدت عنها ، وأخذت أطيروا من سطح إلى آخر ، وأخذت
زوجة أبى تصيح من أسفل وتتبعنى .

قال " ياشار " : - وفى النهاية ؟!!

قالت " أولدوز " : - بعد ذلك مدت زوجة أبى يدها فجأة وأمسكت
بقدمى وسحبتنى إلى أسفل ، فصرخت من شدة الخوف ، وفزعمت
من نومى . رأيت أن النهار قد طلع ووجدت زوجة أبى تمسك بإصبع
قدمى وتهزنى وتقول : - إنهضى ، لقد أشرقت الشمس ، أما زلت
نائمة حتى الآن ؟!!

ضحك " ياشار " والدمية المتحدثة وقال : - يا له من حلم عجيب !!

قالت الدمية المتحدثة بعد ذلك : - أي سوء فعلته بزوجة أبيك بحيث لا تقلع من إيدائك حتى في النوم ؟
 قالت " أولدوز " : - لا أعرف !! ذات يوم قالت لأبي ما دمت أنا في البيت فلن يحبها أبي ، ولكن أبي أقسم أنه يحبنا نحن الاثنين .
 قال " ياشار " : - أريد أن أتشقلب عدة شقلبات .
 قالت العروسة : - فلنفعل ثلاثتنا .

في تلك الليلة كان الرعاة الذين يتجولون في هذه المنطقة ، ينظرون إلى السماء يرون ثلاث حمامات أشد بياضاً من اللبن يطرن في السماء ويتشقلبن ويتكلمن ويذهبن ومع ذلك لا يتعبن مطلقاً .
 فجأة قال " ياشار " : - اوه ، انتظروا لقد فُتح جرحي .

فنظرت " أولدوز " والدمية فشاهدتا الدم يتساقط من ريشة " ياشار " المكسورة ، فنزعت العروسة زغباً من صدرها ، وسدت به جرح " ياشار " ، ثم قالت : - عندما نصل إلى الغابة سندهن جرحك بالدهان ليشفى سريعاً .

وفي ذلك الوقت كانوا قد وصلوا إلى أسفل الجبال ، فرأوا في البداية وادياً ضيقاً ، وكانت الجبال قد التقت في فوهة الوادي وجعلت الوادي أكثر ضيقاً ، فدلقت الحمامات داخله . وسأل " ياشار " الدمية : - أيتها الدمية المتحدثة : لم تقولي لنا بعد ، لماذا نذهب إلى الغابة ؟

قالت الدمية : - اليوم ستأتى جميع الدمى إلى الغابة ، فقد اعتدنا الإجتماع مرة كل عدة شهور .
 قالت " أولدوز " : - لماذا تجتمعون ؟

قالت الدمية : - إننا نجتمع لنتباحث فى أمور الأولاد والبنات الصغار ، هل هم طيبون أم لا ؟ أيضاً نحن محتاجون للأفراح والاحتفالات .

إنتهى الوادى ، وبدأت الغابة ، كانت الأشجار طويلة طويلة تتلألأ تحت ضوء القمر . وظل الثلاثة يطيرون مدة فوق الأشجار حتى وصلوا إلى وسط الغابة . ووصل إلى أسماعهم ضجة وضجيج وهممة حديث ، كانت أرضا شاسعة بلا أشجار ، وكانت هناك بركة تبدأ من إحدى الزوايا وتلتوى خلف الأشجار ، وتحيط بها الأشجار المختلفة العالبة تحط عليها طيور ملونة تغرد أو تتحدث ، ويجوار هذه البركة اشتعلت نار كبيرة كان نورها الأحمر يشع فى كل مكان ، وكانت هناك مئات وآلاف الدمى الصغيرة والكبيرة تذهب هنا وهناك ، أو تجلس مجموعات تثرثر ، وكانت الدمى سواء الكبيرة منها أو الصغيرة ترتدى ملابس جميلة ، ومنها من كانت ترتدى ملابس متواضعة ، وكان الأولاد والبنات مختلطين .

وفى تلك الليلة كانت حيوانات الغابة قد تركت النوم ، بل وتجمعت أسفل الأشجار وحولها ، وكانوا يشعرون بالراحة فى أماكنهم وهم يتفرجون على الدمى .

كان "ياشار" و "أولدوز" فرحين لرؤية الدمى والطيور والحيوانات ، فلم يَر ذلك أى طفل حتى فى الحلم ، كذلك كان القمر يُشاهد منعكساً على سطح البركة ، وكانت الطيور والأشجار ومشاعل النار . كان كل شئ يبدو جميلاً ورقيقاً ، وطيباً ، وكان كل شئ يبعث على الحب ، كل شئ ... كل شئ

طاووس بذيل كالمظلة ... وثرثار :

كان الطاووس يحط بمفرده على شجرة وذيله معلق .
وقالت الدمية المتحدثة لـ "ياشار" و "أولدوز" : - تعاليا
لأخذكما عند الطاووس لتحدث معه ، أما أنا فسوف
أذهب عند ساره ، وعندما أنادى عليكما تعاليا عندالدمى .

قالت " أولدوز" : - ومن ساره هذه ؟!!

قالت الدمية : - ساره هي كبيرة الدمى .

ثم قدمت الدمية الأطفال للطاووس ، وذهبت إلى
أصدقائها .

قال الطاووس : - إذن فأنتما صديقا الدمية المتحدثة .

قالت " أولدوز" : - نعم لقد أحضرنا هنا لكى نشاهد
احتفال الدمى .

وقال "ياشار" : - حقا ، أيها الطاووس كم أنت جميل !!

فقال الطاووس:- وماذا رأيتم منى الآن ، أنظرا إلى ذيلي !!
فنظر "ياشار" و "أولدوز" ، فرأيا ذيل الطاووس يرتفع
لأعلى ببطء شديد ، ثم ينفتح وكأنه مظلة كبيرة ، وكان
ريش الطاووس يشع ألف لون فى ضوء القمر والنار ، حتى
أن الطفلين ظلا فاعرى فميهما من شدة التعجب .

قال الطاووس : - نعم ، أناكما تريانى ، طائر جميل جداً ،
أتريان كيف صنعت قوساً جميلاً بذيلي ؟ فكل الأطفال
يتوقون شوقاً لريشة من ريشى . وجميع الشعراء امتدحوا
جمالى وريقتى ، فمثلا يقول " سعدى الشيرازى" :

من شدة جمال الطاووس يقتلع الأطفال ريشه وأجنحته

وقد قرأت فى كتاب قديم أن "أبا على سينا" الحكيم الكبير قد مدح شحمى ولحمى على أنهما علاج لكثير من الأمراض. والشعراء أيضا يشبهون الشمس بى ، فيقولون "الطاووس نارى الریش" ، وأیضا كانوا قد أطلقوا على فى بعض الكتب القديمة إسم "أبى الحسن" ، كذلك فأنا أجمل من زوجتى ...

تضايق "ياشار" من كثرة كلام الطاووس ، ولكنه كان يرغب فى أخذ ريشة أوريشتين من ريشه ، فأنصت له جيداً ، وكان يتحين الفرصة ، ويعد ذلك قاطع الطاووس قائلاً : - يا عزيزى الطاووس ! هل تعطينى أنا و "أولدوز" ريشة أوريشتين من ريشك الجميل ؟ فإننى أريد الإحتفاظ بها فى طيات كتبى .

دهش الطاووس وقال : - لا ... لا أستطيع أن أنتزع ريشى الغالى ، فهو جزء منى ، هل تستطيع أن تخرج عينيك وتعطيها لى ؟

كان إنتباه "أولدوز" كله موجها للدمى والحيوانات ، بينما كانت تنصت قليلا إلى حديث الطاووس . لذلك كانت أسرع إنتباهاً من "ياشار" فى رؤية الدمية المتحدثة وهى تنادى عليهم . وكانت الدمية قد ألقت بجلدها ، ولم تعد فى صورة حمامة . نظرت "أولدوز" إلى "ياشار" فرأته فى حالة ضيق ، فقالت له : - تعال يا

"ياشار" نهبط، فالدمية المتحدثّة تناديننا .
 سلما على الطاووس ثم طار، وهبطا، وكان الطاووس
 لايزال رافعاً ذيله، ولم يتحرك من مكانه حتى لا تظهر
 ساقاه القبيحتان، وعندما رأى أن الطفلين يرغبان فى
 الذهاب، قال لهما : - مرحباً بكما، أتمنى منكما ألا تنسيا
 أن تمتدحا جمالى فى أى مكان تذهبان إليه .

التعرف على "سارة" والدمى الأخرى :

مسحت الدمية المتحدثّة بيدها على رأسى
 " أولدوز" و" ياشار" ووجهيهما وأخرجتهما من جلد
 الحمام، وكانت دمية صغيرة يبلغ طولها شبراً قد جلست
 على حجر، وقالت الدمية المتحدثّة : - يا سارة : -
 " أولدوز" و" ياشار" أصدقائى .
 فألقى " ياشار" و" أولدوز" السلام، فنهضت " سارة"
 واقفة فانحنى الطفلان وصافحاهما .
 قالت " سارة" : - مرحباً بكما فى حفلنا، فأنا أرحب
 بكما نيابة عن كل الدمى .
 قال " ياشار" : - ونحن أيضاً نفتخر كثيراً بأننا قد
 استطعنا اكتساب حب الدمية
 المتحدثّة، ونحن سعداء بحضورنا، وسعداء أيضاً لأنكم
 تعاملونا مثل أصدقائكم ونشكركم جميعاً .

قالت " سارة " : - فى البداية أوجه الشكر لكما لأنكما استطعتما بأخلاقكما وسلوككما الحسن أن تجعلا دميتهما تتحدث ، ولأنكما أتيتما إلى هذه الغابة .
بعد ذلك يمت وجهها نحو الدمية المتحدثة وقالت : -
خذى الطفلين وعرفيهما بالدمى الأخرى ، وأخبرى الجميع بأن يحضروا عندى حتى نتكلم قليلاً ثم نبدأ الرقص .
وبمجرد أن سمعت الدمى أن الدمية المتحدثة اصطحبت أصدقاءها ، أخذت الدمى تتقدم مجموعة مجموعة ، وأخذت تلتف حول الطفلين وبدأت فى الترحيب والملاطفة وتجاذب أطراف الحديث .

كيف يكون شكل المغرورين !!؟

كان إصبع " ياشار " يؤلمه بشدة فأمسك بيد الدمية ، وقال : - إصبعى يؤلمنى بشدة ، إفعلى شيئاً !!
قالت الدمية : - حقاً ، لقد ذكرتنى ، كان ذلك قد راح عن بالى تماماً .
وتقدمت دمية كبيرة وقالت : هل جُرحت يا " ياشار " ؟
قال " ياشار " : - نعم يا سيدتى الدمية ، لقد قطعت السكين إبهامى .
وأضافت " أولدوز " قائلاً : فى مصنع نسيج السجاد .
قالت الدمية الكبيرة : - هيا نذهب للغابة ، فإنى أعرف

مرهماً سيشفى جرحك بعد ساعات قليلة ، هيا !!

بعد ذلك أمسكت بيد " ياشار " وذهبت به .

قالت الدمية المتحدثة : - إذهب يا " ياشار " إنها دمية عطوف تعرف دواءً ممتازاً من العشب .

ثم مر الإثنان من وسط الدمى حتى وصلا إلى أسفل الأشجار ، وافسحت حيوانات الغابة لهما الطريق ، وكان هناك أرنب أبيض يلوك ساق نبات ، فقالت له الدمية : - يا رفيقى الأرنب : هل تستطيع أن تذهب إلى الغابة ، وتحضر لنا ورقة

عريضة أوورقتين من هذا العشب ؟!

قال الأرنب : - من الذى ستعالجين جرحه هذه المرة ؟

قالت الدمية : - سوف أعالج جُرح " ياشار " وسنظل جالسين هنا تحت شجرة السرو .

لم يقل الأرنب شيئاً ، بل قفز وغاب وراء إحناءات الغابة ، وجمعت الدمية عدة أصناف من أوراق الأشجار والأعشاب ، ثم جلست تحت شجرة السنار ، ووضعت حجراً عريضاً وأخذت تدق ورق الأشجار والأعشاب . كانت الدمى الأخرى لانتشاهد من هذا المكان ، كانت تشاهد فحسب بشكل أو بآخر وسط أعمود الأشجار وأوراقها .

قال " ياشار " : - سيدتى الدمية : أتعرفين الطاووس ؟!!

قالت الدمية : - أعرفه جيداً ، فهو نفاج دائماً ومغرم بالتظاهر .

قال " ياشار " : - أخذتنا الدمية المتحدثة أمامه لكي نتحدث ، ولكنه تحدث عن نفسه طوال الوقت .

قالت الدمية : - لقد أخذتكما الدمية المتحدثة أمامه لكي تريا بأعينكما كيف يكون شكل المتكبرين .

قال " ياشار " : - لقد قلت له أن يعطيني ريشة أوريشتين من ريشه لأحفظهما فى طيات كتبى ، ولكنه لم يعطينى ، وقال أن ريشاته ليست رخيصة كما أعتقد .

قالت الدمية الكبيرة - والتي كانت لا تزال تدق أوراق الشجر والأعشاب - : إنه يتحدث بلا معنى ، ففى هذه الأيام يتساقط ريشه ، وتستطيع أن تأخذ منه كيفما شئت .

قال " ياشار " : - أحقاً ؟!

قالت الدمية : - فى مثل هذه الأيام من كل عام يتساقط ريش الطاووس .

قال " ياشار " : - ترى كيف يصير شكله فى ذلك الوقت ؟!!

قالت الدمية : - عبارة عن شئ قبيح ، ومنظر مُنفر ، خاصة وهولا يستطيع أن يخفى رجليه القبيحتين .

ليالى الغابة المظلمة ...

ويراعة الليل المضيئة

بينما كان " ياشار " ينظر فى ظلمة الغابة وقعت عيناه فجأة على ضوء ضعيف يقترب منهما من وسط الأعشاب ببطء شديد ، فقال للدمية : - سيدتى الدمية من أين ينبعث هذا الضوء ؟!!

نظرت الدمية وقالت : - هذه هي اليراعة المضيئة ، إنها فراشة طيبة ، وهى ترسل ضوءاً خافتاً فى الظلام ، وأظن أنها تأتى نحونا ، إنها لا تحب أن تبقى فى الظلام .
 إنتظر " ياشار " والدمية حتى وصلت اليراعة وألقت عليهما السلام ، قالت الدمية : - سلاماً أيتها اليراعة ، إلى أين تريدان الذهاب ؟

قالت اليراعة : كنت أتجول فى الغابة المظلمة ، وعندما سمعت صوتكما قلت لنفسي ، عندى ضوء قليل ، فلماذا لاأتى ؟؟؟

فشكرتها الدمية وأشارت إلى " ياشار " وقالت : - إننى أعد مرهماً لجرح " ياشار " إنه ولد طيب ، فلتتعرفى عليه .
 وأخذ " ياشار " واليراعة يتحدثان وقد أخبرها " ياشار " عن المدرسة ونسج السجاد ، وأمه وأبيه . وحدثته هي أيضاً عن الغابة والحيوانات والأشجار وليالى الغابة المظلمة ، بينما أعدت الدمية الكبيرة المرهم وجهزته ، ثم ذهبت بعد

ذلك إلى إحدى الأشجار الضخمة وقطعت إحدى ثمارها وأحضرتها ، ثم عصرت الثمرة وأخذت ماءها وغسلت به جرح " ياشار " ونظفته .

أى نور ولو كان ضئيلاً...

فهو أيضاً نور...

رقع فوق ركبة " ياشار " :

بعد عدة دقائق وصل الأرنب ، وكان يمسك بين أسنانه ورقتين ناعمتين عريضتين ، فأعطاهما للدمية ، وعندما رأى اليراعة سلم عليها وقال : - يا له من مجلس ودى عجيب .

قالت اليراعة المضيئة : - يا رفيقى الأرنب : أنا دائماً أسعى لإضاءة مجلس الآخرين المظلم ، إننى أضئ الغابة ، ومع ذلك هناك بعض الحيوانات فى الغابة يسخرون منى ويقولون : أكون الربيع بوردة واحدة ، فأنت تسعين بلافايدة ، كيف بنورك الضئيل تضيئ الغابة المظلمة ؟

قال الأرنب : - هذا كلام القدماء ، ولكن نحن نقول : إن أى نور مهما كان ضئيلاً ، فإنه يضىء أيضاً .

دهنت الدمية الجرح بالمرهم ، ووضعت عليه ورقة الشجرة ، وسألها الأرنب : - سيدتى الدمية : هل تحتاجينى مرة أخرى ؟

قالت الدمية:- لى طلب واحد عندك ، ذلك الطاووس
الجالس على شجرة لسان العصفور بجوار البركة ، فى هذه
الأيام يتساقط ريشه ، فلتذهب وتصنع معه أى شئ ليهتز
فتسقط منه ريشة أوريشتان وعندئذ خذها وأحضرها
لنعطها لـ "ياشار" فإنه يرغب فى وضعها بين طيات كتبه.
ذهب الأرنب ، وقالت اليراعة : هل هو نفس الطاووس
المغرور ؟

قالت الدمية :- نعم !!

وقال "ياشار" :- نعم ، إنه يدل بريشه جداً .

قالت اليراعة : يا رفيقى "ياشار" أنظر للسيدة الدمية :
إنها ترتدى ثياباً ملونة ، كم هي جميلة !! إنها أجمل من
الطاووس ، ولكن ليس لديها ذرة واحدة من غرور أو تكبر ،
لذلك فإنها إذا خلعت ملابسها ، وألقت بها بعيداً سنظل
نحبها أيضاً ، كما انها لن تصبح قبيحة المنظر ، فهي
بثيابها مثلما هي بدونها .

لم تكن الظلمة دامية وسط الأشجار ، وأخذ "ياشار"
يتحسس الرقعة الموجودة على ركبته ، ثم نظر لأكامه
الممزقة ، وقدميه الحافيتين وكعبيه المتشققين ، ولم يقل شيئاً .
قالت الدمية :- "ياشار" ، لا تعتقد أننى مثل الطاووس
أسيرة لثيابى الملونة ، فقد ألبسونى إياها فى البيت ، فأنا
أعيش فى بيت أناس أغنياء والدمية المتحدثة تعرف بيتنا
جيداً .

وقطعت الدمية قطعة من طرف قميصها وربطت بها يد
 " ياشار " ، وعندما نهضوا
 لكى يذهبوا ، قالت اليراعة : - سأبقى هنا حتى يعود
 صديقنا الأرنب ، لأرسله وراءكما .
 كانت الدمية و " ياشار " لا يزالان فى وسط الأشجار ،
 حتى وصل إليهما الأرنب ، وكان فى فمه ريشتان جميلتان
 للطاووس ، فأخذ " ياشار " الريشتين ومضوا فى طريقهم .

أجمل رقصات العالم :

كانت " سارة " كبيرة الدمي تتحدث بجوار البركة ،
 والدمى الأخرى صامته منصته ، وكانت " أولدوز " تقف فى
 أحد الأركان .
 وكانت " سارة " تقول : - لن أزعجكم أكثر من ذلك ،
 وسوف نرى بعضنا مرة أخرى فى الخلوة الصغيرة ، وفى
 نهاية حديثى أوجه شكرى مرة أخرى للضيفين العزيزين ،
 لأنهما استطاعا بعطفهما وإخلاصهما أن يجعلا دميتهما
 تتحدث ، فجميعنا نعرف أنه لا يوجد طفل حتى الآن
 استطاع بسلوكه الحسن أن يجعل دميته تتكلم ، لذا أتمنى
 أن تدوم صداقة " أولدوز " و " ياشار " ودميتهما ، والآن
 ترحيباً وافتخاراً بضيفونا الأعزاء ، فلنرقص رقصة الوردة
 الحمراء .

صفق الجميع لـ "سارة" وتفرقوا ، وأجلست الدمية
المتحدثة الأطفال على صخرة مرتفعة وقالت : - إجلسا
هنا وتفرجا على رقصة الورد الحمراء ، أفضل رقصات
الدنيا .

رقصة الورد الحمراء

تشيد الورد الحمراء :

خلا الميدان للحظة، وكانت الحيوانات ملتفة حول
الأشجار والطيور من فوق الأشجار، ولم يكن هناك شئ
يشاهد أكثر من ذلك . ثم انبعث صوت الموسيقى الحاملة
الجميلة ، ودخلت الميدان عشرة أو عشرون دمية ترتدين
الملابس البنفسجية وتعزفن ، ومشين ببطء شديد ، ثم وقفن
فى زاوية ، بعد ذلك طفا من قاع البركة قارب أبيض
عجيب بلون الثلج ، يهتز على أنغام الموسيقى وهو يتقدم ،
وكانت دمي كثيرة ذات ثياب بيضاء تقفن فى صمت على
القارب ، وصوت خرير الماء ينبعث من البركة كالهمس ،
وكان الكثير من البط والبجع يتجمع أمام القارب وخلفه
ويدفعونه ، وكذلك الأسماك الحمراء الصغيرة والكبيرة
كانت تلتف حول الدمي البيضاء وهى تنزلق إلى الأمام ،
وكان ضوء القمر منعكساً فى الماء ، وعندما وصل القارب
إلى حافة الماء ، نزلت الدمي البيضاء على الأرض وهن

يرقصن ، واصطف البط والجبع والأسماك على حافة الماء ،
وأخذت الدمى تهز أجسادها وأيديها ، وترقص بهدوء ،
وكانت أذيال قمصانها تصل إلى الأرض ، وهن يرقصن ،
وتقترب كل منهن من الأخرى ، ويبتسمن ، وكن يرقصن
اثنتين اثنتين ، وثلاثة ثلاثة ، وبدأت واحدة أو اثنتان فى
الغناء ، وبعد قليل إلتحقت الأخريات بهن ، وملأت
الموسيقى والألحان فضاء الغابة .

وأخذت العرائس تغنى هكذا :

كان ياما كان

على حافة هذه المياه الزرقاء

نبتت وردة حمراء

كبيرة

جميلة

كثيرة الأوراق

وهبت الريح

تساقطت الأمطار

حلت العاصفة الثلجية

هبت العاصفة

اقتلعت الوردة الحمراء من مكانها

تساقطت أوراقها

اين ذهبتي ؟!!

ماذا فعلوا بها ؟!!

هل هي حية ؟ !! هل هي ميتة ؟ !!

لا أحد يعرف !!!

وأسفاه !! كم كانت وردة ... وردة حمراء جميلة ...

تجمعت الدمى البيضاء مغنيات وراقصات ، ووقفن بجوار

الدمى البنفسجية ، وبعد قليل ظهرت دمية صغيرة حمراء

من خلف الأشجار وأخذت ترقص .

بدأت الدمى البيضاء بالغناء :

نحن نعرفها

أوراق الورد الحمراء

من أين تأتي ؟

إلى أين تذهب ؟

لا أحد يعرف !!

أخذت الدمية تتجول هنا وهناك ، ثم خرجت من زاوية

أخرى ، بعد ذلك دخلت دمية حمراء أخرى .

وعاودت الدمى البيضاء الغناء :

ورقة حمراء أخرى

من أين أتت ؟

إلى أين تذهب ؟

لا أحد يعرف !!

وأخذت الدمية الحمراء تتجول قليلاً هنا وهناك ، وأرادت

الخروج من الزاوية ، ولكنها اصطدمت بدمية حمراء

أخرى . وأخذتا كل منهما تنظر إلى الأخرى للحظة ، ثم

أمسكت كل منهما بيد الأخرى ، وأخذتا ترقصان بأقصى سرعة ويفرحة ، رقصتا لفترة قصيرة ، ثم لحقت بهما دمية حمراء أخرى ، ثم أخرى ، وأخرى ، حتى دخلت مئات الدمى الكبيرة والصغيرة الحمراء فى الرقصة ، وأخذن يشكلن حلقة كل مجموعة على حدة ، وشرعن فى الرقص . إزداد الرقص سرعة وبهجة ، وكان القمر بدرأ فوق رؤوسهن تماماً ، فى الوقت الذى خمدت فيه النار .

صار صوت الموسيقى أكثر ارتفاعاً ، وتركت الدمى أيدي بعضهن ، وتفرقن ثم اختلطن ، وتجمعن على حافة البركة . كانت " أولدوز " و " ياشار " مازالا جالسين على الحجر ، وكانا مشدوهين من رقص الدمى لدرجة لا يمكن وصفها ، حتى أنه كان قد نسى ريش الطاووس ، وفجأة رأيا وردة حمراء نمت على حافة البركة ، وكانت كبيرة ، جميلة كثيرة الأوراق ، وبدأت تتمايل وترقص ، ثم تحركت الدمى البيضاء والتفتت حول الوردة الحمراء ، وشرعت هي الأخرى فى الرقص والتمايل .

وأخذت نغمات الرقص تزداد حدة وسرعة شيئاً فشيئاً ، ومن شدة انفعال الطفلين بالرقص نهضا وأمسكا بأيدي بعضهما البعض ، وقاما واندسا فى وسط الدمى ، واندمجت معهما أيضا الحيوانات والطيور والأشجار .

وأخذت الدمى ترقص وترقص ، ولما حان الوقت تفرقن

جميعاً ، وعاد الميدان خالياً ، وبعد لحظة ظهرت الدمى
بملابسها الأولى .

وحان وقت الذهاب ، وبدأ ضوء القمر يتلاشى قليلاً قليلاً .

ذهاب ومجيء الحمام

اللغز الذي لا تستطيع زوجة الأب حله :

كان الفجر على وشك البزوغ ، فتحت زوجة الأب
عينها ، فرأت ثلاث حمامات يجلسن على شجرة التوت ،
وكانت كل منهن تنظر للأخرى ، ثم طارت إحداهن ،
وذهبت إلى بيت " ياشار " وخلت الإثنتان الأخريان من
النافذة . وظلت زوجة الأب تنتظر خروجهما ، ولكنهما لم
يخرجا ، فطار النوم من عينها ، ونهضت وذهبت لتنظر من
النافذة فرأت " أولدوز " ودميتها نائمتين ولا يوجد شئ آخر
فى الحجرة ، فتعجبت تعجباً شديداً وانتابها الخوف
لدرجة أنها لم تستطع دخول الحجرة ، ووقفت لعدة دقائق .
وبعد ذلك دخلت تحت غطاؤها وهى حائرة ، وكانت عينها
مثبتتين على النافذة ، وأذنها كانت تتصنت . وبعد قليل
وصل إلى أذنها صوت غريب ينبعث من الحجرة ، وبعد
ذلك أجاب هذا الصوت صوت آخر همسا ، وكان هناك
شخصين يتحدثان . وأخذ العرق يتصبب من زوجة الأب
خوفاً ، فثبتت عينها على النافذة ، ووصل همس شخص فى

أذنها مرة أخرى ، وفى هذه المرة سمعت زوجة الأب اسمها
يتردد ، فازداد خوفها ، وأيقظت زوجها ، وقالت
له : - إنهض ، وانظر ماذا فى الغرفة ، فإننى خائفة !!
قال الأب : - نامى يا امرأة .. من يأتى فى الصباح ليسرق
من بيوت الناس ؟

قالت زوجة الأب : - إنه ليس لصاً ، إنه شئ آخر ، فهناك
حمامتان قد دخلتا الغرفة ، ولم تخرجا بعد !!
ونفض الأب من أجل زوجته وذهب ، ونظر من النافذة
فرأى " أولدوز " نائمة وتحتضن دميته ، فساد إلى زوجته
وقال : - أرايت يا امرأة ؟ ماذا أصاب عقلك حتى ترى
الحمام فى الحلم ، إنهضى وأشعلى السماور ، وأبعدى هذه
الأفكار الصبائية عن رأسك .

فنهضت زوجة الأب ، وذهبت إلى المطبخ لتشعل النار
وذهب الأب إلى الخلاء وأخذ معه الإبريق ، وكانت " برى "
لا تزال نائمة ، ولو أنها كانت مستيقظة لكانت قد رأت
حمامة بيضاء وهى تطير من بيت " ياشار " وتدخل من
نافذة بيتهم ، وبعد ذلك ازداد الهمس ارتفاعاً .

وكانت زوجة الأب تمسك بيدها منقاداً ، وأخذت تعبر
الدھليز ولكنها سمعت صوت الحديث : قال صوت :
إنهضى أيتها الدمية المتحدثة ، وإظلى عنى جلد الحمام
ثم عاودى النوم .

قال صوت آخر : - حسناً فعلت بمجيئك لأننى كنت قد نسيت أنك ذهبت إلى بيتك وأنت داخل جلد الحمام ، تعالى لأخرجك من جلدك .

قال الصوت الأول : لابد أن نذهب إلى بيتنا ... فهنا لا ينفع قال الصوت الثانى : - نعم ، طرّواذهب ، فلا يجب أن يراك أحد هنا .

وكادت زوجة الأب أن تجن ، وصرخت من الخوف ، وأسهرت إلى الغناء ، وكان الأب جالسا على حافة الحوض يغسل يديه ووجهه فرأى حمامتين بيضاوين ناشرتين أجنحتهما ، تطيران خارجتين من النافذة ، وأخذتا تطيران هنا وهناك قليلاً ، ثم حطتا فى فناء البيت المجاور من جهة اليسار . وأخذ الأب ينظر إلى الحمام وقال لزوجته : لماذا لم تكفى عن مثل هذه الحركات الجنونية ؟ ألم تكونى خائفة من الحمامتين ؟ هاهما قد طارتا وذهبتا . استيقظت " برى " على الضوضاء وجلست ، وكانت زوجة الأب تقف بجوار الحائط ، تدور كاللهب ، وقالت : - إنهم أيضاً كانوا يتحدثون ، إنهما من الجان .

كانت " برى " تقف حائرة ، وكان الأب وزوجته يتشاجران ، فلم يلتفتا إلى أن هناك حمامة بيضاء تختفى خلف سياج السطح ، وتريد أن تدخل خفية ، كانت هذه الحمامة هي الدمية المتحدثة نفسها ، وكانت عائدة من عند " ياشار " ، وعندما رأت إنه ليس هنا أحد يراها

دخلت من النافذة . وعندما رفعت زوجة الأب رأسها على صوت حركة جناح الحمامة رأتها فصرخت وصاحت قائلة : - أنظر ! هذه واحدة أخرى دلفت إلى الداخل .

جرى الأب صوب النافذة فرأى الحمامة تدخل المخزن ، فذهب الأب بنفسه إلى المخزن ولكنه لم ير شيئاً ، فوقف مذهولاً لا يتحرك لأنه لا يعرف أين اختبأت هذه الحمامة الملعونة !! وفجأة وقعت عيناه على الدمية المتحدثة واقفة خلف الباب .

كانت " أولدوز " لا تزال نائمة ، وكأنها لم تنم منذ عدة أيام ، ولذلك لم يكن يبدو عليها أنها تريد أن تستيقظ ، نظر لها الأب ورفع الغطاء عنها فوجدها بمفردها ، وداهمته فكرة : فمن الذى حمل الدمية ووضعها فى المخزن وراء الباب ؟! وكانت " برى " وزوجة الأب واقفتين أمام النافذة تحمقان فى الأب . قالت زوجة الأب : - ماذا حدث لدمية البنت ؟ فعندما جئت كانت بجوارها .

قال الأب : - إنها فى المخزن ، ولا يوجد حمام أيضاً . قالت زوجة الأب : - على ما أعتقد أن هذه الدمية بها شئ ، أخشى أن تكون سبباً فى بلایا تل بنا .

وقرأت زوجة الأب الأدعية وعودت نفسها ، ويعد ذلك قالت : - الآن ! أيقظ هذه البنت !!

هز الأب بطرف رجليه " أولدوز " وقال : - انهضى يا بنت "ياشار" كان قد صار مشمولاً ببركة الأئمة :

عادت أم "ياشار" ظهرها لبيتها ، فرأت "ياشار" لا يزال نائما . وكانت كلثوم منذ الصباح وحتى الظهر عند زوجة أب "أولدوز" ، تغسل الملابس وتنظف المكان من لحم البقرة العفن ، وحملته وألقت به إلى كلاب الطريق .

كان الجو حارا ، وكان "ياشار" يتصبب عرقا ، لذلك القى بغطائه بعيدا ، وكان ينام على جانبه الأيسر وقد رفع بركبته حتى بطنه . ونظرت أمه إليه فرأت أن قطعة القماش التي ربط بها جرحه قد تبدلت ، فلم تكن هي نفس القطعة التي ربطت بها الجرح ، لقد كانت قطعة قماش حريرية زرقاء اللون ، هزت "ياشار" ففتح عينيه وقال : - يا أمى ! اتركينى أنام قليلاً

قالت أمه : - إنهض يا بنى ، فقد صار الوقت ظهوراً ، منذ متى وأنت كسول هكذا ؟ من أين أحضرت قطعة القماش الزرقاء هذه وربطت بها جرحك .

نظر "ياشار" بتركيز شديد لإبهامه ، وفجأة تذكر كل شئ وظل - للحظة - حائرا مترددا ، وجلست أمه أعلى رأسه ، وأخذت تجفف عرقه بعباءتها وقالت : - لم تقل يا بنى من أين أتيت بقطعة القماش النظيفة هذه ؟

قال "ياشار" : - رأيت فى الحلم أن رجلا نورانيا جاء وجلس بجانبى وقال لى : - يا بنى ! أتريد أن أشفى جرحك ؟ قلت : - ولم لا أريد يا سيدى ! فأخرج الرجل النوراني مرهما من جيبه وربط جرحى مرة أخرى وقال

لى :- عندما تستيقظ ستجد أن جرحك قد تحسن .
صمت " ياشار " برهة ، ثم قال مرة أخرى : - لقد كان رجلاً طيباً جداً ، ولم أستطع أن أصف لك كم كان نورانياً ، فعندما ربط جرحى قال لى : - أنظر ما الذى يقف خلف رأسك ، فنظرت خلفى ولم أَر شيئاً وعندما أدبرت رأسى للأمام لم أَر شيئاً ، كان الرجل قد اختفى .
أخذت أم " ياشار " تنظر إليه وهى حائرة ، وكانت تجلس صامتة ، فخاف " ياشار " فى بادئ الأمر ، لكنه بعد ذلك فهم أنها اقتنعت بكلامه .

قالت أمه : - أقلت أن وجهه كان نورانياً ؟!
قال " ياشار " : - نعم يا أمى ! مثل نفس اليوم الذى قلت أنه قد جاء لجذتى فى الحلم وأبرأ قدمها المشلولة . أنظرى ! لم يعد جرحى يؤلمنى مرة أخرى .
غلب البكاء أم " ياشار " فأخذت تبكى سروراً وحنيناً . واحتضنت ابنها ، وقبلت رأسه ووجهه وقالت : - لقد صرت مشمولاً ببركة الأئمة يا بنى ، إنهم سعداء بك ، مسرورون منك ، أه لو يعرف أبوك ، أقلت إن إصبعك لم يعد يؤلمك ؟!!

قال " ياشار " : - أصبح مثل الأصابع الأخرى ، وأستطيع أن أعمل مرة أخرى من الغد .

رفع " ياشار " الرباط من جرحه ، ورفع ورق الشجر ومرهم العشب وأراه لأمه ، وكان مكان الجرح أبيض وليس به أى

صديد أو تلوث ، ثم ربط الجرح مرة أخرى ولملم " ياشار " غطاءه وحشيته ووسادته ووضعهم في أماكنهم وقال :-
الجوالوم حار يا أمى ، فلننم اليوم فوق السطح .
بهتت أمه ، ولم تقل شيئا ، فتركها " ياشار " وذهب إلى
الفناء ليغسل يديه ووجهه . وبضلت " كلثوم " إلى الغرفة ،
وأخذت تقرأ الدعاء وتشكر ربها ، وتذكر " ياشار " لتوه أنه
نسى ريش الطاووس في الغابة .

النمل الفارسي :

كان " ياشار " يقف على حافة البركة يقضى حاجته ، ف وقعت عيناه على كارع البقرة ملقاة بجوار الحائط ، وكانت هناك قطعة سوداء تنشم في الأرض ، لم يفهم " ياشار " شيئا من وجود كارع البقرة ، ولكنه سرعان ما تذكر ما قالته " أولدوز " والدمية له بالأمس .
بالأمس عندما عادوا من الغابة كانت " أولدوز " قد قالت له :- ستأتى أمك فى الصباح إلى منزلنا ، وسوف أرسل معها كارع البقرة فلتحافظ عليها جيدا .
فقال لها " ياشار " :- ولماذا أحافظ عليها ؟!
فأجابته الدمية : هذه البقرة لم تكن عادية ، فلتحافظ على كارعها ، إنها من الممكن أن تنفعنا ، فعندما نصادف مشكلة نستطيع أن نطلب منها المساعدة .
وأثناء استغراق " ياشار " فى التفكير علا صياح " أولدوز "

وصراخها، وسمعها تقول أثناء صياحها : - لا تفعل ي
أمى !! لن أفعل بعد ذلك ، ساعدنى يا خالتى " برى " !! آه
سأموت !

كان " ياشار " يقف على حافة الجدول وهو مذهول ،
لا يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل . فأسرع وتوجه نحو كارع
البقرة وحملها وهمس لها قائلاً : ستقتل زوجة الأب
" أولدوز " ، ماذا نفعل الآن ؟

سمع " ياشار " صوتاً ضعيفاً يقوله له : - إلق بى فوق
السطح ، وانتبه للقطعة السوداء .

ضرب " ياشار " القطعة السوداء وأبعدها عن البيت ثم ألقى
بكارع البقرة على السطح ، فأحدثت صوتاً عند ارتطامها
بالسطح ، فصاحت أمه من الغرفة قائلة : - " ياشار " ! ما
الذى ارتطم بالسطح الآن ؟

قال " ياشار " : - لا شئ ! كارع البقرة التى كنت قد
أحضرتها لى ، ألقيت بها فوق السطح ليتيبس
قالت أمه : أهى التى أعطتها لى " أولدوز " ، ليس واضحاً
ماذا تريد أن تفعل بكارع البقرة ؟!

قال " ياشار " : - يا أمى ! أظن أن زوجة الأب تضرب
" أولدوز " أليس من الأفضل أن تطلى عليهم !!
قالت أمه : - الموضوع لا يخصنا يا بنى ، فكل شخص
يعرف مصلحته أكثر من الآخرين .

قال " ياشار " : - فى النهاية يا أمى !!!

قالت أمه : - أسرع واغسل يديك ووجهك ، وتعال لتناول الغداء .

لم يتلکأ " ياشار " بل صعد على السلم الموصل للسطح ، فقال له كارع البقرة : - لقد أرسلت عشرة أو عشرين نملة من أتباعي ليحاسبوا زوجة الأب ، فلتحتط من القطة السوداء ، فأنا أخاف أن تخطفني ذات يوم وتأكلني . أخذ " ياشار " يتلفت حوله فرأى القطة السوداء تتسلل ، فالتقط حجرا وقذفها به ففرت هاربة .

أى مذاق للفلفل ١٩

النمل الفارسي يصل لنجدة " أولدوز " :

﴿ الآن نرى ماذا حل بـ " أولدوز " ... فلنعد إلى الورااء قليلا ، ولنذهب إلى " أولدوز " وزوجة أبيها . كان بيت أبى " أولدوز " عبارة عن غرفتين قبليتين ، وممر فى الوسط وغرفة جلوس بها صندرة أيضا ، وغرفة أخرى للضيوف ، وغرفة استقبال . وكان هناك مطبخ صغير فى نهاية الممر ، وفى الجهة الأخرى من الفناء دورة المياه ، ومكان آخر مثل الغرفة به الفرن ، فوقه أيضا فتحة بالسقف ، وهناك سلم يمر من جانب حجرة الإستقبال ويوصل إلى السطح .

وفى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه أم " ياشار " إلى بيتهم ، كانت زوجة الأب جالسة فى المطبخ تعد لنفسها عجة ، وقد تركت " برى " خلف باب الحجرة لتتخلص على " أولدوز " وتكتشف سرها ، فكانت زوجة الأب قد أحست منذ الصباح أن هناك سراً أكيداً بين " أولدوز " والدمية . كانت " برى " تقف خلف الباب تتصنعت وتراقب " أولدوز " من ثقب الباب ، ولم يكن الأب قد عاد من عمله عندئذ .

وحتى هذه اللحظة لم تكن " أولدوز " قد وجدت فرصة للتحدث مع الدمية ، وكان الأب وزوجته يجتهدان ليجبراها على الكلام ، ولكنهما لم يستطعا ، وكانت " أولدوز " تتظاهر بأنها لا تعرف ، وعندما اطمأن قلبها بأنه ليس هناك أحد يراها ، ذهبت إلى دميته وقالت لها: - أصبحت زوجة أبى عيناً ترى وأذنأ تسمع فقط ، وأتصور أنها قد عرفت قصتنا .

قالت الدمية المتحدثة : - من الأفضل أن نبتعد عن بعضنا لعدة أيام .

قالت " أولدوز " : - خالتي " برى " ليست سيئة ، أما زوجة أبى أعوذ بالله منها ! فإنها إذا عرفت أن لدى دمية تتكلم ، فإنها لن تصبر ولوحتى دقيقة واحدة ، فسوف تشعل الفرن ، وتلقى بك داخل النار ، فتحترق وتصبحين رماداً .

أثناء المحادثة نهضت "برى" وذهبت إلى زوجة الأب وأخبرتها ، فألقت زوجة

الأب بالجاروف الذى كان فى يدها ، ووقفت خلف الباب ولكن الصوت انقطع ، فرأت "أولدوز" من ثقب باب المخزن - الذى - أحكمت "أولدوز" غلقه وقد ذهبت وجلست بجوار الحائط ، وأخذت تعد أصابعها وتلهو بها ، وفتحت زوجة الأب الباب وقالت لها : - مع من كنت تتحدثين ؟ قولى بسرعة ؟ وإلا وخزت يدك بالإبرة ، يا قليلة الحياء!!

خافت "أولدوز" ، وأرادت أن تقول شيئاً ، ولكنها أخذت تتلعثم من شدة الخوف ، فسحبت زوجة الأب إبرة من ياقنتها ووخزت "أولدوز" فى يدها ، فأخذت "أولدوز" تصرخ وتبكى ، وكررت زوجة الأب نفس العمل ، وحاولت "أولدوز" أن تخلص نفسها ، ولكن "برى" أمسكت بها وأوقفتها أمام زوجة الأب التى أخذت توخز يدها الأخرى وتقول لها : - الآن لا تستطعين الكذب ... فأنا لست أباك الذى تستطعين الضحك عليه فقولى ما هي حكاية دميترك المسوخة تلك ؟ أتقولين ؟ أم أملاً فمك بالفلفل ؟! قالت "أولدوز" وهى تبكى : - أنا لا أعرف شيئاً يا أمى ... لا أعرف شيئاً ؟!

التفتت زوجة الأب إلى "برى" وقالت لها : - برى !! إذهبي واحضرى زجاجة الفلفل بسرعة ، الفلفل يستطيع

جيداً أن يجعل هذه تتحدث .

أسرعت " برى " وأحضرت زجاجة الفلفل ، ووضعت زوجة الأب مقداراً من الفلفل بكف يدها ، وأرادت أن تمسك بـ " أولدوز " ولكنها فرت من يديها واحتمت بجوار الحائط ، فقالت زوجة الأب لـ " برى " : - تعالى وامسكى يديها لابد أن أعرفها اليوم ما معنى زوجة الأب .

طرحت " برى " وزوجة الأب " أولدوز " على ظهرها ، وجلست زوجة الأب على رجليها ، و " برى " أعلى رأسها ، وأمسكت يدي " أولدوز " بإحكام ، ثم فتحت زوجة الأب فم " أولدوز " وأرادت أن تضع الفلفل في فمها ، فعلا صياح اولدوز ، وأخذت تبكى حتى أن بكاءها وصل إلى البيوت المجاورة وأخذت " أولدوز " تصيح وتقول : - تبت ، ساعدينى يا خالتي " برى " !!

ولم تقل " برى " شيئاً ، وقالت زوجة الأب : - ما لم تقولى الصدق ، فلن تستطيعى أن تخرجى سالمة من يدي .
قالت " أولدوز " باكياً : - أنا لا أعرف شيئاً ! اتركونى ... آه ساموت .

حاولت " أولدوز " تخليص نفسها ، ولكن زوجة الأب ملأت فمها بالفلفل وقالت : - الآن كلى الفلفل ، وأنظرى أى مذاق له .

أصاب " أولدوز " سعال فبصقت فى وجه زوجة الأب ، فدخل الفلفل في عينيها ، وفزعمت " برى " ونهضت من

مكانها ، ووضعت يدها على قفاهها ، فقد لدغتها ضلة
فارسية بكل قوتها ، ولدغت ضلة أخرى قدم زوجة الأب ،
وثالثة لدغت ساعد " برى " ورابعة لدغت ظهر زوجة
الأب ، فهرعت الإثنتان إلى الفناء بعد أن سحقنا النمل
بأحذيتهما ، ولكن مكان لدغة النمل ظل يؤلهما حتى أن "
برى " أخذت تبكى بحرقة ، وكانت " أولدوز " ملقاة على
وجهها فى وسط الغرفة وهى تضع يدها على فمها وتتألم .
وانبعثت رائحة احتراق الطعام من المطبخ .

ضيوف زوجة الأب و " برى " :

كان المغرب على الأبواب ، وكان " ياشار " قد ترك
مكانه فوق السطح ، ثم جاء وجلس على حافته ، وأرجله
تتدلى ، وأخذ يشاهد غروب الشمس ، الشمس الذهبية
والألوان المتداخلة فى الأفق ، والسحب التى تبدو وكأنها
مشاعل للغروب ، كانت تبدوله دائماً جميلة ، وحل الليل ،
وسطعت النجوم ، وتناثرت هنا وهناك ، وبدأت تشع
بنورها وتلألأ وتومض .

وفزعه صوت " برى " من مكانه ، وكانت " برى " تقف
أمام النافذة وتقول لأمه : - كلثوم ، انهضى وتعالى لبیتنا ،
فلك رسالة من زوجك .

بعد دقائق كان " ياشار " وأمه جالسين عند أبى " أولدوز "
وكانت عيونهم مركزة على فمه ، وكانت " برى " وزوجة

الأب أيضاً فى الغرفة ، ولم تكن " أولدوز " موجودة .
كان أبو " ياشار " قد أرسل الرسالة على عنوان أبى
" أولدوز " وكان قد كتب فى الرسالة أنه متوعدك ،
ولا يستطيع مواصلة العمل ، وسيعود خلال أيام إلى زوجته
وطفله .

وفى نهاية قراءة الرسالة دق الباب - فقد أتى بعض
الضيوف - كان أخوزوجة الأب وزوجته ، وابنه الصغیر
" بهرام " قد أتوا من مكان بعيد . وجلسوا ، ودار بينهم
أطراف الحديث ، وأبقت زوجة الأب " كلثوم " معها لتعد
العشاء .

كان " ياشار " أحياناً يذهب إلى أمه فى المطبخ ، وأحياناً
أخرى يجلس أسفل النافذة . ولكن لم يكن لديه ما يقول .
ومما لا شك فيه أنه لديه كلام كثير ، أما الرغبة فى القول
فليست لديه ، وكان يتمنى ألا يكونون فى حاجة إليه
ويتركونه يذهب إلى " أولدوز " .

وأثناء الكلام والضحك إلتفتت زوجة الأخ إلى زوجة الأب
وقالت لها : - جئنا لناخذك أنت و " برى " فلنتحرك فى
الصباح !

قالت زوجة الأب : - هل عاد خطيب " برى " ؟
أجابت زوجة الأخ : - نعم ، وزفافها غداً
وفى ذلك الوقت نظرت زوجة الأخ إلى " برى " وضحكت .

هل سيأتى اليوم الذى يعرف فيه أحد

ماذا فعلت زوجة الأب بـ "أولدوز" !!؟

بعد أن تناولوا العشاء نهضت زوجة الأب ، وبدأت فى جمع حاجيات السفر من ملابس وأشياء أخرى كانت تلزمها ، ولما فتح باب المخزن وقعت عينا "ياشار" على "أولدوز" التى كانت نائمة على ظهرها ، وكانوا قد ربطوا فمها بقطعة من القماش .

قالت أم "ياشار" : - ماذا حل بهذه البنت ؟ إنها لم تتناول العشاء أيضاً .

قالت زوجة الأب : إنها مريضة ، ومن الأفضل ألا تتناول شيئاً .

قالت كلثوم : - ماذا بها ؟

قالت زوجة الأب : - إن فمها ملتهب .

كانت كلثوم وزوجة الأب يتحدثان فى المخزن ، وكان أخو زوجة الأب جالساً بجوار باب المخزن ، فسمع كلامهما ، وكان الباب مفتوحاً إلى نصفه ، فرأى "أولدوز" فالتفت إلى الأب وقالت : - مازالت هذه البنت لديكم ! كنت أظن...

فقاطعه الأب قائلاً : نعم ، مازالت عندنا إلى الآن !
نظر الأخ إلى زوجته ونظرت هي الأخرى إليه ولم يقلوا شيئاً .

من الذي يخاف من الظلمة ؟

كيف يكون الليل فوق السطح !

حل الليل ، وكانت كلثوم تغسل الأواني فى المطبخ ،
وكان الآخرون يتحدثون ، فقال " بهرام " لأمه : - أمى !
أريد أن أقضى حاجة .

أجابته أمه قائلة : - إذهب بمفردك يا عزيزى .

قال بهرام : - لا ، إنى خائف .

إلتفتت زوجة الأب إلى " ياشار " وقالت له : - إنهض
واذهب مع بهرام

كان " ياشار " نفسه يريد أن يقضى حاجته ولكن كسله
كان قد ألصقه بمكانه وجعله لا يستطيع أن ينهض ويذهب
ليقضى حاجته ، ونهض الإثنين وخرجا ، ووقفوا على حافة
الجدول يقضيان حاجتهما ، وقال " بهرام " : - أتذهب
أنت أيضاً إلى المدرسة ؟ أنا فى الصف الرابع
قال " ياشار " : - وأنا أيضاً .

وعاد الصمت مرة أخرى ، إذ لم يكن لدى " ياشار " الرغبة
فى الكلام ، ثم قال بهرام : - أنا التلميذ الأول على الفصل ،
وقد قال أبى أنه سيشتري لى دراجة ، وأنت كيف حالك ؟
قال " ياشار " : - أنا .. لا !

وعندما أراد العودة وقعت عينا " بهرام " على الدرج ،
فسأل : - لماذا هذا الدرج ؟

قال "ياشار" : - إنه يؤدي إلى السطح ، أترغب فى الصعود إلى أعلى لتنظر؟

قال بهرام : - أنا أخاف من الظلام ، فلنذهب إلى الداخل.
قال "ياشار" : - سأصعد أنا أولاً ، ثم اتبعنى .

وقف بهرام متحيراً وقال : - ألا تخاف من الظلمة ؟!
قال "ياشار" : - لا ... فأنا أنام بمفردى ليلاً فوق السطح ولا أخاف .

قال بهرام : - كيف يكون الليل فوق السطح ؟!!
قال "ياشار" : - إذا صعدت للسطح ، سترى بنفسك .

قال "ياشار" هذا وكانت قدمه على الدرج ، وسريعاً صعد إلى أعلى ، ووقف بهرام قليلاً وهو حائر ، ثم أخذ يصعد ببطء شديد ، وأخذ "ياشار" بيده وأتى به إلى وسط السطح ، كانت النجوم ساطعة ومتألئة ، وعددها كان يبلغ ملايين الملايين لدرجة أنه لم يكن هناك شبر خال فى السماء .

قال "ياشار" : - أترى ؟

وهبط نجم إلى ما فوق رأسيهما وصنع قوساً بالسماء ، ثم وقع إلى أسفل ، وانفجر نجم آخر بعيداً عنهم ، وأخذت الكلاب تنبح فى سكون الليل ، ثم ابتعدت ، وكان هناك فراشة تمضى نحو رأس الحارة ، ومرخفاش - سريعاً - من أمامهما واصطاد الفراشة وتاه فى الظلام ، وهبط نجم

آخر كان يتبعه خط مضى ، ورائحة الحظيرة تهب من
عدة بيوت .

وأشار "ياشار" إلى طريق مكة فوق رأسيهما وقال : -
أترى هذا الضوء العريض المرسوم فى السماء ؟!

قال بهرام : - نعم

قال "ياشار" : - إنهم يطلقون عليه طريق مكة .

قال بهرام : هل الحجاج يذهبون إلى مكة من هذا
الطريق ؟

ضحك "ياشار" وقال : - لا يا أخى إن الجهلاء هم الذين
يطلقون عليه طريق مكة ، فهذه النجوم الصغيرة والكبيرة
المتراصة بجانب بعضها لا تتخيل أنها ملتصقة ببعضها ،
فبينها مسافات بعيدة وشكلها يبدو هكذا من بعيد .

قال بهرام : - لكن لماذا يطلق الناس عليه طريق مكة ؟

قال "ياشار" : - من المعروف أن القدامى لم يكن لديهم
علم ، ولذلك فقد كانوا يحيكون الخرافات حول الأشياء
التي لا يعرفونها ، وهذه أيضاً إحدى الخرافات .

قال بهرام بتردد : - ألا تخلق هذا الكلام ؟!

قال "ياشار" : - لقد تعلمته من مدرسنا ، ألم يقل لكم
معلمكم مثل هذا الكلام ؟

قال بهرام : - لا ، نحن نقرأ درسنا فقط .

قال "ياشار" : - أليس هذا الكلام درساً ؟

وكان هناك نجم يتلألأ فى أحد أركان السماء ، ويتقدم

بسرعة ، فقال بهرام دون أن يجيب عليه " ياشار " : -
أنظر إلى ذلك النجم ، إلى أين هو ذاهب ؟
قال " ياشار " : - هذا ليس بنجم ، إنه قمر صناعى أرسلوه
من الأرض إلى السماء .

قال بهرام : - إلى أين هو ذاهب ؟
قال " ياشار " : - يظل يدور حول الأرض هكذا .
قال بهرام : - لا تخدعنى ، أنت تخلق هذا الكلام .
قال " ياشار " : - هل أخلق الكلام ؟ لقد قاله المعلم لنا ،
تستطيع أنت أيضاً أن تسأل معلمك .

قال بهرام : - معلمنا لا يقول مثل هذه الأشياء .
قال " ياشار " : - لا بد أنه لا يعرفها ليقولها .
قال بهرام : - لا ، معلمنا يعرف كل شئ - هو يقول ذلك -
إنك تكذب .

وبينما كان سوق الكلام يحتد ، ارتفع فجأة صوت زوجة
الأب من الفناء قائلة : أين أنت يا بهرام ؟
فقفز الطفلان من مكانهما ، وتذكر بهرام مرة أخرى ظلمة
الليل ، وأراد أن يبكى ، فأخذ " ياشار " يده وقال له :
لاتخف يا ولد ، فأنا واقف بجوارك .

عرفت زوجة الأب صوت " ياشار " وصاحت قائلة : -
يا عجل ! لماذا أخذت الطفل فوق السطح ؟
ثم صعدت فوق السطح سريعاً ولم تتكأ وأخذت بهرام من
يد " ياشار " وأنزلته وقالت له : فلتذهب إلى الجحيم يا متشرد

فقال لها "ياشار" : يا فاجرة
 فاستشاطت زوجة الأب غضباً ، وصفعت "ياشار" على
 وجهه صفة شديدة ، ثم أخذت بهرام من يده ونزلا . وقف
 "ياشار" لحظة وكاد ينفجر من شدة الغيظ وأخذ يبكي ،
 وعاد إلى سطح بيتهم ، وألقى بنفسه وتمدد على وجهه في
 فراشه .

القطعة فعلت ما تريد :

استيقظ "ياشار" في الصباح على جلبة المسافرين ،
 وكانت الشمس قد سطعت
 وراء السطح بحارة مقبولة ، وكانت أمه قد حملت حقيبة
 زوجة الأب ، وكانت آخر من خرج من الباب ، وخلا
 البيقان فتشأب "ياشار" ونهض ونزل على الدرج وذهب
 إلى "أولدوز" وكانت "أولدوز" قد رفعت قطعة القماش
 من على قمها ، وأخذت تبحث في كل زوايا المخزن
 وأركانها ، فنادى عليها "ياشار" : - "أولدوز" ، عن أي
 شيء تبحثين ؟

رفعت "أولدوز" رأسها وقالت : - أهذا أنت يا "ياشار" ؟
 قال "ياشار" : - نعم ! ماذا حل بالدمية ؟
 قالت "أولدوز" : - لا أعرف ! لم أجدها .

وأوجزت "أولدوز" لـ "ياشار" ما حدث لها بالأمس في
 عدة كلمات ، وأيضاً قص هو عليها قصة كارع البقرة

ونملها ، ثم شرعاً فى البحث فى كل مكان ولكنهما لم يجدا شيئاً ، قال " ياشار " : - مصيبة أن تكون زوجة الأب قد سرقتها منا !!

قالت " أولدوز " : - ماذا نستطيع أن نفعل ؟

قال " ياشار " : - النمل يستطيع أن يجدها لنا ، حتى ولو كانت تحت الأرض فإنه يستطيع إحضارها والإتيان بها .
قالت " أولدوز " : - أسرع وأحضر لنا كارع البقرة .

ذهب " ياشار " مسرعاً فرأى القطة السوداء فوق السطح وبين أسنانها شئ ، وتبتعد مسرعة ، نزل " ياشار " وذهب إلى كوخ الكلب الذى فى زاوية الفناء ، وكان قد أخفى كارع البقرة هناك ، وكان الكوخ خالياً ، وعاد مسرعاً إلى السطح ولكنه لم يجد القطة السوداء ، فنزل مرة أخرى ، ثم عاود الكرة ، وأخذ يكرر هذا العمل عدة مرات بلا فائدة ، ولم يعرف مطلقاً ماذا يجب عليه أن يفعل . وفى النهاية انتبه على صوت أمه وهى تنادى عليه . وكانت أمه عند حافة الجدول تغسل يدى " أولدوز " ووجهها ، فذهب " ياشار " إليهما فقالت أمه له : - " ياشار " ! إذا كان إصبعك لم يعد يؤلك فمن الأفضل ان تذهب إلى عمك .

فقال " ياشار " : - ألن تذهبنى يا أمى لغسل الملابس ؟

قالت كلثوم : - قال لى أبو " أولدوز " أن أبقى فى البيت لرعاية " أولدوز " وأعد الغداء لها أيضاً .

قال " ياشار " : - هل سيأتى أبى اليوم ؟

قالت أمه : - إذا جاء ، سأخبره .

دمية بطول " أولدوز " :

أغنية أطفال النسيج :

وصل أبو " يشار " بعد يومين أو ثلاثة تقريباً ، وكان مريضاً لدرجة أنه كان ينام من الصباح حتى المساء وهو يتألم ، أحضرت كلثوم و " يشار " الطبيب له واشترى له الدواء ، ولذلك لم تستطع أم " يشار " أن تذهب إلى العمل ومكثت في البيت لترعى زوجها و " أولدوز " ، وأحياناً كانت تصنع دهان الوجه ، وكانت جاراتها يأتين إليها ، ويشترين منها أو تذهب هي لتبيعه في الحمامات .

كان " يشار " يعمل نساجاً ، وكانت أغلب نفقات المنزل على كاهله ، وفي الوقت الذي لا يعمل فيه كان يذهب دائماً إلى " أولدوز " وظل عدة أيام في حزن وحسرة على الدمية ، ويحثها عنها كثيراً بلا فائدة ، ولكنهما في النهاية قررا أن يصنعا دمية أخرى ، وأسرعاً في العمل .

تعلمت " أولدوز " من أم " يشار " لضم الإبرة ، والقص والحياسة ، وأخذت هي و " يشار " يجمعان قطع القماش المختلفة من هنا وهناك ، وانشغلا في العمل ، وأحضر " يشار " بقايا الصوف من المصنع ليحشوها يدي الدمية ورجليها . وأرادا أن يصنعا دمية بطول " أولدوز " ، وقررا أيضاً أن يرسم " يشار " وجهها . وكانا صنعا قدأعضاء

الدمية عضواً عضواً ، ويضعها جانباً ثم يحكيها ببعضها بعد ذلك ، أما بالنسبة لصنع رأسها فقد استفاداً من كرة بلاستيكية قديمة ، وغلفهاها بقماش أبيض . وجلس " ياشار " فى يوم الجمعة حتى العصر ، يرسم عينيها وفمها وبقية ملامحها .

ومضى عشرون يوماً حتى وقفت الدمية على قدميها ، وكانت بطول " أولدوز " ولكنها كانت عابسة لم تكن سعيدة . وجلس الطفلان يفكران ماذا أصاب دميتهما ؟!! لماذا هي عابسة لا تضحك ؟ فتوصلا فى النهاية إلى أنها تريد ثوباً .

ولم يكن من السهل إعداد ثوب لدمية كبيرة فذلك يحتاج إلى قماش كثير ، كذلك فإن القص والحيكة عمل صعب . وظل الطفلان على هذا الحال يومين أو ثلاثة ، ولم يصل تفكيرهما إلى شئ .

فى بداية الأسبوع كان " ياشار " يحضر أجره ويعطيه لأمه ، وكان يأخذ منها قرشاً كل يوم ، وقال " ياشار " لـ " أولدوز " ذات يوم : - سوف أأخذ مصروفى لأشتري ثوباً للدمية . وعندما حسبا التكلفة ، وجدا أنها إذا جمعا النقود لعدة أشهر فهى لا تكفى لشراء ثوب لدمية كبيرة ، ومضت عدة أيام وهما على نفس الحال . وظلت الدمية الكبيرة تقف عارية عابسة وأخذ الطفلان يتحدثان إليها وهى لا تجيب .

وذات يوم كان "ياشار" جالساً خلف النول يمشط
 الخيوط ، فطُرأت له فكرة . فقد فكر فى أن الدمية بطول
 "أولدوز" وبناء على ذلك فمن الممكن أن تلبس من ملابس
 "أولدوز" فسُر من هذه الفكرة وبدأ فى الغناء من شعر
 النساجين ، ثم وضع المشط بالأرض ، وأخذ السكين ، وأخذ
 يغنى على ضربات السكين وهو سعيد وبعد عدة دقائق
 شاركه الأطفال الغناء وأمتلأ فضاء المصنع نصف المضى
 والملى بالغبار بغناء الأطفال النساجين فكانوا يقولون :

ذهبت أشتري سكر نبات

ألقي به فى الكوب

لم يكن فى جيبى حتى مليم واحد

ثم دلت نفسى فبدأت فى حركات سخيفة

حمل البقال سنجة

وضرب رأسى فشجها

لم يتوقف الدم من رأسى

ثم ناديت على أخى

عودة زوجة الأب :

عندما عاد "ياشار" عصراً إلى البيت قالت له
 أمه:- عادت زوجة الأب مع أخيها ، فتغير وجه "ياشار" ،
 ومن أجل ألا تفهم شيئاً ، جرى وذهب إلى الشارع ولم
 يستطع فى تلك الليلة أن يرى "أولدوز" ونام ليلاً فوق

السطح ، أما أمه فكانت تنام فى الغرفة مع زوجها المريض ، وفى منتصف الليل استيقظ " يشار " فرأى شيئاً يتصاعد منه الدخان فى وسط جدول جيرانه ويحترق . وكانت زوجة الأب تقف بجوار النار ويدها صفيحة كيروسين ، وأخذ " يشار " ينظر لفترة وهو حائر ، ولكنه بعد ذلك غلبه النعاس ، وفى الصباح نهض وذهب إلى العمل .

وا أسفاه أيتها الدمية الكبيرة ...

لماذا أحرقوك ؟ ولم يقولوا مطلقاً أن الأطفال ...

كانوا قد صنعوك بآلاف الأمنيات ١١٩٩

هو الآن فلنرجع إلى الوراء قليلاً ، ونرى ماذا فعلت زوجة الأب - عندما عادت - بـ " أولدوز " ودميتها الكبيرة . كانت " أولدوز " دائماً عندما لا تحتاج إلى العروسة تحملها وتخفيها خلف الحشايا بالمخزن ، وعندما ظهرت زوجة الأب فجأة لم تر شيئاً إلا " أولدوز " وهى تجلس على حافة الجدول وهى تعد أصابعها ، وكلثوم تكنس الفناء . وكان الأب فى الغرفة يكوى سرواله ، وعاد أخو زوجة الأب فى عصر نفس اليوم ، ولكنه قبل ذهابه تحدث قليلاً مع الأب . وفهمت " أولدوز " القليل من حديثهما ، فقد كان يتحدثان عنها ، وكأن زوجة الأب كانت قد شكت من " أولدوز " للأب ولأخيها .

وفى الليل عندما حان وقت النوم حدث شئ سيئ . فعندما ذهبت زوجة الأب لتحمل فراشها رأت شيئاً كبيراً سيئ التركيب موجوداً خلف الحشايا ، وعلى الفور حدثت جلبة . واتضح أن هذا الشئ الكبير السيئ التركيب هو دمية " أولدوز " تلك الدمية التى صنعتها بنفسها . وألقت زوجة الأب الدمية الكبيرة من النافذة وسط الحديقة ، وأخذت تصرخ بـ " أولدوز " قائلة : - إن شاء الله تقعين فوق مغسلة الميت ، مع هذه الدمية التى صنعتها خوفتينى ! سأريكي كيف تعاندينى هكذا ؟ لتوى خلصت نفسى من شر دميكت الأولى أترغبين فى فتح الطريق أمام الجن مرة أخرى إلى البيت ، أتريدين !!

كان الأب واقفاً بلا حراك ، وهو يفكر من أين أتت دمية كبيرة بهذا الحجم ولم يكن يصدق مطلقاً أن " أولدوز " هي التى صنعتها ، فقال : - يا بنت : متى صنعت هذه الدمية وأنا لا أدري ؟ !!

ولم تستطع " أولدوز " أن تفتح فمها لتتكلم ، وقالت زوجة الأب : - إذهبي وادعى ريك ، إنى لا أرغب فى أن أكون عصبية من هذا الموضوع وإلا لكنك ضربتك ضرباً مبرحاً يجعلك تفرين من هذا البيت .

قال الأب لزوجته : - نعم ! لا يجب أن تعكرى دمك من أجل طفلة ، فهذا ضرر عليك .

أشارت زوجة الأب إلى زوجها وقالت : - بناء على كلام

أبيك فإني أرمأك في هذا البيت ، ولكن أبى وأخى لم يرسلاني لأعمل في خدمتك .

قال الأب : - كفى يا امرأة ! على كل فهي طفلة ... لا تفهم شيئاً .

قالت زوجة الأب : - مهما كانت ، فأنا لا أقدر على تحملها ، فلماذا تجلس وتصنع دمية لقؤذيني ؟

وفجأة أجهشت " أولدوز " بالبكاء وارتفع صوتها وفي وسط البكاء قالت بصوت مرتفع :- أنا .. أنا ... أريد دميتي المتحدثة ...!!

وكانت زوجة الأب تزداد عصبية لمجرد ذكر اسم الدمية المتحدثة ، فأمسكت بشعر " أولدوز " وكورتته وأخذت تنهرها قائلة : - ليس لك الحق في ذكر هذا الإسم القذر أمامي ، أفهمت ؟ لا أريد أن يصاب طفلي الذي في بطني بشئ ، فمثل هذه الأشياء سواء الحسن منها أو السيئ تفتح طريقاً لهم في بيتنا ، الجن ، أفهمت ؟ أم لابد أن أفهمك بلكماتي وعصاي .

وفجأة خالست " أولدوز " نفسها من يد زوجة الأب ونهضت وذهبت إلى الباب حيث تستطيع أن تأخذ دميتها الكبيرة التي كانت قد وقعت في وسط الحديقة ، ولكن زوجة الأب لم تعطها الفرصة لأن تمر من عتبة الباب إلى الطرف الآخر .

وبعد عدة دقائق كانت " أولدوز " تجلس القرفصاء في

المخزن وهى تبكى بحرقة ، وكان الباب مغلقاً ، وكانت زوجة الأب تقف فى وسط الحديقة ويدها صفيحة من الكيروسين ، تشاهد حريق الدمية الكبيرة ، والدخان يتصاعد منها ، والأب ما زال يفكر من أين أتت دمية كبيرة بهذا الحجم إلى منزله ؟!!

فى وحدة وحزن ...

أمنية ليلة الخلوة الصغيرة :

تعاقبت الأيام ، وكان أبو " ياشار " طوال الصيف مريضاً ويتناول الدواء ، وكان الطفلان لا يريان بعضهما إلا نادراً ، وكانا فى حزن ووحدة شديدة من أجل دميتهما ، وخاصة حزنهما على دميتهما المتحدثة ، ولم يكن مسموحاً لـ " أولدوز " أن تتلفظ حتى باسمها أمام زوجة الأب ، وإذا حدث ؟ فهل من الممكن أن تفكر فى دميتهما المتحدثة ؟ ومهما حدث فهل من الممكن أن تنسى تلك الليلة العجيبة ؟ ليلة الغابة ، تلك الغابة المليئة بالأسرار ، وإذا حدث فهل من الممكن ألا تفكر فى ليلة الخلوة الصغيرة ، فجميع العرائس تتجمع فى ليلة الخلوة الصغيرة فى الغابة ، ولكن لم يعد لدى " أولدوز " و " ياشار " دمية تحملهما إلى الغابة .
وا أسفاه أيتها الدمية المتحدثة ...

فمع عمرك القصير مع الأطفال ، فقد أثرت في قلوبهم لدرجة أنهم لن ينسوك حتى آخر العمر...
مرت الأيام والأسابيع والشهور ، وكانت " أولدوز " تحسب بالديقة موعد ليلة الخلوة الصغيرة وكانت موقنة بأن الدمية المتحدثة ستحاول في تلك الليلة أن تصل إليها .
وأخذت بطن زوجة الأب تزداد في الإنتفاخ ، وكانت فخره جداً بطفلها القادم ، وكانت تعنف " أولدوز " على أي عمل صغير يبدر منها .

أمل بلا فائدة :

ماذا حدث للأفراح :

ذات يوم أحضر الأب الكهربائي ، وكانت الكهرباء قد أدخلت إلى بيته ، واشترى الأب أيضاً مذياعاً ، وكانوا يشعلون المصباح الكهربائي في البيت ، وأخذ صوت المذياع يملأ كل مكان .

وكانت الأماني في ليلة الخلوة الصغيرة بلا فائدة ، وكأن الدمية المتحدثة كانت قد فقدت إلى الأبد . ويعد ليلة الخلوة الصغيرة كانت " أولدوز " قد نسيت جميع الأفراح والأحاديث واللسان الطلق الحلو ، وانزوت طفلة صامته بلا حديث ولا حراك .

كان " ياشار " يذهب إلى المدرسة ، وكان الطفلان يريان بعضهما نادراً ، وخاصة أن زوجة الأب لم تكن تسمح لـ

"ياشار" أن يأتي الى بيتهم ، وكانت تقول : - هذا الولد
الفاقد العاقل ، سيفسد أخلاق البنت أكثر.

لم تصل قصتنا إلى نهايتها "أولدوز والغريان"

لا بد أن تنظروا لتروا إلام تطورت قصة الدمية
والأطفال ، فإذا لم يظهر موضوع الغريان لكنت "أولدوز"
ستموت حتماً من شدة الحزن وتضيع من يدنا . لكن ظهور
أم الغراب ، وصدقة الأطفال مع الغريان ، قد غيرا كل
شيء ، وجددا حماس "أولدوز" و "ياشار" مرة أخرى ،
ومحاولتهما الصعبة لكي يستطيعا السفر إلى مدينة
الغريان .

وهكذا قرأتم وعرفتم موضوع الغريان ، هي نفس القصة
الأخرى التي كتبت في كتاب "أولدوز والغريان" ،
وبالفعل انتهت قصة "الدمية المتحدثة" .

٢- "أولدوز" والغريان

جلست " أولدوز " وحيدة فى غرفتها ، وقد تعلقـت عيناها بالخارج بعد أن أغلقت زوجة أبيها الباب ، ونهبت عليها بعدم مغادرة الشرفة وإلا أتت وأنزلت بها أشد العقاب ، ثم ذهبت إلى الحمام . وظلت " أولدوز " جالسة فى الغرفة تحمـلق وتفكر مثل العجائز ، لا تحرك ساكناً وذلك لخوفها الشديد من زوجة أبيها . وشرعت تفكر فى دميـتها الكبيرة التى ضاعت منها لتوها ، وقد أحزنـها ذلك كثيراً .

وعدت أصابعها عدة مرات ، ثم تحركت ببطء إلى النافذة ، فقد كان صبرها قد نفذ . وفجأة نسيـت " أولدوز " وحدثها ، وسرى عن قلبها ، إذ رأت غراباً أسود يقف على حافة الحوض ليشرب . ورفع الغراب رأسه فلمـح " أولدوز " ، عندئذ خاف وهم بالطيران ، ولكنه عندما رأى " أولدوز " لا شأن لها به ، توقف وفتح منقاره قليلاً . فرحت " أولدوز " ، فقد اعتقدت أن الغراب يضحك ، وقالت له : - سيدى الغراب ، إن ماء الحوض قذر ، وإذا شربت منه مرضت .

ضحك الغراب مرة أخرى وقفز نحوها وقال : - لا يا عزيزتى ، بالنسبة للغريان ... فإنه لا فرق ، فنحن نشرب ماء أسوأ من هذا ، ولا يحدث لنا شئ ... أولاً لا تقولى لى " سيدى الغراب " ، فأنا سيدة وعندى أربعة صغار ، فنادينى بـ " أم الغراب " .

لم تكن " أولدوز " تفهم أى جزء فى الغراب هذا الذى يجعله أنثى وأرادت " أولدوز " أن تحتضنها وتقبلها . فكم هى رحيمة !! حقا إن الغراب لم يكن جميلاً فقد كان قبيحاً ودميماً ، ولكنه ذو قلب رحيم ، ولواقتربت " أم الغراب " قليلاً لأمسكتها " أولدوز " وقبلتها .

قالت " أم الغراب " وهي تقرقر: ما اسمك ؟
 فقالت " أولدوز " - اسمى أولدوز . ثم سألتها " أم الغراب " : - وماذا
 تفعلين بالداخل ؟
 قالت " أولدوز " : لا شئ فقد تركتني زوجة أبى هنا وذهبت إلى
 الحمام ، وأمرتني بعدم الحركة .
 فقالت " أم الغراب " : - إنك تفكرين مثل الكبار فى كل الأمور . لماذا
 لا تلعبين ؟ .
 تذكرت " أولدوز " عروستها الكبيرة فحزنت وتنهدت ، وفتحت
 النافذة ليصل صوتها إلى " أم الغراب " : - ليس لدى ما أَلعب به ،
 فقد ضاعت عروستى الكبيرة التى كانت تتكلم .
 فجففت " أم الغراب " دموعها بطرف جناحها ، ثم قفزت وحطت
 على حافة النافذة . وخافت " أولدوز " فى بادئ الأمر وتراجعت ،
 فقالت لها " أم الغراب " : - أليس لديك صديق تلعبين معه ؟ .
 فرحت " أولدوز " فرحاً شديداً ، واقتربت منها .
 قالت " أولدوز " لها : - يا شار... ولكنى قليلا ما أراه ... قليلا جداً ...
 فهو يذهب إلى المدرسة .
 فقالت لها " أم الغراب " : - هيا نلعب سوياً .
 أخذت " أولدوز " " أم الغراب " واحتضنتها وقبلت رأسها ووجهها .
 وكان ريشها خشنا . وضمت " أم الغراب " رجليها حتى لا تلوث
 ملابس " أولدوز " فقبلتها " أولدوز " فى منقارها الذى كان يفوح
 برائحة الصابون وقالت : - هل تحبين الصابون إلى هذه الدرجة ؟
 قالت " أم الغراب " : - نعم ! أموت من أجله .

قالت " أولدوز " : - لولا أن زوجة أبى تستاء من هذا الأمر لأحضرت لك قطعة لتأكلينها .

قالت " أم الغراب " - أحضريها خفية ، ولن تشم زوجة أبىك خيرا .
قالت " أولدوز " : - ألن تخبريها .

قالت " أم الغراب " : - أنا ؟ أنا لا أنم عن كلام أحد لأحد .

قالت " أولدوز " : - ولكن زوجة أبى تقول لى " أى شئ تفعلينه يأتى إلى الغراب ويخبرنى به " .

ضحكت " أم الغراب " من أعماق قلبها وقالت : - إنها تكذب ياعزيزتى ... أقسم برأسى السوداء هذه بأننى لا أنقل الكلام ، ولكنى أحضر إلى هنا بحجة شرب الماء ... وأقف على حافة الحوض ، ثم أسرق الصابون والسمك وأهرب .

قالت " أولدوز " : - لماذا تسرقين ؟ هذا حرام ؟!!

قالت " أم الغراب " : - لاتكونى ساذجة ياعزيزتى ... ما الحرام ؟! ... الحرام إن لم أسرق ، سأموت جوعا أنا وصغارى . هل هذا ذنب يا عزيزتى ؟!! ... الذنب هو ألا أملأ بطنى ... هذا هو الحرام ... أكون الصابون تحت قدمى وأبقى جائعة ؟! ... لقد عشت كثيرا بحيث أعرف هذه الأمور ، وأيضاً لأبد أن تعرفى أنت بدورك أن هذه النصائح الواهية لا تمنع من السرقة . إلى أن يكون لكل إنسان عمل فى هذه الدنيا ... ستبقى السرقة .

أرادت " أولدوز " أن تذهب وتسرق قطعة من الصابون وتحضرها لـ " أم الغراب " . فتذكرت أن زوجة أبىها تضع المواد الغذائية فى دولاى وتغلقه ، ولكنها تترك الصابون خارجه . فتركت " أم الغراب "

على حافة النافذة وذهبت بمفردها إلى غرفة الكرار وأحضرت قطعة من الصابون صنع " مراغة " .

أيها الأطفال ، لا أراكم الله يوما سيئا !! . عندما عادت " أولدوز " وجدت " أم الغراب " قد هربت ، وزوجة الأب تقف بجوار النافذة حاملة بقعة الحمام تحت إبطها ووجهها أحمر كالبنجر . وأصبحت " أولدوز " فى مأزق شديد . وأدخلت زوجة الأب رأسها من النافذة وصاحت : - يا أولدوز ! ماذا حدث ؟ ... ما الذى جعلك تقلبين البيت هكذا ؟ ألم أقل لك لا تهرى مكانك ؟ ! .

لم تجد " أولدوز " جوابا ، وتحركت زوجة الأب إلى الباب وفتحت القفل ودخلت ، فأسرعت " أولدوز " بإخفاء الصابونة تحت قميصها ، وقبعت القرفصاء فى زاوية من البيت ، ووصلت إليها زوجة الأب وهى تصيح : - أئن تقولى عما كنت تبحثين .

قالت " أولدوز " - يا أمى ... لا تضربينى !! لقد كنت أبصت من عروستى الكبيرة .

أمسكت زوجة الأب بأذن " أولدوز " وعركتها . فقد كانت تكره عروستها - وقالت لها : - ألم أقل لك أكثر من مرة أن تمحى فكرة العروسة المشؤومة هذه من رأسك ! ألا تفهمين ؟

بعد ذلك ذهبت زوجة الأب إلى غرفة الكرار لتعد لنفسها الشاى ، وتذرعت " أولدوز " بأنها ستذهب إلى الحمام ، وتوجهت إلى الفناء وأخذت تحلق بعينيها هنا وهناك باحثة عن " أم الغراب " ، فوجدتها جالسة على حافة السطح ونظراتها حائرة ، فوضعت " أولدوز " الصابونة تحت أشجار الورد ، وغمزت " لأم الغراب " حتى

تحضرو وتأخذ الصابون . نزلت " أم الغراب " صوب أشجار الورد
ودخلت فيها ببطء شديد ، وسألتها " أولدوز " : - ألن تحضري أحد
صغارك لألعب معه ؟

أجابت " أم الغراب " بصوت منخفض : - انتظريني بعد الغداء فإذا
وافق زوجي ، سأحضره .

عندئذ حملت الصابونة وطارت .

ظلت " أولدوز " تحملق في " أم الغراب " وهي تبتعد في السماء ، ثم
أخذت تتقافز وترقص من شدة فرحها ، وكأنها عثرت على عروستها
المتكلمة . وفجأة صرخت فيها زوجة أبيها : - لماذا ترقصين يا بنت ؟
أدخلى وإلا أصابتك ضربة شمس . لاوقت لدى ولا صبر عندى .

دخلت " أولدوز " وجلست في الغرفة ، وحن وقت الغداء ، وبعد
دقائق ، عاد أبوها من عمله متجهمًا ، وكان رئيس الإدارة قد تشاجر
معه ، لذا لم يرد التحية على " أولدوز " وشرع في الأكل دون أن يغسل
يديه .

كانت " أولدوز " تحب البطاطس المقلية ، وكانت الرائحة المنبعثة من
طبق أبيها تكاد تصيبها بالإغماء ، وظلت تبتلع ريقها عدة مرات ،
لكنها لم تأخذ منه شيئًا ، فقد كانت تعلم أنه على الصغار أن ينتظروا
حتى يضع لهم الكبار الطعام في أطباقهم كما تقول زوجة أبيها .

لنتعرف على السيد غراب :

كان ذلك في شهر أغسطس ، وقد تناولوا طعام الغداء ، ثم
غلب النعاس على الأب وزوجته فناما ، ونامت " أولدوز " أيضاً مجبرة

حتى لا يوبخها أبوها ، ويصرخ فى وجهها : - لابد أن ينام الطفل بعد تناول الغذاء . ولم تستطع " أولدوز " أن تفهم لماذا يتحتم عليها أن تنام ؟! وقالت لنفسها : - لا أستطيع أن أنام اليوم لأن " أم الغراب " ستأتى وإن لم تجدنى ، ستأخذ صغيرها مرة أخرى .

تمددت على عتبة الباب وتظاهرت بالنوم حتى نام أبوها وزوجته ثم خرجت ببطء شديد وذهبت إلى الفناء ، وجلست تحت ظل شجرة التوت ، وعدت أصابعها ثلاث مرات حتى وصلت " أم الغراب " . وحصلت بادئ الأمر على حافة السطح ، وأخذت تنظر إلى " أولدوز " فأشارت لها " أولدوز " حتى تستطيع النزول ، فنزلت " أم الغراب " وجلست بجانبها وقد أحضرت معها غراباً صغيراً لطيفاً ، وقالت : - لقد كنت خائفة أن تكونى نائمة .

قالت " أولدوز " : - إنى أنام كل يوم ، ولكنى اليوم تركت أبى وزوجته ينامان ولم أنم

قالت " أم الغراب " : - أحسنت ... فهناك وقت كثير للنوم ، فإذا تمتِ ظهرا فماذا ستفعلن ليلا ؟

قالت " أولدوز " : - فلتقولى هذا لزوجة أبى ... هل أحضرت لى الغراب الصغير ؟ أه ... كم هو لطيف !

وضعت " أم الغراب " صغيرها فى يد " أولدوز " ، وكان لطيفاً جداً .

فجأة تنهدت " أولدوز " ، فقالت : " أم الغراب " : - لماذا تتنهدين ؟

قالت " أولدوز " : - تذكرت عروستى . ليتها كانت بجانبى حتى نلعب نحن الثلاثة .

قالت " أم الغراب " : - لا تحزنى ... الأبنه الكبرى إحدى حفيداتى

ستضع بيضاً بعد عدة أيام ، وعندما يفقس صغاراً سوف أحضرك واحداً منهم فتصبحون ثلاثة .

قالت " أولدوز " : - ألدك صغير آخر ؟

قالت " أم الغراب " : - لماذا ؟ لدى ثلاثة آخرون

قالت " أولدوز " : - أحضريهم .

فقالت " أم الغراب " : - عند ذلك سأبقى وحيدة ، كذلك فإن أب الغراب لن يسمح لى أن أحضرهم لك ، وأعلمى أن هذا الصغير الذى أحضرته لك لا يستطيع الكلام ولا الطيران حتى الآن ، ويعد أسبوع يستطيع النعيق، ثم بعد أسبوعين يستطيع الطيران ، فانتبهى لذلك فإنه فى نهاية الأسبوعين إذا لم يستطيع الطيران ، فإنه لن يقدر أن يطير بعد ذلك أبداً ، فلتتذكرى ذلك .

قالت " أولدوز " : - إن لم يستطيع الطيران ، ماذا يحدث ؟

قالت " أم الغراب " : عند ذلك يموت ... أتعرفين ماذا تطعمينه ؟

قالت " أولدوز " : - لا ، لا أعرف .

قالت " أم الغراب " : - فى صباح كل يوم قطعة صابون وقليل من اللحم إن أمكن ، وفى بعض الأحيان سمكة صغيرة ... فليدكم منه الكثير فى الحوض ، وأيضاً يأكل الدود والجبن .

قالت " أولدوز " : - حسناً جداً .

قالت " أم الغراب " : - هل تسمح زوجة أبيك برعايتك له ؟

قالت " أولدوز " : - لا ، فهى لا تحب رؤية هذه الأشياء ... لا بد أن أخفيه .

وضعت " أولدوز " الغراب الصغير فى طرف تنورتها ، فأخذ يتحرك

يمينا ويساراً وهو يلاعبها بالتقاط يدها بمنقاره وتركها . وكان ينبعث من عينيه الصغيرة بريق ، وكانت أرجلاه رفيعة مثل إصبع " أولدوز " الصغير ، وكم كانت أجنحته ناعمة لمساء فهي ليست خشنة مثل أجنحة أمه ، فهو أكثر جمالاً .

قالت " أم الغراب " : - حسناً ... أين تخفيه ؟
لم تكن " أولدوز " قد فكرت في هذا ، ومن ثم استغرقت في التفكير .
في أى مكان ؟ ليس هناك مكان .

قالت : - أخفيه داخل شجيرات الورد .
قالت " أم الغراب " : - لا يمكن !! ... ستراه زوجة أبيك ، وعلاوة على هذا عندما تسقى الورد سيبتل صغيرى ويأخذ برداً .
قالت " أولدوز " : - ولكن أين أخفيه ؟!

قالت " أم الغراب " : - بعد أن نظرت هنا وهناك : - تحت السلم ... فهذا أفضل مكان ، السلم يوصل للسطح - وتنتشر مثل هذه السلالم في المدن الصغيرة والقرى - وكان يوجد تحت السلم كن قديم به مخلفات ، فوضعتا الغراب الصغير فيه وأحكما إغلاق الباب حتى لاتأتى القطعة وتأكله ، وكذلك حتى لا تشم زوجة الأب خبراً عنه . وكان هناك ثقب صغير أسفل الكن حتى يستطيع الغراب الصغير التنفس منه .

قالت " أولدوز " : - لـ " أم الغراب " : - ما اسمه ؟

قالت " أم الغراب " : - قولى له السيد غراب .

قالت " أولدوز " : - هل هو ذكر ؟

قالت " أم الغراب " : - نعم .

قالت " أولدوز " : - كيف عرفت أنه ذكر؟ فالغريان كلها شكل واحد!!

قالت " أم الغراب " : - أنت تعتقدين ذلك ... لو أمعنت النظر فى الوجه والرأس ستعرفين الفرق بين الذكر والأنثى . فشكلهما يدل عليهما .

دارت بينهما الأحاديث ، ثم ودع كل منهما الآخر.. وذهبت " أولدوز " إلى الغرفة وتمددت وأغلقت عينيها . وعندما استيقظت زوجة الأب وجدت " أولدوز " لا تزال نائمة ، ولكنها لم تكن فى الحقيقة نائمة ، ولم يغلبها النعاس ، بل كانت مستغرقة فى التفكير فى غرابها ، ويختلس النظر إلى زوجة أبيها وتضحك فى سرها .

العناكب لذينة الطعم :

مضت عدة أيام وكانت " أولدوز " فى قمة سعادتها ، وكان الأب وزوجته فى عجب .

قالت الزوجة للأب ليلا : - لا أدري ماذا حل بالطفلة ! ... فداثماً تضحك وترقص وكأنه لا شئ يههما ، ولابد أن أعرف ما هو السر ! سمعت " أولدوز " هذا الحديث ، وقالت لنفسها : لابد أن أحتاط أكثر كانت " أولدوز " تذهب إلى الغراب الصغير مرة أو مرتين فى اليوم ، وعندما يكون البيت خالياً كانت تخرجه من عشه لتلعب معه ، وتعلمه الكلام . وفى بعض الأحيان كانت " أم الغراب " تأتى وتحضر لصغيرها قملعة لحم أو صابون ، وأشياء من هذا القبيل ، وقد أحضرت معها ذات مرة عنكبوتين ، وقد كانت العناكب معلقة بمنقار

" أم الغراب " تتملص ، ولا تستطيع تخليص نفسها . وكم كانت أرجلها طويلة . خافت " أولدوز " منها ، فقالت " أم الغراب " : - لا تخافى يا عزيزتى وانظرى كيف يأكلها صغيرى .

حقاً ابتلعها السيد غراب بشهية ، ثم أخذ يسمح منقاره بالأرض عدة مرات يمينا ويسارا ، وقال :

- يا أمى العزيزة أحضرى لى مرة أخرى من هذا ، لقد كان لذيذاً جداً .
فقالت أمه : - حسناً جداً .

قالت " أولدوز " :-لدينا الكثير منها فى مطبخنا وسوف أحضرك منها.
ابتلع الغراب لعابه وشكرها .

ومن ذلك الحين كانت " أولدوز " تبحث هنا وهناك ، وتصلطاد العناكب وتضعها فى جيب قميصها ، وتقفل أزوارها عليها حتى لا تهرب ، وعندما تسنح الفرصة تقدمها للغراب الذى يعدها نوعاً من الحلوى أو الديك المصنوع من السكر ، أو النُّقل ، ولا يعتبرها وجبات أساسية ، وكانت " أم الغراب " قد قالت : - إذا لم يأكل الحى يموت ، فليس هناك كائن حى يستطيع أن يحيا دون الطعام ، لا شئ ... لا شئ يحفظه حيا إلا الطعام .

ذات يوم وأثناء الغداء رأت زوجة الأب عدة عناكب مكسورة الأرجل تتحرك على مائدة الطعام . وأدركت " أولدوز " أن هذه العناكب قد خرجت من جيبها فدفق قلبها بشدة ، وأرادت أن تلتقطها وتضعها فى جيبها ولكن بعد تفكير أدركت أنه من الأفضل أن تتجاهل الأمر ، وأمسكت بها زوجة الأب من أرجلها وألقت بها خارجاً ، ومرا الأمر بسلام .

بعد الغداء ذهبت " أولدوز " إلى الغراب الصغير فى عشه بما تبقى من العناكب كما أنها وجدت اثنين آخرين كانا بزاوية الفناء . وأمسكت إحداهما بيدها ووضعتنه داخل منقار الغراب كما تعلمت من "أم الغراب" عندما كانت تضع الطعام بمنقارها داخل منقاره الصغير.

مد الغراب منقاره ليأخذ العنكبوت ، ولكنه تراجع برأسه للخلف باشمئزاز وقال : - لن أكل يا عزيزتى أولدوز.

قالت " أولدوز " : - لماذا يا غرابى الصغير ؟

قال " الغراب " : - أنظرى إلى أظافرك وبشكلها !

قالت " أولدوز " : - ماذا بشكلها ؟!

قال الغراب : - طويلة ، قدرة ، سوداء ! أنا أسف يا آنستى أولدوز إننى أتطفل . ولكننى لن أستطيع أن أتناول طعامى ... أتفهمين يا آنستى ؟

قالت " أولدوز " : - فهمت ، أشكرك كثيرا لأنك بينت لى عيوبى ، فأنا نفسى بعد هذا لن أستطيع تناول طعامى بهذه الأظافر القدرة ... صدقنى !!

المشاجرة على السمك والحكم بإعدام أم الغراب :

فى حوض السمك ... كانت هناك أسماك حمراء وصغيرة . فى اليوم السادس أو السابع من حضور الغراب ذهبت " أولدوز " إلى حوض السمك وأمسكت بواحدة من الأسماك الحمراء الصغيرة الموجودة بالحوض ووضعتها فى طبق صغير وأعطتها للغراب فابتلعها

على الفور، فقد كانت أول سمكة يأكلها منذ أن أخبرتها " أم الغراب " أن صيد السمك وابتلاعه له مذاق جميل . لكنها لم تعرف كيف ... لم تكن " أم الغراب " مثل زوجة أب " أولدوز " . لقد كانت تعرف أشياء كثيرة . فهي تعرف ما هو الشيء المفيد لابنها ، وما هو الشيء الضار . فإذا أراد الغراب شيئاً ضاراً ، أو صدر منه تصرف خطأ لم تكن تصرخ فى وجهه ، ولكنها كانت تقول له : - يا صغيرى العزيز: لن أحضر لك هذا الشيء ... إنه ضار عليك إذا أكلته يحتبس صوتك ولا تستطيع النعيق !! ...

كانت تعلل كل شئ بعكس زوجة الأب التى كانت تقول بغضب : أولدوز لا تفعل هذا الشيء ، لا تأكل هذا الشيء ، لا تذهبى إلى هذا المكان ، لا تفعل هذا ولا ذاك ، اجلسى معتدلة ، لا ترفعى صوتك ، لماذا تهمسين ، وأشياء كثيرة من هذا القبيل ، مع إنها لم تقل لى أبدا ، لماذا لا أرفع صوتى ؟ لماذا يجب أن أنام ظهرا ؟ ... كانت " أولدوز " فى بادئ الأمر تعتقد أن كل الأمهات مثل زوجة أبيها ، ولكنها غيرت رأيها بعد أن تعرفت بأم الغراب وصادقتها .

وفى اليوم التالى عرفت زوجة الأب أن هناك سمكة ناقصة فظلت تصيح بصوت عال وصل إلى عنان السماء ... وعندما حضر زوجها قالت أثناء الغداء : - إن الذى فعل ذلك هو نفس الغراب الذى يقف على حافة الحوض ويسرق الصابون ، إنه وقح جداً ، وإن أمسكته سأشقه ... سأعدمه .

وأخذت تسب " أم الغراب " بأقبح الألفاظ . سكتت " أولدوز " لأنها إذا قالت شيئاً ستعرف زوجة أبيها أن هناك علاقة وطيدة بينها

وبين الغراب ، خاصة بعد أن رأتها منذ عدة أيام بجوار الحوض تكاد تمسك برسغها .

قال الأب : - الغريان أصلا طيور قذرة وسارقة للأشياء التافهة ، ولم أرفى حياتى غراباً واحداً مؤبداً ، انتبهى له ! وإلا فإنه لن يترك سمكة واحدة باقية فى الحوض .

قالت زوجة الأب : - نعم ، لابد أن آخذ حذرى ، فإن الأسماك لذيدة تحت أسنانه الآن ، ولابد أنه يرغب فى أكلها كلها .

ضحكت " أولدوز " من جهل زوجة أبيها لأن الغراب ليس له أسنان كما قالت لها " أم الغراب " .

" أم الغراب " تعرف أشياء كثيرة ولا تخاف الموت :

جاءت " أم الغراب " ظهرا والجميع نيام ، فجلست هي و" أولدوز " تحت ظل شجرة التوت ، وقصت " أولدوز " عليها ما حدث . قالت " أم الغراب " : - لا تهتمى ... إذا أرادت زوجة الأب أن تمسك بى سأقتلع عينيها .

بعد ذلك أخرجنا الغراب الصغير من العش ، فقد كان يستطيع الكلام عندئذ ولكنه لم يكن مثل " أولدوز " وأمه ، فقط كان مستواه فى الكلام جيدا بالنسبة لسنه ، وكان يقفز قفزات صغيرة بين الشجيرات والورود ، ويتجول هنا وهناك ، رفرف بجناحيه ثم عاد وجلس بجانب أمه فعلمته كيف يلتقط القمل من جسمه بمنقاره ويقتله .

كان لدى " أم الغراب " جرح قديم تحت جناحها الأيسر ، فأرته لـ " أولدوز " ولصغيرها ، وقالت : - إن هذا الجرح منذ خمسين أو ستين

سنة . فقد كنت ذاهبة لسرقة الصابون ، فضربنى صانع الصابون بعصاه وظل جرحى لمدة خمس أو ست سنوات حتى عثرت على فاكهة صحراوية وأكلتها فشفى جرحى تماماً .

أعجبت " أولدوز " بخبرة " أم الغراب " ومعرفتها ، وتمنت أن تكون لها أم مثلاً ، فهي لم تكن تتذكر أمها ، وكل ما تتذكره أنها سمعت زوجة الأب ذات مرة أثناء مشاحناتها مع الأب تقول له : - خذ ابنتك إلى أمها وأتركها هناك ، فإننى اليوم أو غدا سأكون أما لطفلك ، ولن أخدمها .

والحقيقة ، لقد كانت بطن زوجة الأب ترتفع أمامها ، وكان موعد وضعها قد اقترب .

وبين الحين والآخر كان عم " أولدوز " يحضر من قريته إلى المدينة ويطل عليها ، كانت " أولدوز " تعرف فحسب أن أمها تعيش فى القرية وأنها تحبها .

ذلك اليوم قبلت " أم الغراب " " أولدوز " ، وقبلت صغيرها وطارت ، وجلست الأم على حافة السطح لتذهب إلى مدينة الغريان ، وودعتها " أولدوز " وقالت لها : - سلمى على أولادك الآخرين وعلى أبيهم .

ثم تذكرت أن عليها أن ترسل هدية للصغار ، واختارت بزازة كانت فى جيب قميصها - كانت زوجة الأب قد أشترتها لها - فأحضرتها وصعدت على السلم المؤدى إلى السطح ... وأعطتها لـ " أم الغراب " لتعطيها لصغارها ، ثم حلق " أم الغراب " ، وحصلت فوق إحدى أشجار الحور الأبيض ، واستدارت تجاه " أولدوز " ونعقت ، وطارت حتى غابت عن عينها .

زيارة قصيرة لـ "ياشار" :

ظلت " أولدوز " واقفة على السطح تحملق فى الأفق البعيد ، ثم تذكرت أنها لم تخبر زوجة أبيها بأنها ستصعد للسطح فخافت قليلا ، وقررت النزول بسرعة ، وألقت نظرة على ما حولها ، ثم حدثت نفسها قائلة : - كم هو جميل ذلك السطح !! وأخذت تنظر إلى فناء الجيران من جهة اليسار حيث بيت " ياشار " ولمحته " أولدوز " يخرج فجأة إلى الفناء بهدوء ، ويذهب فيجلس أمام كوخ الكلب الذى كان خاليا دائما . وكان " ياشار " يكبر " أولدوز " بثلاث سنوات ، وكان ذكيا عطوفا . وحاولت " أولدوز " أن تلفت نظره ، ولكنها لم تستطع أن ترفع صوتها أكثر ، وعندما كانت على وشك أن تياس رفع " ياشار " رأسه فراها وتعجب عندما رآها ، ثم جاء مسرورا ووقف بجانب السور وقال : - ماذا تفعلين هنا يا أولدوز ؟ قالت " أولدوز " : - شعرت بضيق فصعدت للسطح أنظر لما حولى هنا وهناك .

قال " ياشار " : - أين زوجة أبيك ؟ كانت " أولدوز " قد نسيت كل شئ ، ولكنها عندما سمعت ذلك تذكرت أنها نسيت الغراب الصغير فى وسط الفناء ، ومن الممكن أن تستيقظ زوجة الأب وتراه ... وكم سيكون الأمر سيئا ! ... تركت " أولدوز " " ياشار " ونزلت بسرعة ، وأدخلت الغراب الصغير عشه ، وبينما هى تغلق الباب سمعت زوجة الأب تصيح عليها قائلة : - فى أى قبر تختبئين ؟ لماذا لا تجيبين ؟ كاد قلب " أولدوز " ان يتوقف من شدة الخوف ، ولم تستطع أن ترد

فى بادئ الأمر ولكنها استجمعت شجاعتها بعد قليل وقالت : - أنا
هنا يا أماء ، إننى أقضى حاجة .
ولم تعقب زوجة الأب ومرا الأمر بسلام .

إعدام أم الغراب :

فى اليوم التالى استيقظت " أولدوز " فزعة على نعيق " أم
الغراب " تطلب النجدة وكأنهم يقتلون أحدا وهو يصرخ ، جرت
" أولدوز " إلى الفناء مسرعة تستطلع الأمر ، فوجدت زوجة الأب
واقفة تحت شجرة التوت ، وفى وجهها جرح تنساقط منه الدماء ،
وفى يدها عصا تضرب بها " أم الغراب " المسكينة المعلقة بالشجرة
من أرجلها وهى تسبها ، بينما كانت المسكينة تنعق وترفرف
بجناحيها .

ولم تدر " أولدوز " نفسها متى اندفعت نحو زوجة الأب ، وأمسكت
بأرجلها وعصتها فصرخت زوجة الأب ، ودفعت " أولدوز " بعيدا عنها
،، ثم لطمتها بشدة أسفل أذنها فسقطت على الأرض ، وارتطم رأسها
بحجر ففقدت وعيها وراحت فى غيبوبة ولم تفهم شيئا بعدها .

نوم " أولدوز " المتقطع :

فتحت " أولدوز " عينيها ظهرا فوجدت بجوارها بعض
الجيران ، وكانت زوجة الأب تجلس بجوار رأسها ، وقد أمسكت
بملعقة بها دواء تعطيه لها ، ولكن شيئا فشيئا اتضحت الرؤية
وتعرفت بوضوح على من بالغرفة ، ورأت " ياشار " يحملق فيها وقد
جلس بجوار أمه .

عندما رأت زوجة الأب " أولدوز " تفتح عينيها قالت مندفعة ، - شكر
لله ، لقد فتحت عينيها ... إنها لن تموت ، تكلمى يا " أولدوز " ...
تكلمى ... لم تكن " أولدوز " تستطيع الكلام ، وحولت رأسها ناحية
زوجة الأب . وفجأة تصاعد فى الغرفة نعيق " أم الغراب " ، ويدون أن
تشعر " أولدوز " أمسكت بشعر زوجة الأب كالمجنونة وظلت تصرخ .
لكن رأسها كانت تؤلها فنزلت يداها دون إرادة منها ، وانقطع
صوتها ، ثم انخرطت فى بكاء مروظلت تردد : أين " أم الغراب " ؟
... أين ؟ أين " أم الغراب " ؟ ماذا حدث للغراب الصغير ؟ ... الأم !
... الأم ...

أسرع " ياشار " إليها وجلس بجانبها قبل الجميع ، وظل كل واحد
يتحدث إليها محاولاً تهدئتها ، لكن " أولدوز " استمرت فى البكاء ،
وتظاهرت زوجة الأب بالحنان لتهدئ من روعها قائلة : - لا تبكى
يا عزيزتى " أولدوز " خذى دواءك وستتحسنين سريعاً .

وفى النهاية تعبت " أولدوز " من كثرة البكاء ، فغلبها النعاس ، ورأت
فى الحلم " أم الغراب " معلقة فى شجرة التوت وتقول : - " أولدوز "
! ... لقد ذهبت ، لا تنسى كلامى ... ولا تخافى . فاندفعت " أولدوز "
إلى الشجرة وهى تجرى ، وعندما اقتربت خرجت لها زوجة الأب من
وراء الشجرة تريد أن تركلها بقدمها ، ففزعت " أولدوز " من الحلم
وأجهشت بالبكاء ، ولم تجد حولها سوى الأب وزوجته هذه المرة فى
الغرفة فغلبها النعاس مرة أخرى ، ورأت نفس الحلم ، وظلت هكذا
تستيقظ تارة ، وتارة تنام وتحلم ... وعندما تمالكت نفسها وجدت أن
الليل قد حل ، وأن الطبيب يكشف عليها ، ثم يقول للأب : - جرحها

بسيط وسيشفى سريعا ، ولكن هذه الطفلة خائفة جداً ، ترتعد ، هناك شئ ما قد أوصلها إلى حالة من الخوف الشديد ، وسأعطيها حقنة مهدئة حتى تنام .

قالت " أولدوز " : أنا جائعة .

فأحضرت لها زوجة الأب حليبا فشريته ، وأعطاهها الطبيب حقنة وأخذ حقيبته وانصرف .

أخذت " أولدوز " تحملق فى السقف ولم تتكلم ، وأرادت أن تستمع للحديث الدائرين الأب وزوجته ، ولكن سرعان ما غلبها النعاس ، ولم تستمع المزيد .

حُزن الغراب وتأمله وفقده لأمه وكيف أسربت " أم الغراب " :

فى صباح اليوم التالى تذكرت " أولدوز " الغراب الصغير فارتعشت يدها وانسكب الشئ على الغطاء فنظرت لها زوجة الأب نظرة حادة ، ولكنها لم تقل شيئا ، أما الأب فكان مشغولا بارتداء ملابسه ليذهب إلى العمل . حاولت " أولدوز " أن تنهض حتى تذهب إلى الغراب غير أن ذلك كان يبدو عملا جنونيا ولم تكن تعرف ماذا حل بالغراب الصغير ولا كيف وقعت " أم الغراب " فى يد زوجة الأب ، وكانت زوجة الأب قد نرعت فى الصباح الباكر ذلك المندبل الذى تربط به عينها وعلى حاجبها وجبهتها تبدو آثار منقار " أم الغراب " . وبعد خروج الأب قالت الزوجة : - أنا ذاهبة إلى أم " ياشار " ، وسأعود سريعا ، فلم أذهب للحمام منذ وقت طويل ، هذه المرة لأستطيع اصطحابك معى ، وسأرى إذا كانت أم " ياشار " تستطيع الذهاب معى إلى الحمام .

حقا كانت زوجة الأب تتكلم بحنان وعطف ، ولم يسبق أن تحدثت بهذه اللهجة من قبل مع " أولدوز " ولكن " أولدوز " لم تكن لديها الرغبة فى محادثتها لأنها تكرهها ، وخطرت لها فكرة فقالت لها : - أمى ، الآن تذهبن للحمام ، قولى لـ " ياشار " أن يأتى إلى هنا حتى لأمل من الوحدة .

قطبت زوجة الأب جبينها وقالت : - " ياشار " يذهب إلى مدرسته . لم ترد " أولدوز " عليها فخرجت زوجة الأب وأسهرت " أولدوز " ونهضت وذهبت إلى عش الغراب الصغير فوجدت المسكين قابعا وسط المخلفات وهويبكى وما أن رأى " أولدوز " حتى قال : - أخيرا حضرتى ...!!

قالت " أولدوز " : - أعذرني لأنى تركتك وحيدا . قال الغراب : - الآن إحضرى لى شيئا آكله فأنا جوعان جداً وعطشان ، ثم نتحدث بعد ذلك .

ذهبت " أولدوز " وأحضرت له طعاما وجاءت ، فأكل الغراب لقيمات ثم قال : - لقد اعتقدت أنك ذهبت أيضاً كما ذهبت أمى . قالت " أولدوز " : - وأين ذهبت أمك ؟

قال الغراب : - لم تذهب إلى مكان قط ، ظلت زوجة أبيك تضربها حتى ماتت ، ثم ألفت بها فى صندوق القمامة .

سأمسكت " أولدوز " نفسها عن البكاء وقالت : - أى نهاية هذى !! الآن نهشت الكلاب لحمها وأكلته .

قال الغراب : - لا ، فلحمنا من المذاق والكلاب لا تجرؤ على أن تمسه

بأنيابها ، فمن يموت منا يظل ملقى حتى يتعفن ويتبعثر ، وستظل أمى فى صندوق القمامة أوفى مكان آخر آخذة فى التعفن .
لم تستطع " أولدوز " السيطرة على نفسها فبكت وبكى الغراب أيضاً ،
وأثناء البكاء قالت " أولدوز " : - الآن ستحضر زوجة أبى وترانا ،
سأذهب الآن ، وعندما تذهب زوجة أبى إلى الحمام سأتى إليك مرة
أخرى .

وأغلقت " أولدوز " عش الغراب وأسرعت تنام متدثرة بالحفاف ،
وحضرت زوجة الأب وأخذت ملابسها فى بقجة وذهبت ، فهدأت
بذلك نفس " أولدوز " وذهبت إلى غرابها وأخرجته من العش ، وتركت
الباب مفتوحاً حتى تدخل الشمس سامعة مشرقة .

رفرف الغراب بجناحيه وأخذ يمسح منقاره بالأرض يميناً ويساراً ثم
قال : - حقاً يا عزيزتى " أولدوز " ، الحرية شئ جميل .

تنهدت " أولدوز " وقالت : - أتعرف لماذا جاءت أمك فى الصباح ؟
قال الغراب : أعرف .

قالت " أولدوز " : - أأستطيع أن تخبرنى ؟

قال الغراب : - جاءت لتحملنى وتعلمنى الطيران ، فقد سطعت
الشمس وجاءت أمى مبكراً وقالت : اليوم يوم مناسب للطيران ،
وسأخذ إخوتك وأخواتك لأعلمهم الطيران ، وأنت أيضاً لابد أن تأتى ،
ثم أعيدك بعد ذلك ، فقلت لها : وماذا عن " أولدوز " ؟ ألم تخبريها ؟
فقالت أمى سأخبرها ، ثم وضعتنى فى العش ، وذهبت لتخبرك ، وبعد
مدة لم تخبرجى أنت . وبينما كنت بالعش سمعت صوت أمى تصرخ
بألم ، وخفق قلبى ، وصراخ أمى يصل إلىّ وهى تقول : - أليس لنا حق

الحياة فى هذه المدينة ؟! ... لماذا لا ينبغى لنا أن نصادق من نريد
علانية ؟ نظرت من ثقب بباب العش فوجدت زوجة الأب وقد
أمسكت بأمى ووضعتها تحت الغريال ، ومن الواضح أنها لم تفهم أى
كلمة من كلام أمى .

فرغ صبر " أولدوز " فسألته بسرعة : - وماذا حدث بعد ذلك ؟
قال الغراب : - ثم قيدت أمى بعد ذلك بحبل وعلقتها فى شجرة
التوت ، فقفزت أمى فجأة ونقرتها فى جبهتها وحاجبها ، وضربت
بجناحيها وجرحت وجهها بمنقارها فتأجج غضبها وأخذت تضرب
أمى بعصا غليظة .

قالت " أولدوز " : - ألم تقل أنك شيئاً آخر ؟
قال الغراب : - قالت أمى : يا زوجة الأب الجاهلة أتعقدين أن
الغريال تسعد بالسرقة ؟ لو كان لدى طعام أستطيع أن أشبع به
نفسى وأولادى فلن أسرق ، لأنى لو سرقت حينذاك فمعنى ذلك أنى
مريضة ! إنكم تشبعون أنفسكم وتعتقدون أن الجميع على شبع ...!
صمت الغراب ، ومنعت " أولدوز " نفسها من البكاء وسألته : - وماذا
حدث بعد ذلك ؟

قال الغراب : - بعد ذلك خرجت أنتِ بقميص نومك والباقى
تعرفينه أنتِ .

خيم الصمت عليهما للحظة ، ثم قالت " أولدوز " : - على العموم لقد
رحلت أمك ، الآن ماذا ستفعل ؟

قال الغراب : - لا بد أن أتعلم الطيران .

قالت " أولدوز " : - حقا ، فأنا دائمة التفكير فى نفسى فحسب .

قال الغراب: - يا ليت أبى وأخوتى وأخواتى وجدتى يعرفون أين أنا.
قالت " أولدوز": - نعم ، لكانوا عاونونا .

قال الغراب: - أتتذكرين أن أمى قالت: إن لم أتعلم الطيران بعد
عدة أيام سأموت ؟
قالت " أولدوز": - أتذكر ذلك .

قال الغراب: - أتعرفين حساب الأيام بدقة ؟
عدت " أولدوز" على أصابعها وقالت: - ليس لدينا أكثر من ستة
أيام .

قال الغراب: أتعرفين ماذا يجب علينا أن نفعل ؟
قالت " أولدوز": - ما رأيك أعطيك لياشار ليحملك إلى الخلاه
ويعلمك الطيران ؟

قال الغراب: - من هو " ياشار" ؟
قالت " أولدوز": : جارى الذى يسكن جهة اليسار .
قال الغراب: إذا كان ولدا طيبا فلن أعترض !
قالت " أولدوز": : إنه فعلا ولد طيب وأمين على الأسرار، ولكن كيف
أخبره ؟

قال الغراب: - الآن اصعدى للسطح ، وقولى له أن يحضر ليأخذنى .
قالت " أولدوز": : ليس من الممكن الآن ، إنه فى المدرسة .
قال الغراب: : مدرسة ؟!! لقد بدأت العطلة الصيفية منذ أيام .
قالت " أولدوز": - أنت على حق ، فقد خدعتنى زوجة أبى ،
فالمدراس الآن فى عطلة ، سأصعد إلى السطح ، وانتظر أنت هنا .
كانت " أولدوز" عند الدرجة الثانية من السلم عندما سمعت صوت

أقدام تأتي من الخارج ، فأسرعت إلى الغراب ووضعت في العش
وأغلقت الباب عليه ، وذهبت إلى غرفتها ونامت تحت اللحاف ،
وثبتت عليها على الفناء .

أصبح البيت مكاناً خالياً موحشاً :

تناهى إلى سمع " أولدوز " نباح كلب وصر الباب ، ثم دخل
الأب وبعده العم ، أخوه الأصغر واندفع وراءهما كلب أسود مربوط
بحبل يسلك به العم .

قال الأب : - الآن لا يستطيع أى غراب أن يأتي إلى هنا .

قال العم : - عندما يأتي الشتاء سأتى لأخذه .

قال الأب : - ليس هناك مشكلة ، فعندما يحل الشتاء لن نكون
بحاجة إليه .

قال العم : - أين " أولدوز " ؟ هل ذهبت بصحبة زوجة أبيها ؟

قال الأب : - لا ، إنها مريضة ونائمة .

وربطا الكلب بشجرة التوت وعادا إلى الغرفة . وكانت " أولدوز "
تحب عمها كثيراً لأنه كان يأتي من قرية أمها .

ظل العم يسأل عن أحوال " أولدوز " ، ولكنه لم يقل شيئاً عن أمها لأن
الأب كان يضيق صدره عندما يتحدث أحد عن زوجته الأولى .

قال العم للأب : - أئن تعود إلى عمك ؟

قال الأب : لا ، لقد أخذت اليوم أجازة ، ثم إن الوقت قد مضى .

وعاد للحديث عن الكلاب والغريان مرة أخرى وقال الأب وهو يسب الغريان قائلاً : - لصوص أقذار وجبناء ، يأتون ليسرقوا ، وإذا رأوا شخصا ينحنى ليلتقط حجرا أو شيئا من الأرض فروا هاريين بسرعة. وصلت زوجة الأب بعد أن انقضت ساعة على آذان الظهر، فنبح الكلب ، وأخرج العم رأسه من النافذة ، وصرخ فيه فسكت إلى جوارها وطأطأ رأسه.

دخلت زوجة الأب وأطرقت بوجهها أمام العم ، وكذلك كان العم يفعل حتى أنه لم يكن ينظر قط إلى وجه زوجة أخيه الأكبر، وكانت " أولدوز " تجلس صامئة تحمق فى وجه عمها وفجأة قالت له : - عمى ، هل تستطيع أن تأخذ كلبك معك ؟

تعجب الأب من كلامها ، وانتقل العم إلى جوار " أولدوز " وسألها : - لماذا أخذه معى ؟

تلعثمت " أولدوز " وحارت جوابا ، وفى النهاية قالت : - أنا ... أنا خائفة .

قال الأب : - دعك من هذا يا بنت لا تتظاهرى .

قال العم : - لا تخافى يا عزيزتى ، فالكلب أليف وسأقول له ألا يؤذيك. قال الأب : لا تعبأ بها ، لقد أصبحت لا تفهم كلام الآدميين ، بل أصبحت أسوأ من الكلب نفسه ، فهى تعض الجميع ، ودائما تدافع عن الغريان للصوص بدون سبب ، ولا أدرى أى خير رأته من هذه الطيور القذرة .

لم تقل " أولدوز " شيئا آخر وسحبت اللحاف على رأسها ونامت . وعندما استيقظت وجدت عمها قد ذهب ، والكلب ينبح فى الفناء

ويخيف الغريان ويبعدها منذ ذلك اليوم أصبح البيت خاليا ، ولم يستطع أى غراب الاقتراب منه ، حتى " أولدوز " كانت تذهب للفناء وهى خائفة ومرتعدة ، وذات مرة كانت تحمل قطعة لحم ضأن للغراب فهجم الكلب الأسود عليها ، وخطفها من يدها ، فصرخت " أولدوز " وجرت إلى الداخل .

أيام كلها قلق وحيرة وجوع وخوف :

نهضت " أولدوز " من فراشها ، والتأم جرح جبهة زوجة الأب سريعا ، أما جرح رأس " أولدوز " فقد استغرق وقتا طويلا حتى شفى !!! ولقد تغير سلوك زوجة الأب فأصبحت أسوأ من نى قبل . وكانت آثار أسنان " أولدوز " ما زالت واضحة فى لحم فخذه .

وأصبح وضع الغراب سيئا ، فهو دائما جوعان ، وبالرغم من أن " أولدوز " كانت تبذل قصارى جهدها ، إلا أنها لم تستطع توصيل الطعام والماء له فى ميعاده . وكأنه كان للكلب الأسود أربع عيون يراقب بها المكان وينبج على كل صوت يسمعه ولا يعرفه . وكان " ياشار " هو الأمل الوحيد لـ " أولدوز " والغراب ، فإن هوساعدهما لصارت الأمور على ما يرام ، ولكنهما لا يعرفان كيف يخبرانه !! ومن شدة خوف " أولدوز " من الكلب لم تكن تستطع الصعود إلى السطح ، فالكلب الأسود لم يكن يعطيها فرصة ، فكان يثير ضجة ، وكان من الممكن أن يعضها فهو دائما يتجول فى الفناء ويتشمم .

وكانت أم " ياشار " أحيانا تأتى لزيارتهم ، ولكن لم يكن يصح أن تقول لها شيئا ، فمن أين تعلم أنها ليست صديقة حميمة لزوجة

الأب ، ثم إن زوجة الأب لا تتركها تجلس بمفردها مع شخص ما .
وتعاقبت الأيام - ومضت خمسة أيام كلها قلق وحيرة و... وكانت
" أولدوز " تعلم أنه لابد للغراب أن يتعلم الطيران اليوم ، وإذا لم يتعلم
فسوق يموت . أما كيف يتعلم الطيران ؟ فإنها لا تدري !!
وفى النهاية حانت الفرصة ، واستطاعت أن ترى " ياشار " ، ففى
نفس اليوم أرادت زوجة أبيها أن تذهب إلى عرس ، فقالت لها
" أولدوز " : - يا أمى أخاف من الكلب ، ولا أستطيع أن أبقى فى
البيت بمفردى .
عيست زوجة أبيها ، وأخذتها من يدها وتركتهما عند أم " ياشار " .
وفرحت " أولدوز " من أعماق قلبها ، ولكنها لم تجد " ياشار " فى
البيت ، فسألت أمه : - أين " ياشار " ؟
قالت الأم : - لقد ذهب إلى المدرسة يا عزيزتى ، فقد فتحت المدارس
أبوابها بالأمس .
فجلست " أولدوز " تنتظر " ياشار " .

خطة لتحرير الغراب :

حان وقت الظهيرة ، وجاء " ياشار " راكضا ، وعندما رأى
" أولدوز " إحمروجهه وسلم عليها ، فردت " أولدوز " عليه السلام -
وكان لـ " ياشار " أخت رضيعة ، كانت أمها ترضعها كى تنام - بعد
ذلك توجه " ياشار " و " أولدوز " إلى الفناء .
وقالت " أولدوز " بهدوء وحزن : - " ياشار " أتعلم ماذا حدث ؟
قال " ياشار " : - لا !

قالت " أولدوز " : - سيموت غرابي !!
قال " ياشار " : - أي غراب ؟
قالت " أولدوز " : - غرابي ، غرابي ... يا أخى
قال " ياشار " : - أكان لديك غراب ؟
قالت " أولدوز " : - نعم لدى ، والآن ماذا نفعل ؟
سألها " ياشار " بلهفة : من أين حصلت عليه ؟
قالت " أولدوز " : - سأخبرك فيما بعد ، الآن قل لى ماذا نفعل ؟
قال " ياشار " : - هل سيموت من الجوع ؟
قالت " أولدوز " : - لا
قال " ياشار " : - إذن لماذا سيموت ؟!
قالت " أولدوز " : - لا يستطيع الطيران ، وإذا لم يستطع الغراب
الطيران فإنه حتما سيموت .
قال " ياشار " : - أعطه لى ، وسأعلمه .
قالت " أولدوز " : - لقد أخفيتته تحت السلم .
قال " ياشار " : - هل تعرف زوجة أبيك ؟
قالت " أولدوز " : - إذا علمت قتلته .
قال " ياشار " : - لا بد من حيلة !!
قالت " أولدوز " : - أولا: لا بد أن نتخلص من الكلب ، ألا تسمع صوته ؟
قال " ياشار " : - أسمع ، ولن يتركنا نحمل الغراب خارجا ، أمهلينى
يوما أو اثنين لأفكر وأرسم خطة وأدبر أمره .
قالت " أولدوز " : - ليس لدينا فرصة ، لا بد أن نأخذ الغراب اليوم ،
وإن لم نستطع سيموت ، هكذا أخبرتنى " أم الغراب " .

كان " ياشار " يشعر بانفعال ، وبأن هناك أشياء كثيرة مجهولة ، فسأل متسرعا : - من " أم الغراب " هي الأخرى ؟
 قالت " أولدوز " : - هي أم الغراب الصغير ، وسأحدثك عنها فيما بعد ،
 ولكن الآن لا بد أن نفعل شيئا حتى لا يموت الغراب .
 قال " ياشار " : لن أذهب إلى المدرسة بعد الظهر ، ونذهب سرا ونحضر الغراب .
 تناولت أسرة " ياشار " طعام الغداء جينا وخبزا وخضرا ، ويعد الغداء ذهب أبو " ياشار " لعمله ، وذهبت أمه بأخته الرضيعة لتنام .
 قال " ياشار " : - لن أنام أنا و " أولدوز " ، فلا بد من عمل الواجب .
 كان " ياشار " يلقي بهذه الأكاذيب بين الآن والأخري لترك بمفرده .

القتل تخليصاً للغراب من سجنه :

بعد قليل خرج " ياشار " و " أولدوز " وصعدا إلى السطح عن طريق السلم ، وأخذا ينظران هنا وهناك ، فلاحظا أن الكلب الأسود طليق يربض أمام باب الغراب .
 قال ياشار : سأنزل وأحضر الغراب .
 قالت اولدوز : ألا ترى ؟ ، الكلب رابض أمام الباب ؟
 قال ياشار : حقا ؟ يا للغراب المسكين ، ترى إلى أى حال قد وصل ؟
 قالت اولدوز : لا أعتقد أنه شديد الخوف الآن ، فغرابي شجاع ..
 قال ياشار : ماذا سنفعل الآن ؟
 قالت اولدوز : نفكر ، وندير خطة .
 قال ياشار : سأفكر الآن وأدير خطة .

وكان هناك برميل خل خاص بزوجة الأب في ركن بالسطح ، وقد
ثبت بأحجار وضعت من حوله حتى لا يقع ، وعندما وقعت عينا "
ياشار " على الأحجار ، برقت في رأسه فكرة فقال:
- هيا نقتل الكلب. ردت اولدوز بدهشة :
- نقتل ؟ !

قال ياشار: نعم بالطبع نقتل ، حتى نتخلص من شره إلى الأبد .
فقالت اولدوز: أنا خائفة .
قال ياشار: سأقتله أنا .
قالت اولدوز: أليس ذلك حراما ؟
قال ياشار: حرام ؟ لا أعلم إن كان حراما أم لا ، لكن ليست هناك
طريقة أخرى، نحن أيضا لم نسيء لأحد حتى يكون حراما ..
قالت اولدوز: الكلب ملك لعمي.
قال ياشار: ليكن ، لماذا أحضر عمك كلبه وربطه هنا ؟ بالطبع
ليخيفك ، وليسجن الغراب ، أليس كذلك ؟
لم تستطع اولدوز الرد ، فذهب ياشار بهدوء ، ورفع حجرا كبيرا وسأل
اولدوز:

- هل يوجد أحد في المنزل ؟
قالت اولدوز: ذهبت أُمي إلى عرس ، ولا أعلم أين أبي ، إنني أشفق
على الكلب ..
قال ياشار: هل تعتقدين أنني سعيد بقتل الكلب ؟ ولكن ليست لدينا
طريقة أخرى..

نزل يشار درجة واحدة من السلم حتى يقترب من رأس الكلب تماما، ثم رفع الحجر إلى أعلى ، وتركه يسقط فجأة على رأس الكلب ، فزام الكلب بصوت مختنق، ثم بدأ يقلص يديه وقدميه ..فجأة، سعا صوت والد اولدوز فانسحبا مسرعين ، وخرج الأب ، ورأى الكلب وهو يحتضر، فهمس يشار في أذن اولدوز قائلا : هيا نهرب ، لأنه سيرى الحجر فيصعد إلى السطح .

قالت اولدوز : أتترك الغراب ؟

قال يشار : بعد ذلك سأتي إليه .

نزل كل منهما بهدوء ، وجلسا في الغرفة ، ويعثرا كتب يشار أمامهما، حتى إذا حضر أى شخص يعتقد أنهما يستذكران دروسهما . لكنهما كانا يرتعدان بشدة ، وقد شحب وجهاهما . وتعالى صوت أقدام الأب على السطح ، ثم خفت وانقطع . وصعد يشار بمفرده إلى السطح ، وكان والد اولدوز قد إرتدى ثيابه ، ووقف بجوار جثة الكلب ، ثم تركه وخرج إلى الدرب .

وتذكر يشار ذلك اليوم الذي ألقى فيه حجرا على زجاج منزل اولدوز فكسره ، فأحضر الأب الشرطة ، وأحدث ضجة .. نزل يشار مسرعا عندما تذكر كل هذا ، وأخرج الغراب ، وقال له : أنا يشار، وقد قتلت الكلب لأخلصك ..

قال الغراب وهو يلهث : شكرا ، ولكن فات الوقت ..

قال يشار : لماذا ؟

قال الغراب : لقد قالت أُمي أن الموعد حتى ظهر اليوم ، بالإضافة إلى أنني جوعان وليس لدي القدرة على الطيران .

قال ياشار بحزن وهو على وشك البكاء : ألن تأتي معي الآن لأعلمك
الطيران ؟

قال الغراب : قلت فات الوقت ، قل لأولدوز أن تنتزع عدة ريشات
من جناحي وتحتفظ بها ، فسوف يأتي الغريان ويسألون عني ..
أنهى الغراب كلامه ، ثم أغلق منقاره ، ويرد جسمه ، ومات . فبكى
ياشار ، ثم خطرت له فكرة شيطانية ، ولعت عيناه وابتسم ، وأسرع
وحمل جثة الغراب ووضعها على السلم ، وألقى حجرا في وسط
المطبخ ، ووضع جثة الكلب تحت شجرة التوت ، ثم أحضر دلو ماء ،
وغسل الدم المتناثر على النافذة وأسفل الدرج ، ثم ترك الدلو مقلوبا
وسط الغرفة ، وحمل الغراب وخرج ، وتذكر السطح ، إذ يجب عدم
ترك أى أثر هناك ، فصعد وأزال كل أثر .

كانت اولدوز تبكي وهى حزينة جدا ، ولكن ما حدث قد حدث ، وليس
في إستطاعتها عمل أى شيء . وظل ياشار يواسيها ، ثم قال لها : إذا
أردت ألا تحدث أشياء أسوأ من ذلك ، لا بد أن تسكتى حتى لا يصل
الخبر إلى أحد ، وسيحل البلاء والمصائب بهم بحيث يشغلون بها ، لقد
تعلمت اليوم شيئا جديدا من المعلم ، وسوف أخوف زوجة الأب
والأب بحيث يخافا من ظلهما !!

ثم قص على اولدوز كل ما قاله الغراب وفعله ، عند ذلك إستعادت
اولدوز شيئا من تماسكها ، ونزعت عدة ريشات من ريش الغراب
الصغير ، ووضعتها في جيبها ، وحمل ياشار جثة الغراب ، وأخفاها ،
حتى يدفنها بعد ذلك .

أطفال عقلاء يتلاعبون بالآباء والأمهات :

جلس الطفلان ينتظران ، وفجأة تعالت أصوات ، وكان أبو ولدوز يصيح ويصرخ ، وكانت هناك أصوات أخرى تشاركه الصياح . إستيقظت أم ياشار ، واندفعت تجرى إلى الفناء ، ثم تنبهت وعادت فوضعت العباءة على رأسها ، وصعدت إلى السطح فوجدت والد ولدوز يصرخ كالمجنون ، ويدق على رأسه ، ويقول : - واحسرتاه .. واحسرتاه .. أنا مسكين .. لقد عرفوا الطريق إلى بيتي .. العفاريث .. لن أستطيع أن أمكث هنا ثانية ، لقد عرفوا الطريق إلى بيتي ... العفاريث !!

وتعلق الشرطي وعدة رجال آخرون حوله يريدون تهدئته ، لكن والد ولدوز أشار إلى جثة الكلب ، وصرخ قائلاً :
- أنظروا ، من الذى أحضره وألقى به هنا ؟ من الذى رفع الحجر من هنا ؟ من غسل الدماء ؟ العفاريث .. جاءوا أولاً وقتلوا الكلب .. ثم .. واحسرتاه .. واحسرتاه !!

وقفت أولدوز وياشار أسفل الدرج يسترقان السمع بعد أن منعتهما أم ياشار من الصعود إلى السطح ، وأخذ كل منهما يغمز للآخر ، ويضحكان من جهل الأب وبقية الأشخاص ، وكانا سعيدين لأن كل هؤلاء الناس صدقوا ما فعله سخرية بالآخرين.

سحب الجميع الأب إلى الغرفة ، لكنهم فجأة صرخوا جميعاً صرخة خوف ، ثم تضرعوا قائلين : أدركنا يا الله .. العفاريث !!

جرى الأب مرة أخرى إلى الفناء ، وأخذ يصرخ كالمجانين وهو يركض هنا وهناك ، وكان منظر الدلو المقلوب قد أدخل الرعب في قلوب الجميع .

قال شيخ: عرفوا الطريق إلى البيت .. العفاريت ، فتشوا البيت ، وليذهب أحدكم ، وليحضر صارف الجن ، وليذهب آخر وليحضر كاتب الدعاء . وصرخ الأب :
- ساعدوني ، لقد خرب بيتي .

ذهب أحدهم لإحضار السيد قلبي صارف الجن ، وذهب آخر لإحضار " ميرزا ولي " كاتب الدعاء . وأسرعت عجوز إلى منزلها ، وأحضرت إطارا قديما كتب في داخله بخط متشابك " بسم الله " لتصرف بها الجن ، وأخذ رجلان الإطار قائلين " بسم الله " ، وشرعا يبحثان في كل أركان المنزل ، وفجأة نظرا فوجدا حجرا كبيرا ملطخا بالدم وسط المطبخ ، فحملاه بخوف وذهبا به إلى الفناء . وعندما رآه الأب ، عاد إلى الصراخ قائلا :

- واحسرتاه .. واحسرتاه .. لماذا الحجر هناك ؟ من وضعه هناك ؟ العفاريت ؟ لقد وقعوا في ... يريدون أذائي .. أي ذنب اقترفت ؟
استمعت اولدوز وياشار إلى كل ما دار من أحاديث من حيث وقفا تحت السور وأخذوا يضحكان ، ثم دخلا الغرفة بسرعة حتى لا يراهم من على السطح . وقال ياشار :

- الآن سوف تحضر زوجة أبيك فانظري أي مصيبة ستحل بها ، سينقلب العرس الذي كانت فيه سما بالنسبة لها .
وضحكا بصوت عال من كل قلبيهما ، وأسرع ياشار ، فوضع يده على

فم اولدوز حتى لا يسمع أحد صوتها .

وأخبر أحدهم زوجة الأب ، فأسرعت إلى المنزل ، وعندما رأت منظر زوجها ، أغشي عليها وسقطت وسط الفناء ، فحملتها النساء إلى منزل الجيران الأيمن . وقالت العجوز :

- لابد أن تحضروا صارف الجن وكاتب الدعاء أولا ليصرفوا الجن ، حتى تستطيع المرأة الحامل العودة إلى البيت .

ويعد نصف ساعة ، وصل صارف الجن وكاتب الدعاء . ووضع صارف الجن طستا مقلوبا أمامه ، وقرأ عليه كلاما عجيبا غريبا ، ثم طلب مرأة فخرجت أصوات عجيبة وغريبة من الرجل ومن تحت الطست ، وفي النهاية قال :

- يا من أنتم أفضل منا ، أستحلفكم بملككم ، إبتعدوا عن بيت هذا الرجل المسلم ، ولا تؤذوه !!

ثم أخذ يحملق في المرأة ويتصنت ، ثم قال لوالد اولدوز :

- اليوم لم يستفتحو ، أعطهم خمسين تومانا ليذهبوا إلى حالهم .

ساومه والد اولدوز ، وفي النهاية دفع ثلاثين تومانا ، فأخذها صارف الجن ، وحمل الطست وخرج وهو يكرر : - يامن أنتم أفضل منا ، إبتعدوا عن منزل هذا الرجل

المسلم ولا تؤذوه ... بحق سلطان الجن عليكم ..

ويعد قليل نهض ضاحكا وقال للأب :

-من حسن حظك أنهم ابتعدوا وانصرفوا سريعا ، ولن يعودوا ثانية بشرط أن ترضيني .

عند ذلك تنهد الأب ، وأعطى لصارف الجن ثلاثين تومانا أخرى وصرفه . ثم جاء دور كاتب الدعاء ، فكتب أشياء بخط معوج بمداد أسود ويرتقالي ، ثم أخفى الورقة في زاوية من زوايا البيت ، وأخذ عشرين تومانا وذهب .

وأحضروا زوجة الأب . ولم يعلم أحد متى إنصرف الشرطي . حل الليل ، وأخذت أم ياشار أولدوز إلى منزلها ، ومن شدة خوف الأب وزوجته ، لم يفكرا في أولدوز طوال ذلك الوقت .

ثلج وبرد وعطلة وانتظار:

جاء الخريف ومعه الثلج والبرد ، ويعدده حل الشتاء ، وازداد الثلج والبرد إلى حد كبير ، وجاء العم يبحث عن كلبه ، فلم بما حدث ، فتشاجر مع الأب بسبب ما حدث لكلبه ، ثم عاد غاضبا خالي الوقاض .

ظلت زوجة الأب خائفة ، وملأت باب المطبخ والحائط بالأدعية المطبوعة والمكتوبة باليد ، ومن شدة خوفها فلم تكن تخرج بمفردها ليلا ، فكانت تأخذ " أولدوز " لترافقها في الطريق ، أما " أولدوز " فلم يعرف الخوف طريقا إلى قلبها ، فكانت تخرج بمفردها وهي سعيدة في قرارة نفسها على ما أصاب زوجة أبيها . وكانت " أولدوز " قد أخفت ريش الغراب في صندوق المذيع . ولم تكن ترى " ياشار " وكان " ياشار " قد دفن جثة الغراب في مكان خفي ، وانتظم في ذهابه إلى المدرسة ، واستنكار دروسه .

وأحيانا كان يضيع منه قلمه الرصاص فتتشاجر معه أمه الغاضبة

التي كانت تقول له :- أنت لا تفكر كيف أن أباك يتعب فى إحضار النقود لتشتري بها الأقلام.

وكانت معالم التقدم فى الحمل تزداد وضوحا على زوجة الأب ، وقد قالت لها جارتها :- باقى لك أسبوع أو إثنان وتلدن . فكانت ترد عليهم :- من المحتمل أن يكون قبل ذلك . فقالت جاراتها :- إن شاء الله سيعيش هذه المرة . فردت زوجة الأب :- إن شاء الله سأنذر نذراً ، ومن المؤكد أنه سيعيش .

كان أبو " ياشار " عاطلاً فى أغلب الأحيان يذهب للعمل مع الفعلة ، وكان ثلج الشتاء يتساقط بشدة ، فإذا إستيقظت مبكراً ونظرت إلى الخارج وجدت الثلج قد غطى النوافذ حتى نصفها ، حتى إن العصافير كانت تتجمد من شدة البرودة ، فتتساقط مثل أوراق الشجر فى الخريف .

وذات صباح رأى الأب غرابين على حافة السطح فأحضر هراوة وصعد إليهما وضربهما ، فأسقطهما ، ووجدهما متجمدين من شدة البرودة ، وحزنت " أولدوز " حزناً شديداً . وبعد عدة أيام عرف " ياشار " الخبر من أمه ، فقال لنفسه :- لعلهما كانا يسألان عن الغراب الصغير ، مسكينان !

وكانت أم " ياشار " تأتى كل صباح لتساعد زوجة أبى " أولدوز " وتغسل لها الأواني ، وتنظف لها المنزل ، ثم تعود إلى منزلها ظهراً ، فكانت خادمة باليوم ، وكانت " أولدوز " تحبها فهى امرأة طيبة . وأحياناً كانت زوجة الأب تذهب وتتركها ، فتنتهز " أولدوز " الفرصة

وتتحدث معها ، وتسألها عن أحوال " ياشار " وتحملها السلام له ،
وأيضاً كانت الجارات الأخريات يترددن على البيت ، ولكن
" أولدوز " كانت تحب أم " ياشار " أكثر من الجميع ، ورغم ذلك لم
تحدثها عن أسرارها ، بل كانت تنتظر الغريان بمفردها ، وهى على
يقين أنهم سيأتون يوماً .

ظل الأب منتظماً فى الذهاب إلى عمله والعودة إلى المنزل ، وذات
ليلة قال لزوجته : - أنا فى أشد الشوق إلى الطفل ، فإذا عاش هذه
المرة فسأرسل " أولدوز " الى مكان آخر حتى تستريحى ، أما إذا توفى
فلن أستطيع إبعاد " أولدوز " عنى .

وكانت زوجة الأب متفائلة هذه المرة بأن الطفل سيأتى إلى الدنيا
حياً ، لأنها نذرت نذراً كبيراً ، أما " أولدوز " فكانت تغار من هذا
الطفل الذى لم يولد بعد وتتمنى من كل قلبها أن يولد ميتاً !!

النذور لا تمنع قدراً

ذكرى من أم الغراب :

أخيراً وضعت زوجة الأب وليدها ، وكان طفلاً حياً ، فوفوا
بالنذر ، وكتبوا أدعية وأحبة كثيرة ، ونحرو الذبائح إتياءاً للحسد ،
وأشعلوا الشموع ، وأحضروا المنشد لينشد لهم روضة " على الأصغر " ،
وأضافوا ندوراً كثيرة من أجل ألا يموت الوليد ، ولكن فى نهاية
الأسبوع الأول أوشك الطفل على الهلاك ، وعندما حضر الطبيب قال :

- إن الطفل لم يكتمل فى بطن أمه ، ولذا من الصعب أن يعيش الطفل وأنه لا يستطيع عمل شئ من أجله . ومات الطفل فى اليوم التالى .

مرضت زوجة الأب من الهم والغم ، وكانت تردد ليلاً ونهاراً : - لقد خنق العفاريث طفلى ، انهم حتى الآن لم ينصرفوا من عندنا ، فلتعم عين الحسود التى حسدته فقتلته !!

وكانت أم " ياشار " لا تفارق زوجة الأب طوال النهار ، وتظل جالسة بجوارها ، وأحياناً كان " ياشار " يأتى ليتناول الغداء عند أمه فيتحدث قليلاً مع " أولدوز " ، ولكنه لم يكن يعرف أى شئ عن الغريان ، وأحياناً كان يلوح غراباً يطير بمفرده فى السماء ، وأحياناً أخرى كان يسمع نقيق غراب ، إلا أنه سرعان ما كان يصمت . أما أشجار الحور الأبيض فقد نفضت كل أوراقها وبدأت عارية ، فتذكرت " أولدوز " أم الغراب ، وكيف كانت تجلس على الأغصان الرقيقة وتنطق وتهتز ، وكيف كانت تطير وتذهب !!

ويمضى الشتاء ببرده القارس :

كان الشتاء يمضى قارساً بصعوبة شديد البرودة ، فيتكدس الثلج سريعاً فى وسط الفناء بارتفاع الأسوار . ويندرو وجود الفحم والكبروسين ، وترتفع الأسعار إلى ثلاثة أضعاف . وكان أبو " ياشار " دائماً عاطلاً ، وأمّه تنتقل من بيت إلى آخر لى تعمل وتغسل الملابس ، وأحياناً كانت تحمل أخيراً لاتصدق ، فمثلاً كانت تقول أن هناك عائلة فقيرة تجمدت بالأمس من شدة البرد . وذات يوم جاءت باكياً

وقالت لزوجة الأب : - ابنتى تجمدت من شدة البرد أسفل الكرسي " المدفأة الإيرانية " وماتت.

وحزن " ياشار " على أخته حزناً شديداً ، وكاد إحساسه بموتها أن يذهب بعقله ، فكان يبكى أمام " أولدوز " ويقول : - لم يبق إلا القليل وأنجمد أنا أيضاً من شدة البرد لأن كرسيها بارد فى أغلب الأحيان لعدم وجود الفحم .

فتمسح " أولدوز " دموعه وقالت : - لا تبك وإلا بكيت أنا أيضاً وذات مرة سكنت " ياشار " ثم قال : - لقد قال أبى لأمى هذا الصباح : فى هذه المخروية ما من أحد يقول : لماذا يبقى أناس بدون فحم !!

قالت " أولدوز " : - هل أبوك يعمل ؟ قال " ياشار " : - لا ، إنه دائماً جالس بالبيت يفكر ، وأحيانا يذهب لكسح الثلوج .

قالت " أولدوز " : - لماذا لا يذهب ويبحث عن عمل ؟ قال " ياشار " : - دائماً يقول إنه لا يوجد عمل .

قالت " أولدوز " : - لماذا لا يوجد عمل ؟ فلم يجب " ياشار " .

رائحة الربيع :

قلت الثلوج ، وأعلن الربيع عن مجيئه فجريت المياه ، وتنفست الخضرة ، وفتحت الزهور ، وذهب الشتاء بقسوته ، بعد أن أزهى الكثير من الأرواح ، وعاش بقية الناس بصعوبة بالغة . حزنتم أم " ياشار " كرسيها البارد الخالى ، وفتحت النافذة ، وذهب أبو " ياشار " مع عشرة أو عشرين شخصاً إلى طهران ليعمل فى

قمائن الطوب . ويقى " ياشار " وأمه فى البيت بمفردهما مثل السنوات الماضية .

وأخيرا تحسنت صحة زوجة الأب التى لم تكن تصب أن ترى " أولدوز " ، فكانت " أولدوز " تقضى أغلب وقتها فى بيت " ياشار " . ولم تحاول زوجة الأب أن تمنعها وكان أبو " أولدوز " يتظاهر بالعطف عليها ، لكنها كانت تستاء منه أيضا ، وكان الأب يقول لها : - هذا العام سوف أرسلك إلى المدرسة .

من يعرف لغة الغريان :

حل شهر " خرداد " مايو ويونيه " ، وانشغل " ياشار " بامتحانات نهاية العام . وقال لـ " أولدوز " فى ذلك اليوم : - بالأمس رأيت غرابين يحومان حول المدرسة .

فقفزت " أولدوز " من مكانها وقالت : - حقا ، وماذا بعد ذلك ؟ قال " ياشار " : - بعد ذلك ذهبت إلى المدرسة سريعا كى أؤدى اختبار مادة الحساب ، وعندما خرجت لم أجدتهما . جلست " أولدوز " فى مكانها بهدوء ، وقال لها " ياشار " : - لانتزنى ، إذا كان الغرابان من أصدقائنا فإنهما سيعودان .

قالت " أولدوز " : - أتحدثت معهما ؟ قال " ياشار " : - لم أجد فرصة ، ثم إننى لا أعرف لغة الغريان . قالت " أولدوز " : - بل تعرف .

قال " ياشار " : - من أين تعرفين ؟ قال " أولدوز " : - لإنك عطوف ، وقلبك صاف ، كما أنك لست

أناذياً ، ولست كزوجة أبى .

قال " ياشار " : - أين تعلمت هذا ؟

قالت " أولدوز " : - كل الأطفال الطيبين يعرفون لغة الغريان ، هذا ما قالته أم الغراب ، ولم أختلفه من نفسى .

سُر " ياشار " من هذا الخبر ، ومن شدة سعادته أمسك بيد " أولدوز " وضغط عليها وقال : - لا أعرف لماذا لم أستطع الحديث مع الغراب فى هذا اليوم ، ولا أتذكر كيف حدث ذلك ؟!

عودة الغريان :

مضى يومان أو ثلاثة ، وأصبح الصيف أكثر اقترابا ، فازدادت حرارة الجو ، لذلك كان الكبار يحبون النوم ظهرا خاصة بعد تناول الغداء ويجبرون الأطفال أيضاً على النوم .

وذات يوم كان " ياشار " عائداً إلى منزله بعد أن أنهى اليوم الأخير من الإمتحانات وأثناء سيره فى طريق العودة إلى المنزل سمع " ياشار " صوتاً يصيح باسمه من خلف شجرة التوت الموجودة أمام المسجد القريب من المدرسة . وكان الوقت ظهرا ، تلفت " ياشار " حوله فلم يجد أحداً ، فقد كان الشارع خالياً . وعندما هم باستئناف السير سمع مرة أخرى ذات الصوت يصيح من خلفه : " ياشار " .

فعاد " ياشار " الى الخلف يبحث عن من يناديه ، فوقع نظره على غرابين يحطان فوق شجرة التوت ويتسمان . إهتز قلب " ياشار " وأخذ يدق بسرعة وقال : - أيها الغرابان ، كيف تعرفتما على ؟ قال أحدهما بصوت رقيق : - يا سيد " ياشار " ، ألسنت صديق " أولدوز " ؟

قال "ياشار" : - بلى ، لماذا تسأل ؟
 قال الغراب الآخر بصوت أجش : - حقيقة إن أمانا لم ترك ، ولكن
 " أولدوز " كانت قد وصفتك لها ، ولذلك أخذنا وقتا طويلا فى البحث
 عنك فى المدرسة لكى نجدك ، ولأننا فى البداية لم تكن نرغب فى رؤية
 " أولدوز " لأن جدتنا كانت قد أوصتنا بذلك ، فكيف حالها ؟
 قال "ياشار" : - إنها تخشى أن تكونا قد نسيتموها يا سيدى
 الغراب .

قال الغراب ذو الصوت الأجش : - فلتسمح لنا أن نقدم لك أنفسنا ،
 أنا أخو الغراب الذى كان لديكما ومات ، وهذه أختى الأنسة غرابة .
 قالت الأنسة غرابة : - كان لدينا أخ آخر تجمد من شدة البرد ومات ،
 وكذلك مات أبونا حزنا على أمانا ؛
 قال "ياشار" : - البقية فى حياتكما .
 قال الغرابان : - نشكرك .

فكر "ياشار" وقال : - ليس من المناسب أن نتحدث هنا فتعاليا
 معى إلى المنزل فلا يوجد هناك أحد .
 قبل الغرابان الدعوة ، ثم حلقا فوق رأسه وهوى سير فى طريقه
 ولا يستطيع أحد أن يصف حال "ياشار" ، فكم كان فخورا بنفسه ،
 كان ينظر للسماء ، وأحيانا ينظر إلى الغرابين ، ويبتسم ، ثم يواصل
 السير مرة أخرى ، وفى النهاية وصلوا إلى البيت . وأحضر "ياشار"
 المفتاح من الجيران لأن أمه لم تكن قد حضرت إلى البيت ظهرا .
 دخل "ياشار" وهبط الغرابان وجلسا على الدرج ، فقال لهما
 "ياشار" : - ألا ترغبان فى رؤية " أولدوز " ؟

فى نفس اللحظة تصاعد صوت بكاء " أولدوز " من الناحية المقابلة للحائط ، فصمت ثلاثتهم ، وبعد لحظة قالت الأنسة غرابة : - لا يمكن أن نرى " أولدوز " فلا تتعجل .

وقال السيد غراب : - نعم ، فلنذهب إلى مدينة الغريان ونخبرهم ثم نعود بعد ذلك لنراها ، سنعود فى نفس اليوم ، هلا بلغت " أولدوز " سلامنا !!

عندما أصبح " ياشار " بمفرده ، صعد إلى السطح متوقعا حدوث شئ ما ، ولم تخرج " أولدوز " إلى الفناء ، فنزل من أعلى السطح ، وتناول الغداء المكون من الخبز والجبن الذى تركته له أمه ، ثم صعد مرة أخرى . وكان الجو شديد الحرارة فخلع قميصه وتمدد على ظهره حتى يستطيع التأمل فى السماء ، ووجد لها صافية زرقاء بها عدة طيور وكأنها تنزلق لا تطير .

اتفاق الفرار

الفرار من أجل العودة :

كانت المائدة معدة لطعام الغداء ، وقد أجلس الأب " أولدوز " وعيناها دامعتان - إلى جانبه ، ومع ذلك استمرت تبكى بحرقة ، فقالت لها زوجة الأب : - تشتهى علكة ، فهيات مقدماتها ، كفالك لقد أحدثت جلبه .

قال الأب : - ابنتى العزيزة ، كنت طفلة مطيعة ، ماذا تريدين ؟ لم تقل " أولدوز " شيئا ، وأخذت تبكى بحرقة ، فقالت زوجة الأب : -

تقول أنها ستموت كمدا من الوحدة ولا بد أن تتركها تذهب وتلعب مع "ياشار".

وأسرعت "أولدوز" بالقول : - نعم ، أريد رفيقا للعب وأنا أتضايق من الوحدة .

وبعد أن دار حديث قصير بينهم قرر الأب أن تذهب "أولدوز" إلى "ياشار" فى بعض الأحيان على أن تعود بسرعة ، ففريحت "أولدوز" بذلك فرحا شديدا ، وذهب الأب وزوجته للنوم بعد تناول الغداء ، ولكن "أولدوز" سعدت إلى السطح وركزت كل تفكيرها فى لقاء الغريان والجلوس على السطح . وفجأة وضعت عينيها على "ياشار" وكان نائما باستمع ، وكانت الشمس ساطعة شديدة الحرارة ، ذهبت "أولدوز" وجلست بالقرب من رأس "ياشار" وأخذت تمسح بيدها على شعره ، ففتحت "ياشار" عينيه وضحك ، وضحكت "أولدوز" أيضا ، فاعتدل "ياشار" جالسا وارتنى قميصه وقال : -
أتعرفين يا "أولدوز" أى حلم رأيت ؟

قالت "أولدوز" : - لا .

فقال "ياشار" : - رأيت فى الحلم أن كلا منا يمسك بيد الآخر وقد جلسنا فوق السحاب ، ونحن ذاهبان لعرس الأنسة غرابه ، ويقاى الغريان تطير وراءنا .

أحمر وجه "أولدوز" ثم سألت : من هي الأنسة غرابه ؟

قال "ياشار" : - ألم أخبرك !!

قالت "أولدوز" : - لا

قال "ياشار" : - رأيت الغريان وتحدثت معهم .

قالت " أولدوز" : - متى ؟

قال " ياشار" : - أثناء عودتى من المدرسة قابلت أختا الغراب وأخته
واتفقنا على أنهما سيأتيان .

قالت " أولدوز" : - هل الأنسة غرابه هي أخت الغراب الصغير نفسه ؟
قال " ياشار" : نعم

قالت " أولدوز" : ما أخبار الغراب الأب ؟

قال " ياشار" : - يقولون أنه مات حزنا على زوجته .

أثناء الحديث ظهر الغرابان من وراء الأشجار ، واستمرا فى التحليق
حتى وصلا إلى السطح ، ثم حطا على الأرض ، وسلما على " أولدوز"
و" ياشار" فحملت " أولدوز" أحدهما وقبلته ووضعتة فى حجرها
وتعرفت عليه وسألتة عن أحواله ، قال السيد غراب : - " أولدوز" إن
جميع الغربان يقولون أنه لابد أن تأتى إلينا .

قالت " أولدوز" : - معنى ذلك أن أهرب من البيت ؟

قال الغراب : - نعم لابد أن تهربى وتأتى عندنا ، فإن جلوسك هنا
معناه موتك حزنا ، فنحن نعلم أن زوجة أبيك تؤذيك أذى شديدا .

قالت " أولدوز" : - كيف أستطيع أن أهرب ؟ إن أبى وزوجته لن
يسمحا بذلك ، حتى عمى لم يأت إلى منزلنا منذ أن قتل كلبه ؟

قالت الأنسة غرابه : - إذا أردت الحضور فالغربان سيرشدونك إلى
الهروب .

وحتى تلك اللحظة لم يكن " ياشار" قد اشترك فى الحديث ، ولكنه
قاطعهما ، وقال : - معنى ذلك أن تذهب " أولدوز" ولا تعود ؟

قالت الأنسة غرابه : - هذا حسب رغبتها هي ، فيم تفكر يا " ياشار" ؟

قال "ياشار" : - إننى أوافقك الرأى على إنها إذا بقيت هنا ستنتهى ولن تستطيع عمل شئ ، أما إذا ذهبت الى مدينة الغربان ... فلا أدري كيف سيكون حالها .

قال الغراب : - سنأتى غدا لمواصلة الحديث ، وأيضا تكون " أولدوز " قد فكرت إلى الغد

ذهب الغرابان ، وسألت " أولدوز " : - هل تعتقد أنه يجب على أن أذهب ؟

قال "ياشار" : - نعم ، إذهبي ، ولكن عودى مرة أخرى ، أتعديننى بأن تعودى ؟

قالت " أولدوز " : - أعدك يا "ياشار" .

الجدة وحديث عن الهرب وأسلوبه :

ظهر اليوم حضر الغرابان وبصحبتهما غراب عجوز قدمته الآنسة غرابه بقولها : - هذه هي الجدة .

تحركت الجدة حتى صارت إلى جوار "ياشار" و " أولدوز " ، ثم جلست فى مواجهتهما ، وقالت : - جميع الغريان سعداء لعثورنا عليكما ، فقد أننت عليكما ابنتى كثيرا .

قالت " أولدوز " : - هل كانت أم الغراب ابنتك ؟

قالت الجدة : - نعم ، كانت ممتازة !!

تهندت " أولدوز " وهى تقول : - لقد قُتلت من أجلى .

قالت الجدة : - عدد الغريان ليس واحدا أو اثنين ، ولن ينقرضوا بالموت أو القتل ، فعندما يموت واحد منهم يأتى للدنيا إثنان .

قال "ياشار" : - "أولدوز" ترغب فى الذهاب إليكم .
قالت الجدة : - حسناً جداً ، إذن لابد أن نبدأ العمل .
قالت "أولدوز" : - هل يمكننى العودة فى أى وقت أريد ؟
قالت الجدة : - بالطبع لابد أن تعودى ، فنحن الغريان لا نصب
الشخص الذى يترك بيته وحياته وأصدقاءه ويهرب لكى يعيش فى
راحة بدون معرفة أى شئ عن الآخرين .
قالت "أولدوز" : - كيف سأتى إليكم ؟
قالت الجدة : - أولاً وقبل كل شئ لابد من وجود شبكة متينة ، لذلك
لابد أن تنسجيبها .
قالت "أولدوز" : - شبكة !! فى أى شئ ستفيدنا ؟
قالت الجدة : - الفائدة الأولى لها أن يعرف الغريان أنك لست
كسولة وأنتك تعملين وتحملين المشاق من أجل سعادتك ، والفائدة
الثانية أنك ستجلسين عليها وتحملك الغريان وتطيربك إلى مدينتنا .
وفى خلال الحديث تدخل "ياشار" قائلاً : - أنصتى لى أيتها الجدة ،
من أين نحضر الخيط والصوف ؟
قالت الجدة : - نحن الغريان على استعداد دائم لمساعدة الأشخاص
الطيبين ، سنحضر نحن الصوف ، أما أنتما فاعزلاه وانسجا الشبكة .
وعلى السطح كان يوجد عدة أحجار كبيرة جمعتها زوجة الأب بعيدا
عن جرة الخل ، فقالت الجدة : - سنجمع الصوف ونضعه وسط هذه
الأحجار .
تحدثوا قليلا عن موضوعات متعددة ثم ذهب الغريان .

قالت " أولدوز " : - " ياشار " ، أنا لا أعرف كيف أنسج الخيط والشبكة . قال " ياشار " : - أنا أعرف ، فقد تعلمت من أبى .

الغريبان يحاولون

الأطفال يجتهدون

العمل يتقدم :

كانت مدرسة " ياشار " فى عطلة ، وكانت اللغة الفارسية عنده قد تحسنت ، وأصبح يستطيع أن يقرأ خطابات أبيه ، ثم يشرح معناها لأمه ، وأيضاً كان يستطيع قراءة الكتب . وكانت أم " ياشار " لا تزال تذهب لغسل الملابس ، وأبوه يعمل فى قمائن الطوب بطهران . وكانت الغريبان تتردد كثيراً على بيتهم ، وكثيراً ما كانت تلاحظهم زوجة الأب حين تنظر للسماء ، فيسيطر الخوف عليها من كثرتهم . أما " أولدوز " فكانت تحتفظ بوجهها خالياً من أى تعبير . وكثيراً ما كانت زوجة الأب تتضايق من هذا فتقول أمامها : - لا ينبغي أن يكون للمرء علاقة مع الغريبان . ولكن مظهر " أولدوز " الهادئ البريء لم يكن يدل على ذلك .

تقدم العمل فى غزل الخيط فى بيت " ياشار " ، وتوفرت له الخبرة ، وأخذ يغزل بالمغزل مثل الكبار ، بينما أخذت " أولدوز " تفتل الخيوط بيدها ، وأيضاً كانت تعد الخيوط الغليظة . وكان فى الفناء عش صغير ظل خالياً . فأخفيا فيه الحبال .

وفى بعض الأحيان كانت الجدة تأتى لتسأل عما وصل إليه العمل .

فكان " ياشار " يعرض عليها الخيوط المغزولة فتضحك وتقول : -
حسنا ، أنتما طفلان ممتازان لا تجعلا أحدا يعرف ، وأخفيا عملكما ،
وافتحا عيونكما وآذانكما .

قال " ياشار " و " أولدوز " : - لا نخافى أيتها الجدة ، حقا إننا صغار
السن ولكن عقولنا كبيرة ، ونستطيع أن ندرك أنه لا يجب على
الإنسان أن يظهر كل عمل من أعماله ولكن عليه أن يظهر بعض
الأعمال ويخفى بعضها .

أخذت الجدة تسح منقارها المعوج بالتراب وقالت : - أنا سعيدة
بكما ، لأنه هناك فرقا كبيرا بينكما وبين آبائكما وأمهاتكما . عفارم !
عفارم ! أنتما الآن طفلان ولم تنضجا بعد ، ويجب أن تتعلما أشياء
كثيرة وسيكون تفكيركما أفضل من ذلك .

وأحيانا كانت الأنسة غرابة تأتي مع أخيها ، ويجلسان فى
مواجهتهما ويتحدثان معهما عن مدينتهما ، عن أشجار الصور
الأبيض ، عن السحاب والرياح والجبال ، وأخذا يثنيان على الوادى
والصحراء والبركة ، وقد تعرف " ياشار " و " أولدوز " على خمسين أو
ستين غرابا آخرين . وقالت الأنسة غرابة : إن مدينة الغريان يعيش
فيها أكثر من مليون غراب ، ولقد بعث هذا الحديث السرور فى
وجدان الطفلين ، فكم هو جميل أن يعيش مليون غراب فى مكان
واحد دون أن تكون هناك مشاجرات بينهم .

رفيق سفر " أولدوز " :

ذات يوم كان " ياشار " و " أولدوز " يغزلان ، فرفعت " أولدوز "

رأسها فرأت "ياشار" ينظر إليها وهو ساكن لا يتحرك ، فقالت : -
لماذا تحملق في هكذا يا "ياشار" ؟ ماذا هناك ؟
قال "ياشار" : كنت أفكر .
قالت "أولدوز" : - فيم تفكر ؟
قال "ياشار" : آه ، يعنى على هذا النحو .
قالت "أولدوز" : - لابد أن تخبرنى .
قال "ياشار" : - حسنا ، سأقول لك ، إنى أفكر فى أنك عندما
ترحلين ستقتلنى الوحدة .
قالت "أولدوز" : - كنت أفكر أنا أيضا فى ذلك بالأمس ، ليتنا
نسافر معا ، فالسفر بمفردى لن يكون مسليا .
قال "ياشار" : - هل ترفيقين فى أن أرافقك ؟
قالت "أولدوز" : - أريد ذلك من كل قلبى ، ولابد أن نقول ذلك
للجدة .
قال "ياشار" : - سأخبرها بنفسى .
فى اليوم التالى جاءت الجدة فقال لها "ياشار" : - أيتها الجدة ، هل
أستطيع مرافقة "أولدوز" فى المجىء إليكم ؟
قالت الجدة : - تستطيع بالطبع ، ولكن ألن تتألم لفراق أمك ؟ إنها
سيدة طيبة ولا ينبغي أن تتركها وتهرب !
قال "ياشار" : - لقد فكرت فى ذلك ، وسأخبرها قبل سفرى بيوم .
قالت الجدة : - إذا وافقتك أمك فليس هناك مشكلة ، سنحملك
أنت الآخر .
زاد هذا الكلام من حماس "ياشار" و"أولدوز" وأقبلا على العمل بجد
وسرعة .

سارقو السمك ، سارقو الصوف :

لا أثر للأدعية :

نجح " ياشار " فى الامتحان ، وفى اليوم التالى الذى أحضر فيه شهادته إلى البيت ، كتب رسالة إلى أبيه ، وكان يقضى معظم الوقت مع " أولدوز " ، وكان هذا يوافق زوجة الأب التى تريد إبعاد " أولدوز " عنها ، لذلك لم تكن تضايقهما كثيراً ، وعلى كل كانت دائماً قلقة من الغريان ، فكثير من الغريان تأتى وتذهب ، وهذا ماجعلها قلقة دائماً ، وخائفة من أن تحل البلىا على رأسها فى النهاية . والأب ايضاً لم يكن مرتاحاً لهذه الظاهرة خاصة بعد ما ذهب إلى حوض السمك فلم يجد فيه شيئاً ، وكانت الأنسة غرابة وأخوها قد أخذاً سمكتين لهما وواحدة للجدة والباقى للغريان الآخرين ، لذلك عندما كان الأب وزوجته يريان غراباً فى أى مكان ، كانا يسبانها بأقبح الألفاظ ويقدفانه بالحجارة .

وذات يوم اشترى الأب زيببا ، وأعطاه لزوجته لكى تصنع منه خلا ، وحملت زوجة الأب الجرة إلى السطح ، وثبتتها بالحجارة ، وفجأة عثرت على مقدار كبير من الصوف بين الأحجار ، فأحضرت له لزوجها وقالت : - أنظر! إن الجن كان يهزأ بنا ، حتى الآن لم يرفعوا أيديهم عنا ، من الذى جمع هذه الأشياء ووضعها وسط الأحجار ؟ قال الأب : - لا بد أن أمنعهم .

قالت زوجة الأب : - غدا أذهب لكاتب الدماء لأخذ منه دعاء قويا يخيف الجن ويجعلهم يفرون .

وفى اليوم التالى قابلت " أولدوز " ياشار " وقصت عليه ما حدث فضحك وقال : - لا بد أن نسرقه وإلا تعطل عملنا لعدة أيام ، وسرقت " اولدوز" الصوف وأحضرتة ، فوضعاها فى كوخ الكلب الخالي ، ونظر ياشار إلى الصوف فوجد أنه كاف ، فأخبرا الغريان بألا يحضروا صوفا آخر . ذهبت زوجة الأب إلى كاتب الدماء وأحضرت دعاء ذا تأثير قوى ، ولكنها عندما رأت أن الصوف قد اختفى زاد اضطرابها أكثر من ذى قبل .

"ياشار" يحصل على موافقة أمه

قصة الكلب الذى يفهم معنى الكلام :

بدأ الطفلان منذ ذلك اليوم فى نسج الشبكة ، وفى البداية قاما بإصلاح الحبال الغليظة ، ثم بعد ذلك عقدا بعضها ببعض . كان لدى أم " ياشار " حبل غسيل من السلك ، وكان " ياشار " يريد أن يأخذه من أمه ويضعه على الحبال حتى تصبح الشبكة أكثر متانة وقوة .

وذات ليلة ، قال " ياشار " لأمه وهما يتناولان طعام العشاء : - أمى ! إذا سافرت لعدة أيام هل تحزنين ؟ اعتقدت أم " ياشار " أنه يمزح .

فاعود " ياشار " سؤاله : - أمى ! هل تسمحين لى بالسفر لعدة أيام ؟ وأعدك أن أعود بسرعة .

قالت أمه : - قل لى أولا من أين ستحضر نقودا للسفر ؟

قال "ياشار" : - لست فى حاجة إلى النقود .

قالت أمه : - حسنا ، مع من ستذهب ؟

قال "ياشار" : - لا أستطيع أن أقول لك الآن ، ولكن ستعرفين وقت السفر .

قالت الأم : - حسنا ، إلى أين ستسافر ؟

قال "ياشار" : - سأخبرك عن هذا أيضا وقت السفر .

قالت أمه : - وأنا أيضا سأسمح لك وقت السفر .

أعتقدت الأم أن "ياشار" يمزح معها ويريد أن يتحدث عن مثل هذه الأشياء الكبيرة جدا التى أصبحت توافق سنه ، لأنه منذ عدة سنوات عندما كان صغيرا فى الصف الأول الابتدائى كان يتحدث بمثل هذه الأحاديث العظيمة بكثرة ، فكان يجلس على وسادة ويقول : - أريد أن أذهب إلى السماء وأقطف عدة نجوم صغيرة وأحضرها وأعمل منها أزهارا لسترتى .

ولم يكن "ياشار" وقتها يعلم أن كل واحدة من هذه النجوم هي أكبر منه بمئات الملايين من المرات ، وأن بعضها أكثر حرارة آلاف المرات من نار كرسى التدفئة .

كذلك عندما عاد فى يوم من الأيام إلى المنزل وقت الغداء ، وقد سحب وراءه كلبا شريدا ، سأله أبوه وأمّه : - يا ولد ، لماذا أحضرت هذا الحيوان القذر إلى البيت ؟

فأجاب "ياشار" متعاليا : - لا تقولي هذا ، إنه يعرف الكلام ، لقد تعبت كثيرا حتى علمته الكلام ، كما إنه مطيع ، فإذا طلبت منه شيئا يفعل فوراً .

ضحك الأب وقال : - إذا كنت تقول الصدق ، فخذ هذه النقود
واطلب منه أن يذهب ويشتري رغيفين من الخبز ويحضرهما .
فأجاب " ياشار " : - لابد أن يأكل أولاً ، ويعد ذلك ... !
فوضعت الأم قطعة من الخبز اليابس أمام الكلب فأكلها وأخذ يهز
ذيله ، فهز " ياشار " رأسه وقال : - إفهم ما تقول يا رفيقى .
قال الأب : - حسنا ، ماذا يقول يا " ياشار " ؟
قال " ياشار " : - يقول ، عزيزى " ياشار " : هناك شئ ملتصق بين
أسنانى ، أرجوك أن تفتح فمى وتخرجه !
دهش الأب والأم و " ياشار " يفتح فم الكلب بهدوء ويدخل يده بداخله
حتى ينظف ما بين أسنان الكلب ، وفجأة صوى الكلب وحرك أرجله
بشدة ، وصرخ " ياشار " بألم ، فضرب الأب الكلب وألقى به خارجا
لأن يد " ياشار " جرحت فى عدة أماكن ، وظل " ياشار " يتأوه لفترة .
قال " ياشار " لأمه فى ذلك اليوم : - وقت الذهاب حتما ستأذنين لى
أليس كذلك ؟
قالت الأم : - نعم
قال " ياشار " : - أمى ! أتعطيننى حبل الغسيل السلك ؟
قالت الأم : - فى أى شئ تريده ؟ أى خدعة لديك يا ابنى العزيز ؟
قال " ياشار " : - ليس لدى خدعة ولا يحزنون ، وإنما أحتاجه لسفرى .
ظلت الأم فى حيرة ، فهى لا تعلم قصد ابنها ، وفى النهاية وافقت
على أن تعطيه الحبل ، وعندما حل وقت النوم قال " ياشار " : - أمى ؟
فأجابت الأم : نعم ! ... ماذا تريد ؟
قال " ياشار " : - أتعاهدننى ألا تذكرى هذا الحديث لأحد ؟

قالت الأم : - اهدأ بالا ، لن أخبر أحداً ، ألا تعرف أنه لو كان أبوك هنا لضحك على حديثك هذا ؟
سكت " ياشار " ، وخذ إلى النوم فى الفناء بينما كانت مشاهدة النجوم شيئاً مسلياً جداً .

يوم التحرك :

ظل العمل يتقدم بسرعة ، وقد ساعدهم على ذلك عدم حضور أم " ياشار " فى أغلب الأيام ظهراً للبيت ، وكانت الغريان أيضاً قد قللت من ذهابها وإيابها إلى المنزل لأن زوجة الأب كانت تراقبهم باهتمام ، لذلك قالت الجدة : من الأفضل أن نقلل من ذهابنا إلى المنزل ، وإلا لفهمت زوجة الأب لفسدت الأمور .
تم نسج الشبكة فى أواخر شهر يوليو ، وحضرت الجدة ورأتها فأثنت على العمل وقالت : - لقد تحملتما مشقة كبيرة ، والآن حان الوقت لتجنيبا الفائدة .

قال " ياشار " و " أولدوز " : - متى نتحرك ؟
قالت الجدة : - إذا رغبتما ، فموعدنا غداً ظهراً .
قالت " أولدوز " و " ياشار " : - كلما أسرعنا كان أفضل .
قالت الجدة : - انتظرا ظهراً الغد ، فإذا سمعتما غرابين ينعقان ثلاث مرات فاحملا الشبكة واصعدا فوق السطح .
كاد قلب الأطفال يتوقف من شدة الفرح ، وأرادا النهوض والرقص ولكن دارت بينهما أحاديث قليلة عن أشياء متفرقة ، وطارت الجدة

وحطت أعلى شجرة الحور الأبيض التي كانت تبعد عن بيتهم بعدة بيوت ، وأخذت تنعق وتنعق ، وتهتز، ثم سكنت وطارت .

هؤلاء الذين لا يعرفوا الخبر ، يقولون :

لقد جُنَّت " أولدوز " ! :

حل الليل ، وأخذت " أولدوز " تضحك أثناء العشاء ، فقالت زوجة الأب : - لقد جُنَّت البنت ، وأخذ الأب يسأل : عم تضحكين يا ابنتي ؟ لأنى لا أرى شيئاً مضحكا !!
قالت " أولدوز " : - أضحك من السعادة ، فاغتاظت زوجة الأب وسأل الأب : - ما سبب هذه السعادة ؟
قالت " أولدوز " : - لا يوجد سبب ولكنى سعيدة وخلّص !!
قالت زوجة الأب : - دعك منها ، لقد جنت

أم طليبة ورحيمة :

حان وقت النوم وقال " ياشار " لأمه : - هل تستطيعين أن تتواجدى فى البيت غدا عند الظهر ؟
قالت الأم : - هل تحتاج إلى ؟
قال " ياشار " : - نعم ، سأخبرك غدا فى الظهر عند سفرى .
قالت أمه : - حسنا سأعود فى الظهر إلى المنزل .
لم تكن الأم تعرف شيئاً عما يفعله إبنها ، كما أنها حقيقة كانت قد نسيت موضوع السفر ، لكنها بعد حديث " ياشار " تذكرته ، وكانت

مؤمنة بأن "ياشار" ولد ممتاز ولن يفعل شيئا سيئا ، ولذا كانت تحبه جدا . وعندما كانت تذهب لغسل الملابس كان دائماً التفكير فيه ، وكانت تفضل أن تجوع لكى تشتري له الملابس والأفلام والأوراق ، إنها أم رحيمة وطيبة لذا فإن "ياشار" لم يكن يخدمها فى أمرهما صغر ، ولم يكن يؤذى شعورها قط .

التحرك ،

"أولدوز" فى السجن :

سطح النهار ، ولم يعد باقيا على التحرك إلا ساعات قليلة ، وكان الوقت يمر بطيئاً ، كان "ياشار" وحيدا بالمنزل ، لذلك لم يهدأ ، ولم يستقر مطلقا ، وذهب إلى الفناء وأخذ يتجول هنا وهناك ، وقد إنحصر فكره فى "أولدوز" وأمه ، والشبكة أكثر من مرة وفردها فى وسط الفناء ، وجلس فوقها ، ثم جمعها ووضعها فى مكانها . حضرت أمه وقت الظهيرة ، وقد أحضرت معها عبا وخبزا وجبنا ، وجلسا وتناولوا الغداء معا وكان "ياشار" حائرا وقلقا على "أولدوز" ، وكانت الأم تنتظر أن يبدأ ابنها بالكلام ، ولكنه ظل هكذا لا ينطق بكلمة وكان "ياشار" يفكر ... إذا لم تستطع "أولدوز" المجيء فماذا سيحدث ؟ ... قطعنا ستفقد خططنا ، لو أن زوجة الأب وقعت فى يدى فإننى أعرف ماذا سأفعل بها . سأشد شعرها ، الدنسة !! لماذا لم تترك "أولدوز" تأتى إلى ؟ وإذا نعقت الغريان ماذا سأفعل ؟ إلى الآن لم تأت "أولدوز" ، إن قلبى سيقفز من صدرى

تعلل "ياشار" بإحضار الماء، وذهب إلى الفناء، وسمع صوت الأب وزوجته يأتي من خلف الحائط، وكانت زوجة الأب تصب الماء والأب يغسل يديه، فقد حضر لتوه من العمل، وقالت زوجة الأب :- ألا تعرف ماذا فعلت ابنتك بي ، ... لقد اضطررت فى النهاية إلى حبسها فى المطبخ ...

وفى نفس الوقت كان هناك غرابان يحطان على شجرة الحور الأبيض وعندما رآهما "ياشار" أخذ قلبه يدق ويفكر، ماذا سيفعل مع "أولدوز" ؟ هل يرسل إليها أمه ؟ ... المصيبة أن تكون زوجة الأب حبستها حقاً !!

طار الغرابان واقتريا من رأس "ياشار" وابتسما له ، وجلسا على شجرة التوت وفجأة شرع الإثنان فى النعيق .

كان صوت الغرابين يشبه نغمة الحرب : وكان يصاحب ذلك الصوت خوف وحركة واهتزاز. وأحس "ياشار" بالاضطراب لحظة ، ثم استرد قلبه ، وتوجه ببرود إلى العش حاملاً الشبكة ، وصعد إلى السطح بهدوء ، وبينما كان الأب وزوجته بالداخل. جاء الغرابان ووقفاً بجانب "ياشار" ، وسألاه عن أحواله ، وفرد "ياشار" الشبكة، ومضت نصف دقيقة ولم تأت "أولدوز" ، وتقدم من الطرف الأيسر. قال أحد الغرابين : - إنهم آتون ... لماذا لم تأت "أولدوز" ؟

قال "ياشار" : - لا أعرف ... ربما تكون زوجة أبيها قد حبستها ؟ وازداد الشئ الأسود اقتراباً ووصل صوت الغريان المخنوق للأسماع ، ولم تأت "أولدوز" أيضاً . ووصلت الغريان ، وملأ نعيق الآلاف منهم السماء والأرض وصار لون الأبواب والحوائط أسود من الغريان ، ولم

يعد ثم مكان خال فوق شجرة التوت.
وكان الناس جميعاً قد خرجوا من بيوتهم وقد سيطر الخوف عليهم
جميعاً.

وقفت أم "ياشار" فى وسط الفناء ، وكانت تضع وعاء فوق رأسها
وأخذت تصيح : أين أنت يا "ياشار" ؟ الآن ستفقأ الغريان
عينيك !..

ولما سمع "ياشار" صوت أمه توجه إلى حافة السطح وقال : -
لاتخافى يا أمى إنهم أصدقائى . إن كنت تحبيننى فأذهبى وأحضرى
" أولدوز " إلى هنا ، أرجوك يا أمى !! اذهبى ... فلا بد أن نسافرنن
الإثنان معا

نظرت إليه أمه وهى حائرة ، ولم تقل شيئاً !!! ... وأخذ "ياشار"
يتوسل إليها : اذهبى يا أمى !! ... أرجوك ... الغريان أصدقائنا ...
لاتخافى منهم !!

ولم يدر "ياشار" ماذا يفعل ... وأوشك على البكاء وجاءت الجدة
أمامه وقالت له : - أذهب وأجلس فوق الشبكة ، وسأذهب أنا مع
غريان آخرين للبحث عن " أولدوز " لنراين هي .

وأخرج نعيق الغريان الناس إلى الأفنية . وكان كل واحد منهم يضع
شيئاً على رأسه ، وكانوا ينظرون إلى السماء بذعر شديد ، وبعض
الناس كانوا من شدة خوفهم .

ينظرون من خلف النوافذ ، والعجائز يصرخن ويقلن : البلاء نازل
علينا ... إذهبوا ... وادعوا ... وصلوا ... وانذروا النذور .

وفجأة خرج الأب إلى الفناء ويده عصا ووراءه خرجت زوجته وكان كل منهما قلب على رأسه قدرا ، فقالت الجدة: - أيها الغريان التفوا حول هذه المرأة وزوجها ولا تتركوهما يتحركان .
انقضت الغريان على رأسيهما مما جعل الأوعية تصدر صوتا مخيفا أصاب الأب وزوجته بالذعر.

دخلت الجدة المنزل مع بعض الغريان الآخرين ، وكان صوت صياح " أولدوز " يأتي من المطبخ ، فقد كان باب المطبخ مغلقا ، وحاولت " أولدوز " فتح الباب بأن تضربه بسكين حتى تحدث به ثقباً ، وفعلاً أحدثت بالباب ثقباً صغيراً . وأثناء محاولتها وصلت أم " ياشار " ، فأفسحت لها الغريان الطريق ، وأخذت أم " ياشار " تضرب القفل بجرح حتى كسرتة وأخرجت " أولدوز " وأخذت تحتضنها وتقبلها . قالت لها " أولدوز " - أيتها الأم ، لا تقلقى علينا سنعود سريعا ، ولا تخبرى زوجة أبى أنك أخرجتنى حتى لا تؤذيك .

أجهشت أم " ياشار " بالبكاء ، وأسرعت " أولدوز " وأحضرت بقعة ملابسها من عش الدجاج وصعدت إلى السطح . وكانت الغريان تحيط بها . وعندما وصلت بجوار " ياشار " ألقت بنفسها فى حضنه ، وكان " ياشار " فاتحا يديه ليستقبلها واحتضنها بشدة وأخذ يبكى من شدة الفرح .

شكرت الجدة أم " ياشار " ، وصعدت إلى السطح وقالت : - أيها الغريان تحركوا .

فجأة بدأت الغريان تتحرك ، وأمسكت الشبكة بمناقيرها ومخالبها وارتفعت بها . وكان " ياشار " يربط حبالا بأطراف الشبكة حتى

يستطيع الغريان حملها بواسطتها . صاح " ياشار " من أعلى قائلا :-
أمى، نحن ذاهبون ، أبلغى سلامى لأبى ، سنعود سريعا ، ولا تحزننى!!
ترك الغريان الأب وزوجته ، ومضوا فى طريقهم ، فوقف الأب وزوجته
فى وسط الفناء يصرخان ويلقيان بالأحجار والأخشاب ، وقد تمزقت
ملابسهما وجرح جسماهما فى أماكن مختلفة .

وأخيرا ابتعدت الغريان عن المدينة .
أحاط آلاف الغريان بالطفلين ، ولم يكن هناك مكان خال قط سوى
فوق رأسيهما ، وأخذت " أولدوز " تنظر إلى السحاب ، وتقول لنفسها
كم هو جميل !! وكانت الغريان تزغرد بفرح وهى تطير

كانوا ذاهبين إلى مدينة الغريان
كانوا ذاهبين إلى مكان أفضل من بيت الأب
كانوا ذاهبين إلى حيث لا توجد زوجة الأب
ألقوا بالبزازات بعيداً

ذكرى الرفاق الشهداء المأسوف عليهم :

جاءت الجدة ، والآنسة غرابية والسيد غراب ، وجلسوا أمام
الطفلين ، وتكلموا معهما بعض الكلمات ، ثم تركوهما وذهبوا إلى
العمل مثل الآخرين ، فتحت " أولدوز " بقجة ملابسها وأخرجت
قميصا وقالت لـ " ياشار " : - هذا قميص أبى ، لقد سرقته من أجلك،
وستلبسه فيما بعد .
فشكرها " ياشار " .

وكان بالبقجة مقدار من الخبز والزبد أيضاً ، وأخرجت " أولدوز " من جيبها عدة ريشات من ريش الغراب وأعطاها للجدّة وقالت : - أيتها الجدّة ، هذه ريشات (السيد غراب) كنا قد احتفظنا بها للذكرى ، والآن نعطيها لك . ولن أنسى أنا و " ياشار " (السيد غراب وأمه) مطلقاً فقد قُتلا من أجلنا

أخذت الجدّة الريشات وطارت ، وأثناء طيرانها فوق رأس الطفلين وفوق الغريان صاحبت بصوت مرتفع جداً وقالت : - اسمحوا لى أن أتحدث إليكم .

خيم الصمت على الغريان ... وأخرجت الجدّة بزازة من تحت جناحها وقالت : - أيها الأصدقاء الأعزاء غريانى الأحباء ! الآن أعطيتنى " أولدوز " عدة ريشات من ريش السيد غراب ، فلنحتفظ بها لأنها ذكرى من أم وابن مخلصين وعطوفين ، وهذه الريشات تعلمنا كيف نكون شجعان ومخلصين .

هللت " أولدوز " و " ياشار " .

ونعقت الغريان بصوت مرتفع .

واستمرت الجدّة فى حديثها وقالت : - لابد أن نلقى بهذه البزازة بعيداً لان زوجة الأب هي التى اشتريتها لتضعها فى فم " أولدوز " لتمسكها حتى لا تدع لها فرصة للكلام حتى لا تعبر عما بداخلها من ألم للآخرين .

عرفت " أولدوز " بزازتها فقد كانت هي نفس البزازة التى أعطاها لأم الغراب .

ألقت الجدّة بالبزازة لأسفل ، فهللت الغريان وقالت الجدّة : - لقد

قتلت زوجة الأب أم الغراب والسيد غراب وهو لا يزال صغيرا ، ولكن
" أولدوز " و " ياشار " لم ينسيا أصدقاءهما !! فليحيا الأطفال الذين لم
ينسوا أصدقاءهم الشهداء .
نعتت الغريان بصوت مرتفع ، وأخذت " أولدوز " و " ياشار "
يصفقان ويهللان .

على قمة تلك الجبال

مدينة الغريان

الغريان ساكنو الجبال

كانت الجبال المرتفعة تبدو من بعيد ، نزلت الجدة وقالت : -
قمم هذه الجبال هي مدينة الغريان ، لا تتعجبوا من أننا نتخذ من
قمة الجبل منزلا ، فالغريان متنوعة .

٣- الأقرع اللاعب بالحمام

فى قديم الزمان كان هناك ولد أقرع يعيش مع أمه العجوز يحيط بيتهما فناء صغير به شجرة توت ، وكانت هناك ماعز سوداء - يمتلكها الأقرع - كانت تأكل وتجتري تحت الشجرة ، وتحرك ذنبها وتنش فى الأرض بظلفيها وتثغو.

كانت غرفتهما فى اتجاه القبلة وبها نافذة صغيرة ، وفى وسطها فرن ، وفى نهايتها مصطبة ، وبالسقف طاقة مواجهة للسماء لإخراج الدخان وإدخال النور والهواء وما إليها . وكان الأقرع وأمّه قد وضعوا ورق قش على النافذة بدلا من الزجاج وكانت الجدران من الطين المعجون بالقش تحيطها أرفف وطاقات .

كان " الأقرع " يذهب كل صباح إلى الصحراء ، ليقطف الشوك والعلف ويجمعهما ، ثم يحضرهما إلى البيت فيعطى الماعز قدرا منهما ، ويخزن الباقي فوق السطح ليبيعه فى الشتاء أو يقدمه مرة أخرى إلى عنزته . أما بعد الظهر فكان يقوم بإطلاق الحمام ، فقد كان برجا ممتازا ، وكان لديه عشر أو خمس عشرة حمامة ، وكان يطلق صفيرا جميلا .

كانت العجوز تجلس خلف مغزلها ، تغزل خيوط الصوف من الصباح حتى المساء ، وهكذا كانت الأم وابنها يدبران معاشهما .

كان قصر الملك مواجها لبيتها وكان قصر جميلا جدا ، حتى أن المراء يبهرون رؤيته ، وكانت ابنة الملك قد عشقت " الأقرع " ، فعندما كان " الأقرع " يصعد فوق سطح بيته ليطلق الحمام ، كانت الأميرة تأتى إلى الشرفة مع وصيفاتها وإمائتها لتشاهد البراج " الأقرع " ، وتستمتع الى صفيره ، وكانت أحيانا تحدث " الأقرع " بعينها أو بالإشارة بينما

"الأقرع" لا يعيرها اهتماما ، ويأتى بحركات وتصرفات تشير إلى عدم الاكتراث، والحقيقة أن "الأقرع" كان يعشق ابنة الملك - خفية - لدرجة لا يصدقها عقل ، ولا يرغب فى أن تعرف الفتاة ذلك ، لأنه يعرف تماما أن الملك لن يزوج ابنته مطلقا لشخص أقرع ، لا يملك من الدنيا سوى عذرة ، وعشر أو خمس عشرة حمامة ، وأمه العجوز ، وإذا زوجه الملك ابنته ، فإنها لن تستطيع أن تعيش فى كوخ من الطين معبأ بالدخان.

فعلت الأميرة كل ما تستطيع كى تجعل الأقرع يتحدث ، ولكنها لم تستطع ، وذات يوم علقت قلب خروف كثير الثقوب أمام النافذة ولكن "الأقرع" لم ينتبه أيضاً وتعهد إطلاق حماماته صوب تل الشوك ، وهوىضفر ، ويستمتع لصوت مغزل أمه . وفى النهاية ، سقطت الأميرة مريضة ، ولم تعد تأتي إلى الشرفة مرة أخرى ، ولم تعد تشاهد "الأقرع" من الشرفة كعادتها .

وجمع الملك الأطباء ليعالجوا الأميرة فلم يستطيع واحد منهم معالجتها ، وكل الرواة فى هذه المواقع يقولون أن الأميرة لم تفصح عن سر قلبها ربما خجلا ، أو حياء ، (ولكننى أقول) أن الأميرة باحت بسر قلبها لأبيها ، وعندما سمع الملك أن ابنته تعشق "الأقرع" البراج اشتعل غضبا ، وصرخ قائلاً : إذا تفوهت بإسم هذا القذر مرة أخرى سأطردك من البلدة ، أهنالك قحط فى الرجال حتى تعشقين هذه القذارة ؟ سوف أزويجك إبن الوزير وكفى .

لم تنبس الأميرة ببنت شفة ، وذهب الملك وجلس على العرش ، واستدعى الوزير أمامه وقال له : - أيها الوزير ، لابد - اليوم - أن

تقطع رؤوس حمامات " الأقرع " وتمنعه من الصعود إلى السطح مرة أخرى .

أرسل الوزير مجموعة من خدمه الأقوياء الى بيت " الأقرع " ، وكان " الأقرع " يقدم الحب للحمّام دون أن يشعر بما يحدث حوله ، وأثناء ذلك تكاثر الخدم على بيته ، وفي لمح البصر قطعوا رؤوس الحمام ، وضربوا " الأقرع " وحطموا عظامه تماماً ، وعادوا فحطموا رجل مغزل العجوز أيضاً ومزقوا ورق النافذة ، ثم عادوا من حيث أتوا .

مكث " الأقرع " أسبوعاً كاملاً لا يستطيع حراكاً ، ينام فى كوخه الطينى متألماً ، وقد دهنت أمه جروحه بالمرهم وهى تلعن الملك وتسبه . وبعد أسبوع جلس " الأقرع " تحت شجرة التوت ليتنسم بعض الهواء ، ويهدئ أعصابه محاولاً استعادة قواه . وبينما كان يفكر أين يدفن حماماته ، سمع صوتاً آتياً من فوق رأسه ، فاسترق السمع فإذا بحمامتين حطتا على شجرة التوت وهما تتحدثان .

قالت إحداهما : - أختى العزيزة : هل تعرفين هذا الصبى ؟

أجابت الأخرى : لا لا ..!

قالت : - هذا هو الولد الذى سقطت الأميرة مريضة فى فراشها من فرط عشقها له ، وأمر الملك وزيره بقتل حمامته ، وضربوه ، وتركوه على هذا الحال ، وأخذ الصبى يفكر أين يدفن حمامته .

قالت الحمامة الثانية : - ولماذا يدفنها ؟

قالت الحمامة الأولى : إذن قولى أنت ماذا يفعل ؟

قالت الثانية : عندما تنطير ستسقط أربع ورقات شجر من تحت أرجلنا ، فإذا أعطها لعنزته لتأكلها ، وأخذ لبن العنزة ، ودهن رؤوس

حماماته ورقابهاستحيا الحمامات مرة أخرى ، وتأتى بأفعال لن تستطيع أى حمامة الإتيان بها ..

قالت الحمامة الأولى : ليت الصبي يسمع كلامنا !!

طارت الحمامتان فى الهواء وسقط من أرجلهما أربع ورقات شجر ، فالتقطتهما " الأقرع " من الهواء ، وأعطاهما لعنزته فامتلاً ضرعها باللبن ، وأحضر " الأقرع " وعاء وحلب العنزة ، ودهن رؤوس الحمام ورقابها بلبنها ، فأخذت الحمامات تحرك أجنحتها وأرجلها ، وابت فيها الروح والتفت حول " الأقرع " .

خرجت العجوز على صوت رفرقة أجنحة الحمام ، فقص عليها " الأقرع " ما حدث ، فقالت : يا بنى العزيز ! كف يدك من تطيير الحمام ، فهذه المرة إذا صعدت إلى السطح سيقتلك الملك .

فقال الأقرع : - أمى : حمامى هذا ليس مثل الحمام الآخر الذى اعتدت عليه ، انظرى !

ثم قال " الأقرع " لحائمه أثناء ذلك : - يا حماماتى الجميلات ، إفعلى شئنا يسعدنى ، ويرضى أمى .

كونت الحمام دائرة ، وأخذت تهمس ، وفجأة ارتفعت فى الهواء وذهبت ، فبهت " الأقرع " وأمه ، ومضت فترة قصيرة وليس من خبر عن الحمام .

قالت العجوز : - أهذه هي حمامك الوفية ؟!

لم تكمل العجوز كلامها حتى ظهرت الحمام فى السماء ، وكن قد أحضرن معهن طاقيه من اللباد ، وأعطين الطاقيه للأقرع . فقالت العجوز : عجباً يا لها من هدية عجيبة تلك التى احضرنها لك . والآن

فلترهل هي مناسبة لمقاس رأسك أم لا ؟ وضع " الأقرع " طاقية اللباد على رأسه .

وقالت : يا أمى ، هل هي مقاسى أم لا ؟

قالت العجوز بتعجب : يا بنى ، أين أنت .

قال " الأقرع " : - يا أمى ، أنا في مكانى .

قالت العجوز : أعطنى الطاقية لأراها .

خلع " الأقرع " الطاقية وأعطها أمه ، فوضعتها العجوز على رأسها ،

وصاح " الأقرع " : يا أمى ، أين ذهبت ؟

لم تجب العجوز ، وأخذ " الأقرع " يتلفت حوله وهو مبهور حائر .

وفجأة سمع صوت مغزل أمه يرتفع فهرع إلى الغرفة فرأى المغزل

يدور وحده ويغزل الصوف ، وهنا أدرك ما هي خاصية طاقية اللباد

(طاقية الإخفاء) . فقال : - يا أمى كفى عن المزاح معى ، اعطنى

الطاقية لأذهب وأحضر قليلا من الطعام لأننى سأموت من شدة

الضعف والجوع .

قالت العجوز : إقسم بأنك لن تمد يدك للمال الحرام لأعطيك الطاقية .

قال " الأقرع " : - أقسم بأنى لن أمد يدي إلى الأشياء المحرمة على .

أعطت العجوز الطاقية للأقرع ، فوضعها على رأسه وخرج .

وكان الحاج " على " غازل القماش يعيش فى مكان يبعد عن بيت

الأقرع بعدة حارات ، وكان يملك عدة مغازل ومئات العمال والخدم

والخادومات .

وكان " الأقرع " ذاهبا فى طريقه يحدث نفسه : - حسنا يا عزيزى

الأقرع " ، فلتحسب ولتنظر إلى مال الحاج " على " حلال هو عليك أم

لا؟ من أين أتى الحاج على المال؟ هل من مغازله؟ هل هو يعمل؟ إنه لا يعمل شيئا، ولا يمد يده إلى أبيض أو أسود، إنه فقط يأخذ أرياح مغازله ويمتص نفسه، إذن متى يعمل ويدريها؟ عزيزى "الأقرع" شغل مخك جيدا، أسألك سؤالا وأجب إجابة صحيحة: قل: إذا لم يعمل العمال، ماذا يحدث للمغازل؟ بالطبع تتوقف، فى ذلك الوقت هل تدر المغازل ريحا؟ بالطبع لا، النتيجة إذا يا عزيزى "الأقرع" استنتج من هذا أن العمال يعملون، ولكن الحاج يأخذ كل الريح ويعطيهم القليل فقط، إذا ثروة الحاج على ليست ملكا له وهى حلال على.

دخل "الأقرع" بيت الحاج على وهو مستريح البال، وكان بعض الخدم والشغالين فى الفناء الخارجى فى رواح وغدو، وعبر "الأقرع" من وسطهم دون أن يراه أحد، وكان الحاج على جالسا فى الفناء الداخلى مع عدد من نساؤه بالقرب من حافة الحوض على سرير يتناول طعام العصر من شاي وعسل وقشدة وفطائر. فسأل لعاب "الأقرع" وتقدم ورفع لقمة كبيرة، بينما كان الحاج على ينظروا أن نصف العسل والقشدة قد انتهيا، فبادر بتلاوة الأدعية والبسملة والتسبيح على سبخته. ورفع "الأقرع" شاي الحاج على من أمامه وشربه، فصرخ الحاج على وزوجاته هذه المرة خوفا وهلعا وتركوا كل شئ وهرموا إلى غرفتهم، فأكل "الأقرع" كل العسل والقشدة ثم شرب عدة أكواب من الشاي، وأخذ يتجول فى الغرفة، وكان بها أشياء كثيرة ثمينة، وبهت "الأقرع" من الشمعدان الذهبى والفضى والستائر المطرزة بالذهب، والسجاجيد الكبيرة والصغيرة الكثيرة،

وأنية الفضة والبلور، وأشياء أخرى قيمة ومتناثرة ، فأخذ " الأقرع " كل ما استحسنه ، ووضع في جيبه كل ما غلا ثمنه وخف حمله . وأخيرا وجد مفتاح خزانة الحاج ، وقد نام الجميع ، ففتح الخزانة وأخرج كل ما يستطيع حمله من النقود ، كذلك سرق عدة بيوت أخرى من بيوت الأغنياء ، وكان الليل قد انتصف فذهب فى طريقه إلى البيت ، وأبقى لنفسه قليلا من النقود ، وأعطى الباقي لبيوت الفقراء .

كان " الأقرع " يطرق الأبواب ، فيخرج صاحب البيت فيقول له : - خذ هذا الذهب القليل والفين من التومانات ، وأنفق على أطفالك ، فهذا نصيبك ولا ثقل لأحد شيئا .

وفجأة يعود صاحب البيت إلى وعيه ليرى أحدا خلف الباب ومن أين يأتى الصوت ، يجد حفنة من الذهب وقدرا كبيرا من النقود ملقى أمامه بينما لا أحد حول البيت .

وصل " الأقرع " إلى بيته متأخرا ، وكانت العجوز مازالت مستيقظة تنتظر ابنها حتى تلك الساعة خلف مغزلها ، بينما النوم يداعب عينيها ، وكانت الحمايم نائمات ومتناثرات بالكوخ هنا وهناك ، وهى تدس رؤوسها أسفل أجنحتها . دلف " الأقرع " إلى الكوخ بهدوء دون أن يحدث صوتا ، وجلس بجوار أمه ، وفجأة خلع الطاقية من رأسه ، وعندما رأت العجوز ابنها فرحت وقالت : - أين كنت إلى هذه الساعة المتأخرة من الليل يا ولدي ؟

قال " الأقرع " : - كنت فى بيت الحاج على ، النساج ، آخذ مال الناس وحقوقهم منه .

أحضرت العجوز لـ "الأقرع" حساء البرغل ، قال "الأقرع" : - كنت قد أكلت كمية كبيرة من العسل والقشدة ، وحتى لو ظللت أسبوعاً بدون طعام فلن أشعر بالجوع .

تناولت العجوز العشاء بمفردها ، وشربت من لبن العنزة ، ثم نهضا وناما .

وضع "الأقرع" - قبيل النوم - ما لديهما من برغل أمام الحمام ، وفى الصباح الباكر لبس الطاقية وصعد إلى السطح ، وبدأ فى تطيير الحمام وإطلاق الصغير ، وكان يمسك فى يده عصا طويلة كان قد كسا رأسها بقطعة من القماش .

كانت الأميرة المريضة ترقد خلف الشباك وعيناها مثبتتان على السطح ، وفجأة رأت حمامات "الأقرع" تطير ،، وسمعت صوت صغيره ، ولكنها لم تره ، فلم يظهر سوى العصا تطير الحمام ، وكانت العصا تتمايل فى الهواء هنا وهناك ، وكأنها تلهو مع الحمام .

أخبر الخدم الوزير ، وأخبر الوزير بدوره الملك ، بأن "الأقرع" بدأ فى عمله من جديد ، وأنه من الممكن أن تسوء حالة الأميرة ، فأرسله لياخذ الحمام ويقتله .

وأصاب القلق الأميرة على "الأقرع" ، فأرسلت وصيفتها كاتمة أسرارها إلى العجوز لتحضر لها الأخبار وتقول للعجوز أن الأميرة تعشق "الأقرع" عشقاً مبرحاً فلتدبر حلاً .

ذهب الحاج على والأخويات المعتدى عليهم إلى قصر الملك متظلمين ، وهم يرددون " فرغ صبرنا ، وذهبت حياتنا أدراج الرياح ، أى حاكم أنت ؟ أرسل جيشك فى إثر اللصوص وأعد إلينا النقاد .

ولنقف إلى هذا الحد ونعود لنكمل قصة " الأقرع " لبس " الأقرع " الطاقية وصعد الى السطح لطير الحمام ، وكانت العجوز ترتدى العباءة وتغزل الصوف أسفل السطح ، وكانت العنزة رابضة في الفناء تبحث عن ورقة التوت التي تعبت بها الرياح فتلقى بها على الأرض .

فجأة رفعت العجوز رأسها فرأت العنزة تحملق في وجهها فأخذت تحديق في عيون العنزة هي الأخرى وكان العنزة تقول : إن " الأقرع " والحمام في خطر ، انهضى وأحضرى لى ورقة توت لأكلها وأقول لك ماذا يجب أن تفعل.

لم تصبر العجوز فنهضت وأخذت تضرب الأوراق بعصا فأسقطتها على الأرض ، وأخذت العنزة تأكل وتأكل حتى انتفخت بطنها وحملت في وجه العجوز وكأنها تقول لها : أشكر ، الآن تعالى إلى الداخل سأصعد أنا بنفسى إلى السطح لأساعد " الأقرع " وحمائم .

لم تقل العجوز شيئاً ودلفت إلى الداخل ، وصعدت العنزة على السلم المؤدى إلى السطح ووصلت بجانب كومة الشوك وبدأت في الأكل مرة أخرى . لم يمض وقت طويل حتى أتى إلى الفناء مجموعة من خدم الوزير ، وكانت العصا التي تطير الحمام - وهى تلج في الجو - تضرب كل من يصعد للسطح وتلقى به إلى أسفل ، وفي النهاية عاد جميع الخدم إلى الوزير .

كانت الأميرة التى تحسنت حالتها قليلا ترى كل شئ من خلف النافذة ، وكان كل ما يحدث يستحوذ على إعجابها .

كان الملك والحاج على صاحب المغازل والأغنياء الآخرون جالسين

يتحدثون وهم فى حيرة من ذلك اللص المقتدر الذى استطاع فى ليلة واحدة أن يسرق كل هذه البيوت، ويأخذ معه كل هذه النقود ، وأثناء الحديث دخل الوزير وقال : - أيها الملك لقد حدث شئ غريب ، فالأقرع غير موجود فى أى مكان ، وعصاه التى يطير بها الحمام أعلى السطح ولا تترك أحدا يقترب من الحمام .

قال الملك : - أمسكوا " الأقرع " وأحضروه أمامى .

قال الوزير : - أيها الملك ، أخبركم أن " الأقرع " لا يوجد فى أى مكان ، وأمه بمفردها فى الكوخ ولا تعرف عنه شيئاً .

قال الحاج على صاحب المغازل : أيها الملك كل ما حدث من فعل " لأقرع " لقد فهمت من كل الدلائل أنه هو الذى سرق بيتنا وليس الوقت وقت قضية العسل والقشدة والشاي ، وقال آخر من الأغنياء :

عقد زوجتى اختفى من رقبتها أمام عيني، وكأنه تبخر فى الهواء !!

وقال آخر : - رأيت أيضاً مراتنا ذات الإطار الذهبى تطير من فوق الرف فى الهواء، ولما أفقت من ذهولى لم أجد المرأة ، فالحاج على يقول الصدق وكل هذه الأعمال من فعل " الأقرع " . وغضب الملك من كلامهم وأمر بإعداد الجيش ، لماصرة بيت " الأقرع " وبإحضاره حياً أو ميتاً .

حدث فى هذا الوقت أن الأميرة كانت هي ووصيفتها وكاتمة أسرارها تتحدثان ، وكانت الوصيصة عائدة لتوها من عند العجوز وكانت تقول للأميرة : - يا سيدتى ، قالت أم " الأقرع " أنه حى وحالته جيدة جدا ، وإنها سترسله الليلة إليك ، ليتحدث معك .

قالت الأميرة بتعجب : - يأتى الأقرع أمامى !! كيف يستطيع أن يعبر

من وسط كل هؤلاء الحراس والجيش ويأتى هنا ؟ ليته يستطلع
المجىء !

قالت الجارية : - سيدتى إن القرع لديهم ألف حيلة وحيلة
فلتنتظري ليلا ولا بد أنه آت .

أثناء ذلك نظرنا من النافذة فرأينا جيشا يحاصر بيت " الأقرع "
محاصرة الخاتم للفص ، فقالت الأميرة : - لو كان لديه ألف روح لن
يستطع أن ينجو سالماً بروحه ، آه يا أقرع المسكين .

كانت الحمايم قد حملت فوق السطح وهى تلتقط الحب ، وكانت
هناك عصا مستقيمة منتصبية تطير الحمايم ، وكانت العنزة تأكل
الشوك باستمرار دون توقف ، بينما تدفع كرات صلبة تشج الرأس .

كان الجيش قد وقف على أهبة الاستعداد ، وكان القائد يقول بصوت
مرتفع جداً : يا أقرع ، لو تملك ألف روح فلن تستطع أن تنجوسالما
بروح واحدة ، هل تتوهم أنك فى أمان ! استسلم سريعا ، وإذا لم
تستسلم ستكون أكبر قطعة من جسدك هي أذنك

كانت العجوز في الكوخ ترتعد من شدة الخوف ، وسكت صوت
مغلها مرة أخرى ، وكانت تنظر من طاقة السقف ولكنها لم تر شيئا .
فى ذلك الوقت كان " الأقرع " يقول لحمايمه : - يا حمايمى الجميلة ،
ألا ترون ماذا تفعل العنزة ، إنها تصنع لُكنَّ منجنيقا ، إفعلن شيئا
واسعدن قلبى وأرضين أُمى .

صنعت الحمامات دائرة ، وأخذت تتهامس ، ثم حُلقت في الجو
وغابت .

قال قائد الجيش مرة أخرى : يا أقرع ، هذه آخر مرة أحذرك فيها ،

إننى آمرك ، فلتترك السحر والشعوذة والأعمال الشيطانية جانباً ،
فإنك لن تقدر على ، وفى النهاية سأقتلك ، وحين ذاك لا ينفع الندم ،
فأينما كنت تعال واستسلم .

صاح " الأقرع " : - يا جناب قائد الجيش ، أنا أسف جداً لأنى
أضعت وقت سيادتك ، فقد كنت أربط حزام سروالى ، الآن سوف
أمثل أمامك ، أشعل سيجارة وستجدنى أمامك .

سُر قائد الجيش لأنه سوف يقبض على " الأقرع " بسهولة ، وأشعل
سيجارة وقال : - كم أنت محنك ، من أى قبر يأتى صوتك ؟

قال " الأقرع " : - من قبر أبيك وأمك !!

اغتاظ قائد الجيش وصاح قائلاً : كف عن قلة الأدب ، ماذا تظننى
حتى تمزح معى ؟

أثناء ذلك ظهرت فى الجهات الأربع من السماء مئات الحمامات ،
وكانت حمامات " الأقرع " فى وسط تلك الحمام ، وكانت العنزة
تأكل الشوك أسرع وأسرع ، وتنهمر الكرات منها .

رفع " الأقرع " كرة وصاح قائلاً : يا سيادة قائد الجيش ، أنظر لترى
أين أنا !!

وطارت الكرة صوب قائد الجيش الذى كان رافعاً رأسه ، ناظراً
للواء ، يضع السيجارة بزاوية شفتيه ، فأصابت الكرة ما بين
حاجبيه ، فعلا صياحه ، فأصاب الجيش الذعر وتحرك مكانه ، لكن
الحمام لم يعطه فرصة فقد أمطره بوابل من الكرات ، وكان الحمام
يلتقط الكرات بمنقاره ، ويطير الى أعلى ، ثم يسقطه فوق رؤوس أفراد
الجيش ، وكانت الكرة عندما تقع على رأس فرد تخرقها ، وانسحب

الجيش ليلا ، وحمل " الأقرع " العنزة والحمام ونزل إلى أسفل وعاد باقى الحمام من حيث أتى .

كانت العجوز قد أعدت عشاء حقيقيا بالنقود التى كان " الأقرع " قد أعطاها إياها ، فلم يكن عشاء مزيفا مثل كل ليلة ، قطعة خبز يابسة مع قليل من حساء البرغل ، أو نفس قطعة الخبز بدون طعام وعلى وجهها ماء .

وكان " الأقرع " قد اشترى قمحا للحمام ، وأكلت العنزة أيضاً برسما وشعيرا .

بعد العشاء قالت العجوز للأقرع : الآن ضع الطاقية على رأسك وانهض ، واذهب إلى الأميرة ، لقد وعدتها بأن أرسلك إليها .

قال " الأقرع " : - أمى ، أين نحن وأين الأميرة .

قالت العجوز : - الآن اذهب ، ولتر ماذا لديها .

وضع " الأقرع " الطاقية على رأسه وذهب ، ومر من بين الحراس والعساكر ، وبخل غرفة الأميرة ، بينما كانت تتناول العشاء مع وصيفتها وكانت أسرارها ، وتقول لها : - لويعرف " الأقرع " كم أنا أحبه لما توانى دقيقة واحدة ، ولكننى خائفة أن يقع فى يد الحراس ويقتلونه ، قلبى يغلى .

قالت الوصيفة : - نعم يا سيدتى ، أنا أيضاً خائفة ، فلقد أمر الملك الليلة أن يضاعفوا عدد الحراس ، وعين ابن الوزير رئيسا للحرس أيضاً .

جاء " الأقرع " وجلس بجوار الأميرة وشرع فى الأكل ، وكان العشاء أرزاً بالدجاج مع أنواع أخرى من مرقى وعجة وحساء وأشياء من هذا

القبيل ، رأيت الأميرة ووصيفتها أن جانباً من الوعاء بدأ ينتهى بسرعة شديدة ، وفخذ الدجاجة قد قطع وأوشك على الانتهاء .

قالت الوصيفة : يا سيدتى ، ماذا كنت تطلبين ! تخيلى ، أنا واثقة بأن " الأقرع " في الغرفة ، هذا العمل عمله ، ألم أقل لك أن القرع لديهم ألف حيلة وحيلة ، فرحت الأميرة وقالت : - عزيزى " الأقرع " ، إذا كنت في الغرفة فأظهر نفسك ، إن قلبى مشتاق إليك .

لم يصدر " الأقرع " صوتاً ، قالت الوصيفة : - يا سيدتى ، ربما لا يظهر بسبب وجودى ، سأذهب أنا لأراقب الحراس .

عندما خرجت الجارية خلع " الأقرع " الطاقية ، وفجأة رآته الأميرة جالسا بجوارها ، فسرت وقالت : أيها " الأقرع " ، ألا تعرف كم أعشقتك ؟!

تعال خذنى ، وخلصنى ، فالملك يريد أن يزوجنى بابن الوزير .
قال " الأقرع " : - ولكن يا سيدتى أنت من سلالة الملوك ، فكيف تستطيعين أن تعيشى فى كوخ معبأ بالدخان ؟

قالت الأميرة : لوعشت معك ، أستطيع أن أتحمل كل شئ .
قال " الأقرع " : أنا وأمى ندبر حياتنا بمشقة بالغة ، فكيف تشعيرين بالشبع ، وأنت من سلالة الملوك ولا تتقنين أى عمل ؟

قالت الأميرة : سأتعلم أى عمل .

قال " الأقرع " : - أى عمل ؟

قالت الأميرة : أى عمل تحدده .

قال " الأقرع " : - حسناً ، الآن سأقول لأمى أن تعلمك نسج الصوف ، فاصبرى لعدة أيام ، وسأتى لأخبرك متى مضى من هنا .

أخذ الأقرع والأميرة يتحدثان ...

والآن أحدثكم عن ابن الوزير رئيس الحرس الملكى وعاشق الأميرة عندما جاء " الأقرع " إلى الأميرة كان قد رأى ابن الوزير جالسا على كرسي ويغط فى نوم عميق ، فدفعته رغبتة إلى أن يأخذ سيفه وسهمه ، وكان قد أحضرهما معه. وعندما استيقظ ابن الوزير لم يجد أسلحته ، فعرف أن " الأقرع " قد جاء ، فما حدث قد حدث ، فأسرع وأرسل كل الحرس إلى غرفة الأميرة ، رأى الحارس الوصيفة بالباب فاندفع وحاول فتح الباب بالقوة ، فرأى " الأقرع " والأميرة يتحدثان ، فأغلق الباب بقوة وصاح : - " الأقرع " هنا تعالوا بسرعة. " الأقرع " هنا أسرعوا .

أسرع ابن الوزير والآخرين ، واستيقظ الملك على الضوضاء ، وجلس على العرش وأمرهم بأن يحضروا " الأقرع " أمامه حيا أو ميتا . وكان رئيس الحرس - ابن الوزير - وبعض الحراس الآخرون داخل غرفة الأميرة حيث كانت تتمدد فى فراشها ، تقرأ قصة وليس هناك من خبر عن " الأقرع " ، فسألها ابن الوزير الذى كان يعيشها : - ألم ترى أين ذهب " الأقرع " ؟ الحارس يقول أنه كان هنا منذ دقيقة قالت الأميرة بلهجة حادة : لقد صار أبى فاقد الحمية تماما ، كيف يسمح لكم أن تدخلوا غرفة ابنته المريضة ليلا ، وأنت أيضا هل لديك الجرأة أن تتحدث معى فى مثل هذا الحديث ؟ أخرجوا سريعا . قال ابن الوزير باحترام وأدب : - سيدتى الأميرة ، هذا أمر الملك نفسه أن نبحث فى كل ثقب ، فأنا مأمور وليس ذنبى . أثناء ذلك فتشوا كل مكان بالغرفة فلم يجدوا شيئا سوى سيف ابن

الوزير وسهمه اللذين كان " الأقرع " قد أحضرهما معه وأخفاهما تحت السرير.

قال ابن الوزير: سيدتى الأميرة ، هذه الأشياء ملكى ، سلبها " الأقرع " منى فإن لم يكن هو ، فمن الذى فعل هذا ؟ سوف أخبر الملك بهذا .
أثناء ذلك كان " الأقرع " يقف بجوار الأميرة يسمع ، وكان يقول لها :-
لا تخافى يا فتاة ، لا تظهرى شيئا على وجهك ، وسأتى إليك سريعا .
بعد ذلك عبر من وسط الحراس ووصل إلى الباب ، وكان هناك ثلاثة أشخاص أو أربعة يقفون على عتبة الباب مما أدى إلى استحالة المرور ، فأراد أن يحدث جلبة لى يهرب ، ولكن فجأة ارتطمت قدمه بشيء فسقطت طاقيته ، توصل " الأقرع " كثيرا لى يعطوه طاقيته وكان يقول :- عيب على أن أذهب إلى الملك برأسى عارية !!
ولكن ابن الوزير لم يأذن له بأخذها .

كان الملك يجلس على عرشه منتظرا وهو فى قمة غضبه ، وعندما وصل " الأقرع " أمام عرشه صاح قائلاً : يا ابن الحرام ، أى خطأ اقترفته فى محله ؟ اقتحمت بيوت الناس ، محوت جيشى ، ولكن بئى جرأة دخلت غرفة ابنتى ؟ سأمر وزيرى فى الحال أن يصب رصاصاً مغليا فى حلقك.

قال " الأقرع " :- يا مولاي ، أى شئ تأمر به فأنا راض ، ولكن فى البداية مَرُهم بأن يفكوا يدي ، وأن يعطونى طاقيتى ، فإنه ليس من الأدب أن أمثل أمام الملك ، ويدائى ليست على صدرى ، وأقف أمامه ورأسى عارية. أمر الملك بأن يفكوا يديه ، وأن يعطوه طاقيته ، وأراد ابن الوزير ألا يعطيه الطاقية ، ولكن لم يكن لديه الجرأة لأنه يقول

كلاماً بعد كلام الملك ، فأعطاه الطاقية ، وفك يديه ، ووضع الأقرع الطاقية على رأسه فاخفى ، فقفز الملك من مكانه وصاح : - أين ذهبت يا ولد ؟ اختفيت ؟ أتلعب الاستخفاء ؟

قال ابن الوزير بخوف شديد : - فداؤك نفسى ، لم يذهب إلى مكان ، لقد اختفى تحت الطاقية ، فمر بأن يغلقوا الأبواب ، الآن سيهرب . أراد " الأقرع " أن يتحرك ويهرب ، ولكنه رأى أنه وقع فى المصيدة ، وحاصر الحراس غرفة الملك ، ولم يتركوا مجالا حتى إن الفأر لا يستطيع أن يجد ثقباً يهرب فيه !! .

عندما رأى الملك أن " الأقرع " هرب طلب الجلاد ، وأمره قائلاً : - أيها الجلاد : اقطع رقبة ابن الوزير ابن الحرام هذا . فأخذ ابن الوزير يلتمس ويتوسل ، ولكن الملك قال له : يا ابن الحرام ، كنت تعرف أن طاقيته هى طاقية الإخفاء ، فلماذا لم تقل لى ؟ يا جلاد : لا ترجمه ، إضرب عنقه .

وهكذا قتل ابن الوزير فى منتصف الليل .

والآن نعد إلى الأميرة

فعندما رأت " الأقرع " قد وقع فى المصيدة ، وقد قتل ابن الوزير ، قالت لوصيفتها : - أتعرفين أنه إذا جاء الوزير سيجر رجلنا أيضاً فى القضية ؟ أنجلس مكتوفى الأيدى ؟ ثم ماذا ؟ انهضى لنذهب إلى أم " الأقرع " ، فمن الممكن أن تفعل شيئاً ، مسكين " الأقرع " ، ستخرج روحه .

كان الحراس مشغولين ، ولم يلتفتوا لذهابهما ، وكانت العجوز تجلس

بمفردها فى الكوخ تغزل الصوف ، والعنزة نائمة هي والحمام .
قصت الأميرة على العجوز كيف سقط " الأقرع " فى المصيدة ، وأنها
الآن لابد أن تفعل شيئاً .

فكرت العجوز وذهبت وأيقظت العنزة والحمام أيضاً وقالت لهن :
يا عنزة يا ذات اللحية ، أيتها الماهرة ، يا حمام " الأقرع "
الجميلات، لقد وقع ابنى فى المصيدة فى قصر الملك ، إفعلى شيئاً
لتسعدى قلب أقرمى ولترضىنى ، وهذه هي أيضاً الأميرة وسوف
تصبح زوجة أبنى أرلن الغم عنها . طلبت العنزة طعاماً ، فأحضرت
لها العجوز الشوك وورقه التوت . وذهبت الحمامات وأحضرت
أصدقاءهن ، وبدأت العنزة فى الأكل وصارت تمطر كرات ، وأشعلت
العجوز التنور (الفرن) ووضعت صاجاً فوقه وأخذت تشوى القمح
للحمام .

كان الحمام يأكل القمح ويأخذ الكرات ويطير فى الهواء عالياً ، ثم
يلقى به على رأس الجيش والحراس وفى ظلمة الليل لم يستطع أحد
منهم أن يفعل شيئاً .

عرف الوزير بأمر الجيش والحراس فذهب للملك وقال له : - أيها
الملك ، إذا تركت الأمر هكذا لمدة ساعة أو ساعتين ، فالحمام سيهدم
الأبواب والجدران فوق رؤوسنا ، فمن الأفضل أن تطلق سراح الأقرع
ثم بعد ذلك نفكر ونعيد حساباتنا .

استحسن الملك كلام الوزير ، وأمرهم بأن يفتحوا الأبواب ، وصاح
بصوت مرتفع جداً قائلاً : - يا أقرع ، تعال واذهب فى داهية ، أقرب
عن وجهي ، وسأحاسبك فيما بعد .

مضت عدة دقائق فى صمت ثم صاح " الأقرع " من الفناء قائلاً : -
فداؤك نفسى ، الآن أغتزم الفرصة ، وأقول لجلالتكم ، أنه لا يوجد فى
أى مكان من يسلك هذا السلوك مع من جاءهم خاطباً .

قال الملك : - يا أحمق ، أين أنت من خطبة الأميرة ؟
قال " الأقرع " : - أيها الملك ، أعطنى ابنتك ، وسأقول للحمام أن
يكف ، فأنا وابنتك يعشق كلانا الآخر .

قال الملك : - لا تلزمنى بنتاً قليلة الأدب مثلها وسأطردها حالا .
وأرسل الملك مجموعة من الخدم فى إثر ابنته ليقبضوا عليها
ويطردوها من القصر . وذهب الخدم ثم عادوا ، وقالوا : - أيها الملك ،
لقد هربت ابنتك .

لم يقل " الأقرع " شيئاً آخر ، وأشار للحمام بأن يكف ، ثم ذهب إلى
كوخه ، وكانت أمه والأميرة والوصيفة يشربن حليباً ساخناً . ورتب "
الأقرع " بيته وحياته بالنقود القليلة والمصاغ الذى كانت قد أحضرتة
معها الأميرة بجانب النقود التى ادخرها هو وأمه والأميرة . ولكن "
الأقرع " مازال يعمل حطاباً ، ويطلق حماماته ، وكان يربط منزته
أسفل شجرة التوت ، بينما أمه وزوجته تغزلان الصوف وينفقن على
معيشتهن من بيعه .

وكانوا قد أعتقوا الجارية ، وذهبت هي أيضاً وتزوجت ، وأصبحت
صاحبة بيت وحياة مستقلة هي الأخرى .

وكان الحاج على صاحب المغازل وآخرين مازالوا يأتون للملك
ويشكون له من " الأقرع " خاصة أنه كان أحياناً يسرق أموالهم ولم
يكن ذلك لنفسه فى أى وقت قط .

كان الملك والوزير يجلسان كل يوم ليديبرا خطة أو حيلة للقبض على " الأقرع " وحمائمه ، وعين الملك ابن الوزير الصغير رئيسا للحراس حتى يقفل فم الوزير ، ولا يقول شئ بخصوص قتله ابنه الآخر .
يقول جميع القصاصين أن قصتنا قد انتهت ، ولكننى على يقين من أن قصتنا لم تنته بعد ، وحتما ذات يوم سوف نكمل هذه القصة

٤-الصبي بائع البنجر المسلوق

كنت - قبل عدة سنوات - معلماً في قرية وكانت مدرستنا عبارة عن غرفة واحدة ، بنافذة واحدة ، وياب يؤدي إلى الخارج ، ولم تكن المدرسة تبعد عن القرية كثيراً . وكان لدى إثنان وثلثون تلميذاً ، عدد الصف الأول خمسة عشر تلميذاً ، والصف الثاني ثمانية ، والصف الثالث ستة ، أما الصف الرابع فثلاثة تلاميذ .

كانوا قد أرسلوني إلى هناك في أواخر الخريف ، فقد ظل الأطفال بلامعلم لمدة شهرين أو ثلاثة ، ومن ثم سروراً كثيراً برؤيتي ، وهللوا فرحين ، إذ كان الفصل مغلقاً والدراسة معطلة لمدة أربعة أو خمسة أيام ، وأخيراً تمكنت من جمع التلاميذ من الخلاء ، ومن مصنع نسج السجاد ، ومن هنا وهناك . كان كل الأطفال - تقريباً - يبقون بلا عمل ، لذا كانوا يذهبون إلى مصنع الحاج "قلی" لنسج السجاد ، وكان دخل أمهرهم خمسة عشر ريالاً في اليوم .

كان الحاج "قلی" قد جاء من المدينة ، وكان توفيره في هذا الأمر ، فعمال المدينة يتقاضون النقود مقدماً ، ولا يتقاضون أقل من أربعين ريالاً ، أما أعلى أجر في القرية فكان يتراوح بين خمسة وعشرين وخمسة وثلثين ريالاً .

لم يمض على وجودي بالقرية أكثر من عشرة أيام حتى تساقط البرد وامتلاّت الأرض بالثلج ، فأغلقتنا ثقوب النافذة والباب بالورق حتى لا يدخل البرد .

ذات يوم كنت أقوم بدرس إملاء للصفين الثالث والرابع ، بينما كان الصفان الأول والثاني في الخارج . كانت الشمس ساطعة والبرد قد صار رقيقاً وأهياً ، وكنت أرى الأطفال من النافذة وهم يبعدون كلباً

شريدنا ويضربون رأسه ووجهه بكتل الثلج ، فهم في الصيف يقذفون الكلاب بالحجارة والطلوب ، وفي الشتاء بكرات الثلج .

بعد قليل ارتفع من خلف الباب صوت رقيق يقول : - أحضرت البنجر يا أطفال ، أحضرت بنجر ساخنا وحلوا مذاق .

سألت مراقب الفصل : - كاظم ، من هذا ؟

قال كاظم : - ليس سواه ، إنه " تارى وريدى " يا سيدي ، وهويبيع البنجر في الشتاء ، أتريد دعوته للدخل ؟!

فتحت الباب فدخل "تارى وريدى" بسلة البنجر ، كان يعقد شالاً قطنيا قديما على رأسه ووجهه ، بينما فردة حذائه بلاستيكية والأخرى من الأحذية الرجالية العادية ، وكانت سترته تصل إلى ركبته ، ويدها مختلفتين تحت كميهما وأنفه كان قد إحمر من شدة البرد ، ووجهه يدل على أن عمره يتراوح ما بين العاشرة والثانية عشرة .

ألقى " تارى وريدى" السلام ، ووضع سلة البنجر على الأرض ، وقال : - أسمح يا سيدي أن أدفئ يدي؟

سحبه الأطفال إلى جوار المدفأة وأعطيته كرسي ، فلم يجلس وقال :- لا يا سيدي ، أستطيع أن أجلس على الأرض هكذا .

وكان الأطفال الآخرون قد جاءوا على صوت "تارى وريدى" وازحم بهم الفصل فأجلست الجميع في أماكنهم .

تدفأ "تارى وريدى" قليلا ثم قال : - أترقب في البنجر يا سيدي ؟

ودون أن ينتظر جوابى أمسك ببرام وأزاح عنه منديلا قذرا ملونا فتصاعد منه بخار " لذيد وكان فوق البنجر سكين ، قبضتها مصنوعة

من قرن الحيوان . إختار " تارى وريدى " واحدة وأعطاهها لي وقال : -
من الأفضل أن تنزع قشرتها بنفسك ، سيدي من الممكن يداي ...
فنحن قرويون على أي حال ، لم نرا المدينة ، ولا نعرف ما يمكن
إتباعه .

كان يتحدث مثل شيخ محنك ، وضغطت البنجر بين يدي ، وقشرت
جلده الدهنى فخرج منه لون أحمر قان جميل ، وقضمت قطعة منه
فكان حلوا مذاق جدا .

قال " نوروز " من آخر الصف : - لا يوجد مذاق بنجر حلوا مثل بنجر
" تارى وريدى "

قال كاظم : - أخته هي التى تطهيه ، وهويبيعه ، فأمه مريضة
ياسيدي .

تفرست في وجه " تارى وريدى " ، ارتسمت على شفثيه ابتسامة حلوة
كابتسامة الرجال ، وكان قد خلع الشال القطنى عن رقبته ، فبدأ
شعر رأسه وقد غطى أذنيه .

قال : - يا سيدي لكل إنسان عمل وكسب ، وهذا عملنا نحن .

فقلت : - مم تشكو أمك يا " تارى وريدى " ؟

قال : - قدمها لا تتحركان ، والعمدة يقول أنه شلل !! عموما
لا أعرف يا سيدي .

قلت : - وأبوك ؟

فقاطعني قائلاً : - مات .

قال أحد الأطفال : - كانوا يسمونه " عسكريا المهرب " يا سيدي .

قال " تارى وريدى " : - كان يتقن ركوب الخيل ، ونهايته كانت ذات

يوم بأعلى الجبال ، فقد أصيب برصاصة وقتل ، ضربه عساكر الأمن وهو فوق جواده .

تجاذبنا أطراف الحديث ، بعدها باع للأطفال بنجر بحوالى قرانين أو ثلاثة . وذهب ولم يأخذ منى نقودا ، وقال : - هذه المرة أنت ضيفى ، وستدفع المرة القادمة ، أنظريا سيدى ، نحن لا نفهم فى أمور التكلف وما إليها .

وأخذ " تارى وردى " يسير على الثلج صوب القرية ، وكلنا نسمع صوته ، وكان يقول : - عندى بنجر - أحضرت بنجر ساخنا وحلو المذاق أيها الناس .

وكان كلبان يحومان حوله ويهزان ذيليهما .

حكى الأولاد لى كثيرا عن " تارى وردى " وأن له أختا تدعى " سولماز " تكبره بستين أو ثلاث . وعندما كان أبوهما على قيد الحياة ، كانوا يحيون حياة كريمة ، ولكن بعد موته أصابهم العوز والحاجة . فذهبت الأخت أولا إلى الحاج " قلى " النساج ، ثم لحق بها أخوها ، وبعد ذلك تشاجرا معه وتركوا العمل .

قال " رضا قلى " : - كان الحاج " قلى " عديم الشرف ، يؤذى أخته ، فكان ينظر إليها بشهوة يا سيدى .

قال " أبو الفضل " : - يا سيدى ، كان " تارى وردى " يرغب فى قتل الحاج " قلى " بسط النسيج .

كان " تارى وردى " يأتى إلى الفصل كل يوم مرة أو مرتين ، وأحيانا كان يأتى إلى الفصل بعد أن يبيع كل البنجر ويجلس ويستمتع إلى الدرس .

و ذات يوم قلت له : - " تارى و ردى " .. سمعت أنك تشاجرت مع
الحاج " قلى " هل تستطيع أن تقول لى كيف ؟
قال " تارى و ردى " : - إنه موضوع قديم ، لا أريد أن أوجع رأسك
ياسيدى .

قلت : - أكون سعيدا جدا إذا استمعت إلى كلامك من البداية
للنهاية .

بدأ " تارى و ردى " فى الكلام وقال : - فلتسمح لى يا سيدى ، كنت
وأختى نعمل منذ صغرنا لدى الحاج " قلى " وكانت أختى قد ذهبت
إليه قبلى ، وكنت أعمل تحت إشرافها ، وكانت تتقاضى هي عشرين
ريالا ، بينما كنت أتقاضى أقل منها قليلاً .

وكان ذلك منذ سنتين أو ثلاث . وكانت أمى مريضة لا تعمل ولكنها لم
تكن مقعدة . وكان يعمل بالمصنع حوالى ثلاثين أو أربعين طفلاً . وهم
موجودون إلى الآن ، وكان هناك خمسة أو ستة مدربين . وكنت
أذهب أنا وأختى فى الصباح ، ونعود ظهراً ، ونذهب بعد الظهر
ونعود عصرأ ، وكانت أختى تضع حجابها فى المصنع لكنها لم تخفى
وجهها عن أحد وكان المدربون فى العمل فى منزلة أبينا ، والآخرين
كانوا مجرد أطفال ، وكان الحاج " قلى " صاحب العمل .

... سيدى بعد ذلك كان الحاج " قلى " عديم الشرف ، يأتى ويقف فوق
رؤوسنا ويطليل النظر إلى أختى ، وأحياناً يربت على رأسها ، أو على
رأسى بيده ، وكان يضحك بفتور ، ويمر علينا دوماً ، ولم أكن عندئذ
استشعر أنى منه لأنه صاحب العمل ، ويبدى لنا حبه ، ومضت فترة ،
و ذات يوم خميس عندما كنا نتقاضى أجرنا الأسبوعي ، أعطى أختى

علاوة عشرة ريات و قال لها : - أمك مريضة ، أنفقى هذا عليها .
و بعد ذلك ضحك فى وجه أختى ، ولم أشعر بارتياح مطلقا ، وكانت
أختى تبدو خائفة ، ولكنها لم تقل شيئا ، و ذهبنا نحن الإثنين إلى
أما . وعندما سمعت أمى أن الحاج " قلى " قد أعطى لأختى أجرا
إضافيا استغرقت فى التفكير ، وقالت : - بعد ذلك لا تأخذى مثل
هذه النقود الإضافية .

ومنذ اليوم التالى رأيت مشرف العمل والصبيان الكبار يهمس كل
منهم فى أذن الآخر ، وكأنهم أرادوا ألا أسمع أنا وأختى .

... سيدى ! وفى يوم الخميس التالى ، ذهبنا آخر الجميع لنتقاضى
أجرينا ، كان الحاج " قلى " بنفسه قد قال لنا تعالينا إلى فى وقت
الغراغ ، فالحاج يا سيدى كان قد ضاعف أجرينا وقال : - غدا سوف
أتى لمنزلكما ، فلى حديث مع أمكما .

بعد ذلك ضحك فى وجه أختى ، ولم أشعر أنا بارتياح مطلقا ، وتغير
لون وجه أختى وغضت بصرها .

إسمح لي يا سيدى ، فقد طلبت منى أن أقص كل شئ ، ذهبت إلى
الحاج وألقيت له ما أضافه من نقود وقلت له : - سيدى الحاج ، إننا
لا نحتاج مال إضافى فأمرى تغضب من ذلك .

عاود الحاج الضحك وقال : - لا تكن حماراً يا عزيزى ، فهذا ليس لك
أولاً أمك حتى تتضايقا أو تسعدا ، وفى ذلك الوقت أخذ النقود
الإضافية وأراد أن يضعها فى يد أختى ، فتراجعت أختى وأسمرت
إلى الخارج ، وغلبنى البكاء من شدة الغيظ ، وكان مشط النسيج على
المكتب ، فرفعته ودفعته فى وجهه ، فشج مشط النسيج وجهه ، وأخذ

ينزف ، وصرخ وطلب النجدة ، فأسرعت إلى الخارج ، ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك ، وصلت إلى البيت ، وكانت أختى قد سبقتنى ، وجلست وقبعت القرفصاء بجوار أمى وهى تبكى .

جاء العمدة ليلاً يا سيدى ، فقد شكأنى الحاج "قلى" إليه ، وكان قد خاطبه أيضاً قائلاً : - أريد أن أصبح فرداً من العائلة ، وإذا لم يحدث فسأضح الولد فى يد الأمن لينتقموا منه . قال العمدة : - لقد أرسلنى الحاج خاطباً ، أتقبلون أم لا ؟

فقلت : لا.. يا سيدى، إن زوجة الحاج وأطفاله الآن فى المدينة ، وبالإضافة إلى زوجاته الشرعيات الأربع ، فإن لديه عشرة أخريات من زوجات المتعة . لا مؤاخذه ، إنه خنزير عفن ونتن ، سمين وقصير ، ذولحية قصيرة ، ذات شعر أشمط ، وله طاقم أسنان صناعية بعضها من الذهب ، ويمسك بيده مسبحة طويلة ، عافاك الله ، إنه خنزير نتن ، شيخ وعاجز .

قالت أمى للعمدة : - لو كان لدى مائة بنت لن أعطى واحدة منهم لهذا الضبع العجوز ، يكفيننا كل ما عطيناه ، وكان العمدة يعلم فى قرارة نفسه أن هذا النمط من الناس لا يمكن أن يصبح منا نحن القرويين قلباً وقالباً .

قال العمدة -يا سيدتى- : - نعم ! حقاً ما تقولين ... لقد أراد الحاج "قلى" أن يتزوج زواج متعة ، ولكن إذا رفضت فسوف يطرد طفلك ، ويعد ذلك سيؤذيه عن طريق الشرطية ، وأشياء من هذا القبيل ، فلتعلمى هذا .

كانت أختى قد أقعت خلف أمى ، وهى تقول ، بينما ينهمر الدمع من

عينيها :- لن أذهب مرة أخرى إلى المصنع ، سيقتلني ، إنني أخاف منه .

وفى الصباح لم تذهب أختي إلى العمل ، وذهبت بمفردي ، وكان الحاج "قلى" واقفاً على عتبة الباب ، وكان يُسبح . وقد خفت ياسيدي فلم أقترّب منه . وكان الحاج "قلى" يربط الجرح الذي فى وجهه بقطعة من القماش ، وقال لى :- تعال يا ولد وأدخل فلا شأن لى بك . اقتربت منه وأنا خائف جداً ، وأردت أن أعبّر من الباب ، فأمسك برسغى وألقى بى فى فناء المصنع ، وانهال على ضربى بقبضته وقدمه . وفى النهاية خلصت نفسى من يده وجريت ورفعت مشط النسيج - الذى كنت قد ضربته به بالأمس- فى وجهه ، فكم إنهال على ضربى بحيث مجنت ، فصرخت فيه قائلاً : أيها الديوث النذل ، الآن سأريك -بمشط النسيج- حتى تعرف مع من تتعارك؟! إنهم يقولون عنى ابن عسكرا المهرب حقاً .

وألنقط " تارى وريدى " أنفاسه وعابود الحديث قائلاً :- سيدى ! كنت أريد أن أقتله فى مكانه ، لكن العمال تجمعوا وحملونى إلى بيتى ، وكنت أبكى من شدة الغيظ ، وأضرب الأرض بقدمي ، وأسب وألعن ، وكان الدم يتساقط من جرح فى وجهى وفى النهاية هدأت .

كان لدينا عزة كنت قد اشتريتها أنا وأختى بمائة ريال ، فبعناها ، وعشنا شهراً أو شهرين بالنقود التى كنا قد ادخناها .

وفى النهاية ذهبت أختى لدى امرأة خبازة ، وأنا أيضاً ، كلما ظهر لى عمل كنت أذهب فى إثره .

قلت يا :- " تارى وريدى " لماذا لا تتزوج أختك ؟!

قال : - إن ابن الخبازة قد خطبها ، وأقوم أنا وأختى بإعداد الجهاز ليتزوجا .

كنت قد ذهبت هذا العام فى الصيف للتنزه فى القرية ، فرأيت " تارى وردى " فى الخلاء يرعى أربعين أو خمسين عنزة وخروفا ، فقلت له : - هل أعددت جهازاً أختك أخيراً ؟

قال : - نعم ، وزفت ، وقد أتممت خطبتي أنا أيضاً ، والآن أجمع النقود لعرسى . فمئذ أن ذهبت أختى إلى بيت زوجها بقيت أُمى بمفردها ، وهى تريد أن تأخذ أحداً تحت جناحها وتتحدث معه ، وإلا صرت جاحداً ، لا تؤاخذنى يا سيدى !!!

٥- سيرة حبة تلج

كنت قد وقفت ذات يوم ثلجي أنظر إلى الخارج ، كانت حبات الثلج تنزل متراصة ، وتحط على كل شيء ، جبل الغسيل وفوق الأشجار ، وعلى الجدران ، وفوق الإبريق على حافة الجدول ، فوق كل شيء .

كانت حبة كبيرة منها تتقدم ، صوب نافذتي ، فأخرجت يدي على حافتها ومددتها تحت حبة الثلج ، فاستقرت بهدوء على كفى ، كم كانت بيضاء ونظيفة!! شكلها جميل، منتظمة التقسيم ، وهمست لنفسى قائلاً : ليتها تتكلم ، لتحكى لى قصتها .

وفى ذلك الوقت ، تكلمت حبة الثلج وقالت : - إذا رغبت أن تعرف من أنا وما هي قصتي ، أنصت إلى جيداً . كنت قبل عدة أشهر قطرة ماء فى بحر "الخرز" ، اذهب هنا وهناك بصحبة ميليارات الميليارات من القطرات الأخرى ، وكنا نقضى يومنا على هذا النحو .

كنت أنجول ذات يوم صيفى على صفحة الماء ، وكانت الشمس محرقة ، فسخت وتبخرت ، وتبخرت معى آلاف الآلاف من القطرات الأخرى أيضاً ، ومن خفة وزننا نبتت لنا أجنحة ، فارتفعنا الى أعلى دون أن نشعر ، والرياح خلفنا تسحبنا إلى كل اتجاه .

ارتفعنا لدرجة لم نعد نرى فيها الأديمين ، وكانت كتل البخار تأتي من كل ناحية وتلتصق بنا ، وأحياناً كنا نذهب نحن أيضاً وتلتصق بكتل أكبر ، وتتداخل سويًا ، ونصبح أكثر تماسكاً وتوحداً ، فنسير سويًا ونرتفع ونبتعد ، وكان عدداً يزداد وتماسكنا أيضاً . وأحياناً كنا نحجب نور الشمس وأحياناً ضوء القمر ، وفى هذه

الحالة نزيد الليل ظلاما، بحيث أن بعض ذرات البخار كانت تقول :
 كنا قد أصبحنا سحابا والرياح تهب داخلنا ، وتشكلنا أشكالا عجيبة
 وغريبة، فأنا شخصيا عندما كنت في البحر ، كنت أحيانا أرى
 السحاب على شكل جمل أو إنسان أو حمار وأشياء من هذا القبيل .
 لا أعرف كم شهر ظللنا متجولين في السماء ، لقد ارتفعنا كثيرا ، وكان
 الهواء قد اشتدت برودته ، وكم كنا متداخلين سويا لدرجة أننا لم نكن
 نستطيع أن نمد أيدينا أو حتى أرجلنا !! فكنا نتحرك جماعة ككتلة
 واحدة ولم أكن أعلم أين نذهب؟ ولم أر ما حولى ولم يكن هناك خبر
 عن نور الشمس ، وكاننا قد حجبنا نورها ، وانتشرنا ، وأصبح طولنا
 وعرضنا عدة مئات من الكيلومترات ، وطمعنا أن نصير مطرا ونعود
 إلى الأرض .

كاد قلبي يقفز من مكانه من شدة شوقى إلى الأرض ، ومضت فترة
 فتحول نصفنا ماءً والنصف الآخر بخاراً . كنا نتحول إلى مطر ،
 وفجأة تغير الجو وأصبح شديد البرودة ، وارتعشت من شدة البرد ،
 وارتعش الجميع معى ونظرت حولى وقلت لإحداهن : - ماذا حدث؟
 فأجابت قائلة : - الأرض التى نحن عليها الآن فى فصل الشتاء .
 مما لاشك فيه أن هناك أماكن أخرى من الممكن أن تكون حارة .
 وهذا البرد المفاجئ يمنعنا من أن نتحول إلى قطرة ، أنظري، أنا
 أتحول إلى ثلج وأنت أيضاً .

لم تستطع صديقتى مواصلة كلامها وتحولت إلى ثلج ، وسقطت على
 الأرض ، ووراءها تحولت أنا ، وآلاف الآلاف الذرات الأخرى الواحدة
 تلوا الأخرى وتساقلنا جميعاً على الأرض .

عندما كنت في البحر كان وزني ثقيلاً ولكني الآن أصبحت خفيفة الوزن ، أطير مثل الريشة ، ولم أعد أشعر بالبرد لأنه أصبح جزءاً من جسمي ، وكنا نرقص ونحن في طريقنا إلى الأرض .

وعندما اقتربت من الأرض ، أدركت أنني هابطة في مدينة "تيريز" وكم بعدت عن بحر "الخزر" !!

كنت أرى - من أعلى - طفلاً يضرب كلباً بعصا ، فأخذ الكلب يعوى ، وأيقنت أنني لو سقطت رأسياً سأقع على رأس هذا الولد ، وتمنيت من الرياح أن تنقذني وتحملني إلى مكان آخر ، ولبت الرياح رجائي وحملتنى وأحضرتني إلى هنا ، وعندما رأيتك تمد يدك تحتي سررت منك واقتربت .

في هذه اللحظة ، انقطع صوت حبة الثلج ، فنظرت إليها ورأيتها قد تحولت إلى ماء .

٦- العجوز ودجاجتها الذهبية

• 2 11 1

كان هناك عجوز لا تملك من حطام الدنيا سوى دجاجتها الذهبية ، وكانت قد شنت هذه الدجاجة ذات ليلة فى المنام . وكانت العجوز تصنع دهان الوجه وتحمله إلى الحمامات لتبيعه . بينما الدجاجة الذهبية تتجول فى كوخ العجوز وفنائها الصغير باحثة عن النمل والعناكب . ومن همتها لم تكن شلة تتجاسر على أن تطأ كوخ العجوز ، حتى النمل الفارسى الكبير الحجم ، لم يكن ليقوى على ذلك . ولم تكن الدجاجة الذهبية تفرق بين نمل طيب ونمل غير طيب ، فهي تلتقطه بمنقارها وتأكله ، كما كانت تتصدى أيضا للقطط الفضولية التى تبحث فى كل مكان عن قطعة لحم ، فكانت تأتى وتقلب كل شئ رأسا على عقب .

كانت شجرة الجوز متكاثفة الأغصان والأوراق تنتصب مخضرة فى فناء العجوز ، وفى أوان ظهور الجوز ، كان مزاج الدجاجة الذهبية يصل إلى قمته ، فكلما هبت الرياح سقط الجوز فتكسره وتأكله .

أما العنكبوت فكان يستفيد من وحدة العجوز ومن شيخوختها ، فينسج شبابه داخل الرف وخلف الزجاجات الخالية ، ويضع بيضه . وكانت العجوز ذات يوم تملأ هذه الزجاجات بالخل وعصير الحصرم وماء الريحان والنعناع وتبيعها وتعيش على ثمنها ، ولكنها الآن تصنع دهان الوجه فقط ، وتركت زجاجاتها الملونة فارغة .

كان العنكبوت يخشى الدجاجة الذهبية ، ويفكر دائما فى أن نهايته ستكون ذات يوم بمنقارها . ذلك لأن الدجاجة كانت قد رآته أكثر من مرة على حافة الرف ، فهددته بأنه سيكون فى النهاية فريسة

سهلة لها ، وكانت قد أكلت العديد من صغاره أيضاً . ومن جهة أخرى ، كانت الدجاجة قد أجهزت على النمل الأصفر الصغير الموجود بالمنزل . وكان يأتي دائماً على رائحة الفضلات التي كانت العجوز تلقى بها على الرف ، وكان يعبر من خلف الزجاجات الفارغة ويأخذ حذره من العنكبوت ذلك الصياد الماهر .

ذات ليلة جاء العنكبوت إلى العجوز في منامها وقال لها : - أيتها العجوز ، ألا تعلمي قط أن الدجاجة الذهبية وقحة تبدد مالك وثروتك ؟؟

قالت العجوز : اخرس ، دجاجتي الذهبية رقيقة وعطوفة ، إنها لم تفعل ذلك مطلقاً .

قال العنكبوت : - أنت لا تعرفين ، فأنت مثل القطا تدفين رأسك في الثلج وتتوهمين أموراً ساذجة .

غضبت العجوز وقالت : - قل الصدق حتى أعرف ما هو قصدك ؟

قال العنكبوت : - وما الفائدة ؟ إن دلال الدجاجة وغنجها ، قد أعمى عينيك وسوف لا تصدقين كلامي .

نفذ صبر العجوز وقالت : - إذا كان لديك دليل قوى على أن الدجاجة الذهبية تبدد مالي فسوف أدبحها وأجعل الكل حتى النمل يرثي لحالتها .

عندما رأى العنكبوت أنه قد أقنع العجوز قال : - إنصتي وسوف أقول لك ، أيتها العجوز أنت تكسحين وتصنعين دهان الوجه وتساألين الآخرين وتحملين الدهان إلى الحمامات وتبيعيه وتأتين بلقمة خبز لتسدين بها جوعك ... وهذه الدجاجة الوقحة الشرهة لا تعباً بك

مطلقاً ، فيجب عليها -على الأقل - أن تترك لك شيئاً من هذا الجوز لتبعية وترتاحي يوماً أو يومين وتأكلي غداء أو عشاء دسماً . الآن صدقت أن الدجاجة الذهبية تبدد مالك؟

قامت العجوز من نومها مغزوعة غاضبة محتدة ، وأخذت تدبر وترسم للدجاجة الذهبية ، ولم تذهب فى الصباح لبيع الدهان ، وجلست داخل كوخها ، وثبتت عينيها على الفناء وعلى الدجاجة الذهبية التى كانت قد استيقظت مبكراً وأخذت تشاهد سطوع الشمس .

جاءت الدجاجة الذهبية أسفل شجرة الجوز وقالت لها : - يا رفيقتى الشجرة إلق إلى بواحدة أو اثنتين لأفطر بهما .

هزت شجرة الجوز أحد أغصانها فسقطت عدة جوزات على الأرض . فأسرعت الدجاجة الذهبية صوبها ، فصاحت العجوز ، أيتها الدجاجة الصفراوية لا تلميسها ، لم يعد من حقلك بعد أن تكسرى جوزاتى وتأكلينها .

أخذت الدجاجة تنظر إلى العجوز بدهشة وكأنها رأت عجوزاً أخرى ، فلم تعد ترى تلك العينين الرحيمتين ، وذلك الوجه البشوش وذلك اللسان العذب ، فلم تقل شيئاً ، ووقفت صامتة ، اقتربت العجوز منها وركلتها ركلة أطاحت بها إلى الطرف الآخر ، وجمعت الجوزات ووضعتها في جيبها .

وأخيراً تحدثت الدجاجة الذهبية وقالت : - أمسى ، ماذا أصابك اليوم؟ وكأن الشيطان حل بك !

قالت لها العجوز : صه ! لقد زاد تبجحك ، قلت لك ذات مرة أنه ليس لك الحق فى أن تأكلى جوزاتى ، فإننى أريد بيعها .

أطرقت الدجاجة الذهبية خجلاً ، وذهبت وجلست أسفل الشجرة . ذهبت العجوز إلى الكوخ ، وبعد قليل نهضت الدجاجة مرة أخرى وقالت للشجرة : - يا رفيقتى الشجرة ، إلقِ إلى بواحدة أو اثنتين لأرى ما سيحدث هذه المرة ، فاليوم قد تحول إفطارنا إلى سم زعاف . هزت الشجرة غصناً آخر من أغصانها المثلثة ، فسقطت منه عدة جوزات على الأرض ، فأسرعت الدجاجة إليها وكسرتها وأكلتها ، فجاءت العجوز إليها وصاحت قائلة : - أيتها الدجاجة الصفراء ، سأريك الآن معنى أن تأكلى جوزاتى !!

قالت العجوز هذا الكلام واستدارت ، وأوقدت المنقد وأمسكت بالدجاجة الذهبية وقريتها منه ، وألصقت مؤخرتها بالنار فاحترقت والتهبت ، أخذت شجرة الجوز تهتز بشدة وتلقى بالجوز على رأس العجوز ، وجرحتها . فتركت العجوز الدجاجة ، وعندما أرادت جمع الجوز رآته وقد تحول إلى حجر ، فنظرت إلى الشجرة ثم نظرت إلى الدجاجة ثم إلى نفسها وبخلت الكوخ وجلست .

قبعت الدجاجة الذهبية فى زاوية من زوايا الفناء ، وهى تضع رأسها تحت جناحها ، وكانت تخرج رأسها أحياناً وتلقى نظرة على مؤخرتها المحترقة ثم تمسح دموعها المتساقطة بطرف جناحها ، ويعددها تعود لوضعها السابق ، ولم تعبأ العجوز بدجأجتها الذهبية .

وقُرب الظهر هبت عاصفة فألقت بالجوز على الأرض ولم تتحرك الدجاجة من مكانها ، وهبت الريح مرة أخرى وأسقطت جوزاً آخر على الأرض . ظلت الدجاجة الذهبية فى حالها ولم تتحرك من مكانها ، وحتى العصر لم يكن هناك مكان خال فى فناء العجوز من

كثرة الجوز. وظلت العجوز تحملق فى دجاجتها الذهبية فلم تر شيئاً سواها ، وفجأة سمعت صوتاً يقول : - أيتها العجوز الشجاعة - أجلسكِ هذه الدجاجة الصفراوية فى مكانها ، فلماذا أنت عاطلة الآن ؟ انهضى واحملى جوزاتك وبيعيها ، إن الشمس قد قربت على المغيب ولأن لم تحضرى طعامك .

إلتفتت العجوز فإذا بعنكبوت كبير كان يأتى من الرف السفلى ، وكانت هناك فردة حذاء بجوارها ، فحملتها وهوت بها بشدة على العنكبوت ، وما هي إلا لحظة حتى لم يبق من العنكبوت سوى رسمه على الحائط . وفى ذلك الوقت جففت العجوز دموعها بطرف مباءتها ونهضت وذهبت إلى دجاجتها الذهبية وقالت لها : - يادجاجتى الذهبية يا لطيفة يا عطوفة ، لقد سقط الجوز كله تحت قدميك ، ألا ترغبى فى أن تكسريه وتأكله ؟

قالت الدجاجة دون أن ترفع رأسها : - لقد أهملتنى ، هل نسيت بهذه السرعة أنك أحرقت مؤخرتى ؟

ربتت العجوز على الدجاجة وقالت : - يا دجاجتى الذهبية يا لطيفة يا عطوفة ، لقد سقط الجوز كله تحت قدميك ، ألا ترغبى فى أن تكسريه وتأكله ؟

رفعت الدجاجة الذهبية - هذه المرة - رأسها ونظرت إلى وجه العجوز فرأت تلك العينين الراضيتين الرحيمتين ، وذلك الوجه البشوش الضاحك ، وذلك الفم الذى يقطر عسلاً ، فعادت تقول : - لماذا لا أريد يا أمى العزيزة ، أتضعين مرهما على جرحى ؟

قالت العجوز: أضع ،، ولماذا لا أضع ؟! انهضى يا دجاجتى الذهبية
اللطيفة العطوفة ولنذهب الآن إلى الكوخ .
وفى تلك الليلة لم تحتو مائدة العجوز والدجاجة إلا على الجوز فقط،
وفى الصباح نهضت العجوز وأزالّت خيوط العنكبوت الموجودة فى
كل زاوية وكل ركن وألقت بها بعيداً .

٧- قطتان فوق الجدار

كانت ليلة من ليالى الصيف ، لم يكن هناك قمر ، ولا نجمة ، ومن ثم كان الظلام دامساً والوقت منتصف الليل ، كانت الجنادب تصور لم يكن هناك صوت غير صريرها ، بينما كانت قطرة سوداء تأتى من الطرف البعيد للجدار ، وكانت قد طأطأت رأسها وهى تمشى بهدوء وتتشمم هنا وهناك.

ومن الطرف الآخر للجدار كانت قطرة بيضاء تتقدم ، ورأسها هي الأخرى منحنية ، تسير بهدوء وهى تتشمم الأرض .

أخذت كل منهما تتقدم ، وفى وسط الجدار اصطدمت رأس كل منهما بالأخرى فزمتا ، تراجعت كل واحدة منهما للخلف مسافة شبر ، ثم وقفتا بعد ذلك وتنمرت كل منهما للأخرى ، ولم تكن المسافة بينهما تزيد عن شبرين ، وكان قلباهما يدقان بشدة وانتظرتا برهة ، ولم تفعل شيئاً بل كانتا تموءان وتحملقان فحسب .

فجأة تقدمت القطرة السوداء زاحفة ، فتحركت القطرة البيضاء ، وماءت مانعة إياها قائلة لها بحدّة : لا تأتى ... مياو

لم تهتم القطرة السوداء وتقدمت زاحفة ثانية وأخذت كل منهما تزوم . صار يفصل بينهما شبر واحد ، وأخذت القطرة السوداء فى التقدم إلى الأمام ، فحذت القطرة البيضاء حذوها ، ومدت مخالبها الحادة إلى القطرة السوداء ومزقت أذننها ، ثم أخذت بعد ذلك تصرخ فيها قائلة : ألم أقل لك أيتها الحمقاء ألا تتقدمى ؟!

صرخت القطرة السوداء بدورها : يا ف ... اووف!! لكنها لم تستمع أن تجرح خصمها ، فازداد غضبها ، وتراجعت قليلاً للخلف ثم نهضت وماءت قائلة : - مياو!! إفسحى الطريق لكى أمر ،

وإلا فكل ما يحق بك منك .

وتعالت ضحكات القطة البيضاء ، ولعقت شواربيها وقالت : - يا له من كلام مضحك ، ذلك الذى تعرفين !! أفسح لك الطريق لتعبرى ؟ إذا كان إفساح الطريق عملاً جيداً فلماذا لم تفسحى أنت الطريق لأذهب إلى آخر الجدار .

قالت القطة السوداء : - قلت لك افسحى الطريق لأمر ، ثم تعالى بعد ذلك واذهبى إلى أى جحيم تريد .

فضحكت القطة البيضاء ضحكة عالية وقالت : - إن لم تسمعى كلامى هذه المرة سألتهمك دفعة واحدة .

غضبت القطة السوداء غضباً شديداً ، وفجأة مامت قائلة : - تراجعى واذهبى إلى السطح ، افسحى لأعبر أيتها الفأر الميت !!

على الدم فى عروق القطة البيضاء ، وتجهمت ومامت بصوت مرتعد من أعماق حلقها قائلة : - أقتلى فأر أيتها الحمقاء !! اوووف ، خذى بـ.. يفف ف ف ... !!

ومدت مخال بها مرة أخرى تجاه القطة السوداء ، وكانت القطة السوداء متحفزة هذه المرة ، فضربت أنف القطة البيضاء ومزقته فخرق ، ولم يكن آنذاك من الممكن منع القطة البيضاء ، وقوسبت ظهرها ، وانتصب شعرها ، وأحدثت من الأصوات ما جعل الجنادب تقطع صريرها ، وصارت كلها أذانا صاغية .

وكانت هناك برعمة حمراء تتفتح تدريجياً ولم تكمل تفتحها ، بينما كان نجم ضخّم فى السماء يبدو واضحاً جلياً .

ومامت القطة البيضاء وهى فى شدة غضبها قائلة : - مياو...! ألم

تسمعى ما قلت ؟ تراجعى ، أفسحى الطريق لأمر أيتها الفأر الأسود
المتهافت .

وجاء الدور على القطة السوداء لتضحك ، فضحكت وقالت : - أولاً
الفأر فى الغالب أبيض اللون أكثر منه أسود ، إذن فالفأر هو أنت ،
ثانياً : لا تحدثى جلبة وضوضاء فيستيقظ الناس ويجيئون لضربنا
ضرباً مبرحاً ، أنا شخصياً لا أفزع من الجلبة والضوضاء ولن أراجع ،
وسأبقى فى مكانى حتى يفرغ صبرك وتراجعى وتذهبين إلى حال
سبيلك .

هدأت القطة البيضاء قليلاً وقالت : أنا التى يفرغ صبرى ؟ لقد كنت
أود أن تأتى إلى مسمط "حسن الأكارعى" عند الظهر فترين كيف
انتظرت ثلاث ساعات لاتطرف لى عين وقابعة أمام جحرفأر
ولم تنبس القطة السوداء بحرف وكانت قد قبعت هادئة تحملق ،
وقبعت القطة البيضاء أيضاً ولم تقل شيئاً . وتناهى إلى الأسماع بكاء
طفل ، ثم انقطع ، ثم عاد صرير الجنادب وخشخشة الزهور التى
كانت منهمكة فى التفتح .

مكثت كل من القطتين تحمقان فى بعضيهما لمدة دقيقتين ولم
تستسلم إحداهما ،

ولكن من الواضح أن صبر كليهما كان قد فرغ ، وكانت كل واحدة
منهما تريد أن تبدأ الأخرى بالكلام .

فجأة مادت القطة البيضاء قائلة : - وجدت حلاً

فقالت القطة السوداء : أى حل ؟

قالت القطة البيضاء : - إن لدى عملاهما ، هما جداً ترجعين أنت

آخر الجدار ثم أتى وأنا وأمر ، ويعد ذلك تذهيبن أنت .
 ضحكك القطة السوداء وقالت : - عجباً لهذا الحل ! أنا نفسى لى
 عمل مهم وسريع وفورى ، فلن أستطيع التوقف ولو لنصف ثانية .
 قالت القطة البيضاء بدهشة : ثانية لا تتفاهمين !! قلت لك لى عمل
 هام ، وافقى ، وابتعدى عن طريقى .
 قالت لها القطة السوداء بصوت أكثر حدة : مياو !! من تكونين حتى
 تأمرينى ، إفهمى ما تنطقين به !!
 زامت القطة البيضاء ، وتحفزت وماءت بحدة : مياو ، أنا أفهم
 كلامى جيداً ، إنك أصلاً عنيدة ، فلا بد أن أذهب إلى بيت "حسن
 الأكارمى" فإننى أشم رائحة لحم الرأس والإكارع من هنا ، أفهمت
 الآن أى عمل ضرورى لى؟
 زامت القطة السوداء وماءت قائلة : - أعتقدين أننى أتسكع عبثاً
 على جدران الناس؟ فأنا أيضاً شممت رائحة "القرمه سبزی" وأنا
 جائعة جداً . وإن وقفت فى طريقى ثانية فسأضربك حتى تسقطى
 أسفل الجدار ويتحطم مخك .
 لم تستطع القطة البيضاء أن تكبح جماح نفسها وماءت قائلة :
 مياو !! إنتحى جانباً أيتها الصمقاء !! ... بيف بيف ! خذى ...
 ودفعة واحدة مدت مخالبها ومزقت شعر رأس القطة السوداء فتطاير
 فى الهواء ، وأخذت كل منهما تزوم على الأخرى ، واشتبكتا وأخذت
 كل منهما تكيل السباب والفحش على رأس الأخرى . إذ جاء
 شخص من أسفل السور ، وسكب عليهما ماء بارداً ، فاضطربت
 كلتاهما وعادتتا مسرعتين وقرتا هاريتين .
 وهربت كل منهما من الطريق الذى كانت قد أتت منه ، دون أن تنظر
 خلفها .

٨- دوميرو المكنون

فى يوم من الأيام كان هناك بين قوم الغز بطل يدعى "دومرول ديوانه سر"، كانوا يطلقون عليه "ديوانه" بمعنى المجنون لأنه فى طفولته كان قد قتل تسعة من الثيران الوحشية، كما قام بأعمال بطولية أخرى كثيرة، أما الآن فقد أقام جسرا على مجرى نهر جاف وأخذ يجبر القوافل والعابرين على أن يمروا من فوق جسره مقابل ثلاثين قطعة فضية لكل من يعبر، وكان يضرب كل من كان يمتنع ويريد أن يعبر من طريق آخر ضربا مبرحا بالهناء والشفاء، ويأخذ منه أربعين قطعة فضية ويعبر.

ألم تكون تسألون أنفسكم قط لماذا كان يفعل "دومرول" هكذا ؟ كان "دومرول" نفسه يقول : أريد أن يظهر بطل قوى يتمرد على ويقاثلنى فأطرحه أرضا ويذاع خبر بطولتى فى جميع أنحاء العالم وتتناولها الألسن، هكذا كان "دومرول" بطلا شجاعا.

ذات يوم جاءت إحدى الجماعات وضربت خيامها على حافة جسره ومن بينها شاب معروف بحسن خلقه وبطولته، وذات يوم مرض فجأة وفاضت روحه، وتعالى الصياح والصراخ والعويل حتى وصل إلى عنان السماء، كان أحدهم يصرخ قائلاً وهو يشهد شعره : واحسرتاه يا بنى، وكان آخر يقول : واحسرتاه يا أخى، وهو يحثو التراب على رأسه، أخذ الجميع يبكون ويولولون ويذكرون اسم ذلك البطل.

عاد "دومرول" من الصيد - فجأة - فسمع صوت النواح والعويل، فغضب وصاح قائلاً : أيها الخبثاء، لماذا تبكون ؟ ما هذا النواح والعويل بجوار جسرى ؟

تقدم كبار الجماعة وقالوا : - أيها البطل لا تغضب، كان لدينا شاب شجاع مات اليوم فحسب ورحل عنا، ولذلك ترائنا نبكى.

سلّ "دومرول ديوانه سر" سيفه وصاح قائلاً : من قتله ! من تجرأ
ليقتل بجوار جبرى ؟

قالوا له : أيها البطل ، لم يقتله أحد ، فقد أمر الله "عزرائيل" ذا
الأجنحة الحمراء ، وقبض روح ذلك الشاب .

صاح "دومرول ديوانه سر" بغضب : من عزرائيل هذا ؟ أنا لا أعرف
عزرائيل ولا غيره ، يارب استحلفك بأن ترسل عزرائيل هذا إلى
ولتجعلنى أراه حتى أصارعه وأسحقه وأبدى رجولتى ، وأسترد منه
روح هذا الشاب البطل ، فلا يقتل بعد ذلك شخصاً غدرأ ، ولا يأخذ
أرواح الأبطال الشجعان مرة أخرى .

- عاد "دومرول" إلى بيته بعد أن أتم حديثه هذا .

غضب الله من كلام "دومرول" وأمر عزرائيل قائلاً : - يا عزرائيل
أرأيت ما قاله هذا المجنون الخبيث ؟ إنه يكفر ولم يشكر قدرتى
ووجدانيتى حق شكرها ويريد التدخل فى أمري ، ويفخر بنفسه كل
هذا الفخر .

قال عزرائيل : - مرنى يارب أن أذهب وأقبض روحه حتى يثوب إلى
رشته ويعرف معنى الموت .

أمر الله عزرائيل قائلاً : يا عزرائيل إهبط الآن ، وأظهر نفسك أمام
هذا المجنون وأدخل الرعب فى نفسه ثم أقبض روحه وعد بها إلى .

قال عزرائيل : سأذهب الآن إلى "دومرول" وألقى نظرة عليه سيهتز
من رؤيتى مثل شجرة الصفصاف ، ويشحب لونه ويصبح مثل لون
الزعفران .

كان "دومرول ديوانه سر" جالسا في منزله مشغولا بالحديث مع أربعين من أبطاله المصطفين يتحدثون عن صيد الأسود والنمور ومن بطولاتهم بينما كان الحراس فى الخارج يحرسون الأبواب - وفجأة ظهر عزرائيل أمام "دومرول" ولم يره أحد من الحراس ، ظهر فى صورة شيخ قبيح دميم لدرجة أن أسد الأدغال نفسه يموت هلعاً من رؤيته، وكانت عيناه العمشاوان تنفذان إلى القلب.

وبمجرد أن رآه "دومرول" أظلمت الدنيا أمام عينيه، وفقد السيطرة على يديه فأخذتا ترتعدان وتمررعيشه ، فصرخ وتعالص صيحاته - الآن أنظر لترى ماذا قال "دومرول" :

أيها الشيخ المخيف من أنت !! بحيث لم يرك حراسى ؟ لقد جعلت ما أمام عيني مظلماً ، وجعلت يدي ترتعدان ، يا ذا اللحية البيضاء ، قل ... حتى أرى من أنت الذى بعثت الرعدة فى جسدى وألقيت بكأسى الذهبى على الأرض؟ أيها الشيخ الأعمش قل ماذا تفعل هنا وإلا سوف أنهض من مكانى وأمطر رأسك بالبلايا ، فتصبح قصة تتناولها الألسن .

كان "دومرول" فى قمة غضبه وشرع بمضغ شاريه ، وهو يضغط بيده على مقبض سيفه ، والأبطال الآخرون جالسون فى صمت وهم على يقين أن هذا الشيخ لن يفلت حيا من يد "دومرول" مطلقاً .

ولما انتهى "دومرول" من كلامه ، قهقه عزرائيل وقال : أيها المجنون الضبيث! ألم تعجبك لحيى البيضاء هذه ؟ فلتعلم أننى قبضت أرواح كثير من الأبطال ذوى الشعور السوداء ، لم تعجبك أيضاً عيني

العمشاء أليس كذلك؟ فلتعلم أيضاً أننى قبضت ارواح كثير من البنات والعرائس الشاببات نوات العيون الساحرة ، وألبست كثيراً من الأمهات والأزواج ثياب الحداد .

لم يكن صوت يصدر عن أحد ، وكان فم " دومرول " قد أرغى وأزید من كثرة الكلام ويريد بأسرع ما يمكن أن يُعرف الشيخ نفسه ، كى ينهض ويضربه بسيفه فيشطره نصفين ، وصاح قائلاً : - أيها الشيخ قل ما اسمك حتى أعرف من أنت وإلا قتلتك بدون معرفة اسمك أو كنيته ، لقد عيل صبرى .

قال عزرائيل الآن ستعرف من أكون ! أيها المجنون الخبيث ، أتتذكر أنك تفاخرت بنفسك وقلت لو أننى أرى عزرائيل ذا الجناح الأحمر لقتلته وخلصت أرواح الناس منه ؟

قال " دومرول " : أكرر ذلك أيضاً ، لو وقع عزرائيل فى يدى سوف أقتل أجنته وأدق رأسه .

قال عزرائيل : أيها المجنون العنيد ، الآن لقد جئت لأقبض روحك ، فهل ستعطينى روحك أو تدخل معى فى حرب ضروس ؟

عندما سمع " دومرول ديوانه سر " نهض وصاح ، أه : أأنت عزرائيل ذو الجناح الأحمر ؟

قال عزرائيل : نعم ، أنا .

قال " دومرول " : - لكن أين أجنتك ، أيها الشقى .

قال عزرائيل : إن لى ألف شكل .

قال " دومرول " : - أتقبض أرواح كل هؤلاء الأبطال والعرائس أيها الجبان ؟

قال عزرائيل : صدقت ، الآن جاء دورك أيضاً
صاح " دومرول " قائلاً : - يا سيئ الطوية كنت ابحث عنك فى
السماء ، فوقعت بين برائتى فى الأرض ، الآن سأعلمك كيف تقبض
الأرواح؟

وبعد أن أنهى " دومرول " كلامه أمر الحراس قائلاً : - أيها الحراس
أغلقوا الأبواب ، وانتبهوا حتى لا يهرب هذا المردوم الهمة .
وأثناء حديثه استل " دومرول " سيفه وأشهره وهجم على عزرائيل ،
فتحول عزرائيل إلى حمامة وطار من كوة ضيقة بالسقف واختفى ،
فضرب " دومرول " كفاً بكف وقهقه وقال للأبطال : - أرايتم كيف أن
عزرائيل خاف من ضربة سيفى وفر هارباً ، ومن شدة فزعته ترك
الباب المفتوح واختفى فى الجحر مثل الفأر ، لكننى لن أكف يدي
عنه ، انهضوا يا أبطالى سوف نذهب فى أثره وأقسم أنى إذا لم أصده
بصقري فلن أتركه يهدأ ويرتاح أبداً .

وانطلق الأبطال الأربعون مع " دومرول " ممتطين جيادهم فى أثر
عزرائيل ، وكان " دومرول " واضعاً صقر صيده على ساعده منطلقاً
بجواده فى إثر عزرائيل ، وكلما رأى حمامة انقض عليها ، ولكنه لم يكن
يجد عزرائيل !!

وفى العودة صار وحيداً وكان يسير فى طريق غير مطروق ربما يسلك
بعزرائيل فوصل إلى جوار حفرة - وفجأة - ظهر عزرائيل أمام عين
حصان " دومرول " وكان الحصان يخب فجفل فجأة ورفع " دومرول "
وألقي به فى الحفرة وانحنت رأس " دومرول " ، سوداء الشعر وبقيت
معوجة ، فنزل عزرائيل إليه ووضع قدمه على الفور على صدر

"دومرول" الأبيض وجلس على صدره وقال له : - يا "دومرول ديوانه سر" ما قولك الآن ؟ الآن ها أنا أقبض روحك ، لماذا تعريد وتحدث من بطولاتك ؟

أجاب "دومرول" وكان صوته قد تحسّر قائلاً ، يا عزرائيل لم أكن أعرف أنك غير متسامح هكذا ، وأنت تزهد الروح مثل قطاع الطرق وتطعن بالخنجر فى الظهر هكذا ...
قال عزرائيل ، لا تهنى ! إذا كان عندك كلام معقول فقل لأنك تحتضر.

أصبح "دومرول" البطل الشجاع المقدام الشهم أسيرا لمخلوقا غير متسامح ، يتلون فى الف شكل ويزهق الروح كقطاع الطرق ويطعن فى الظهر ، أصبح "دومرول" ذلك البطل الحر الآن فى حالة يرثى لها وأخذ قلبه يدق بشدة ولم يكن يريد الموت ، بل يريد أن يعيش حياة مليئة بالفرح والسعادة له وللجميع بل يوفرها هو للجميع ، ذلك الرجل الذى كان يضحى بروحه ونفسه من أجل قومه وهو الذى جلب السعادة لموطنه .

أخيرا ، قال "دومرول" يا عزرائيل ، إمنحنى فرصة لمدة دقيقة واحدة واستمع وانظر ماذا أقول : - فى أرضنا الجميلة جبال ضخمة ذات قمم ثلجية وشاهقة الارتفاع لدرجة أن نبال بطل مثلى لا تصل إلى قممها ، وأسفل جبالنا هذه حدائق غناء مملوءة بالأشجار وخاصة أشجار الكروم التى تثمر العنب الأسمر فكم هو طيب ولذيذ ونظيف ونقوم نحن بعصره وتعبئته فى جراره ونتركه حتى يصبح شرابا ثم نشربه ونسكر ونفقد الوعي تماما ونشعر أننا أصبحنا أقوياء ، ونظل

نصرخ صرخات مدوية تجعل أسد الأدغال يرتعد من شدة الخوف ويقشعر الشعر على جلده . لقد شريت من هذا الشراب وغبت عن الوعي ولم أعرف ماذا قلت ، حتى غضب الله على ، فإننى لم أمل البطولة ، ولم أشبع من الحياة ، ومن ثم فإننى أخشى الموت ، لا أريد أن أموت ، إننى أرغب فى الحياة ، لأحقق بطولات وأقدم الإحسان ، يا عزرائيل النجدة ، لا تقبض روحى ، اتركنى فى حالى واهب وأقبض أرواح الذين يبحثون عن سعادتهم على حساب شقاء الآخرين ، ويحصلون على خبزهم على حساب الجوعى ، إذهب ...

قال عزرائيل :- لا تهذ يا وقح، فإننى أشتم رائحة الكفر فى توسلك ، فلا تتوسل بى فأنا مخلوق عاجز مثلك ، وليس بيدى شئ فأنا فقط أنفذ أوامر الله .

قال " دومرول " :- هل يقبض الله أرواحنا ؟

قال عزرائيل : حقا . هذا الأمر ليس لى به علاقة .

قال " دومرول " :- إذن لماذا تزج بنفسك ؟ أغرب من وجهى أنت وسأدبر أمرى بنفسى .

نهض عزرائيل من فوق صدر " دومرول " ، ولكنه ظل يضغط بقدمه على صدره الأبيض فضاق نفس " دومرول " وأخذ عزرائيل يشعر بضربات قلبه تحت قدمه فأيقن أنه خائف .

بسط " دومرول " قدمه المكسورة ونظف جبهته من الدم وقال :-

يارب ، لا أعرف من أنت ؟ وماذا تكون ؟ وأين أنت ؟ فالجهلاء يبحثون عنك كثيرا فى السماء وفى الأرض ولكنهم لا يعلمون قط أنك فى قلب البشر، إذا أردت أن تأخذ روحى فخذها أنت ، ولا تدع

عزرائيل هذا الذى لا يرموى يقبضها .
قال عزرائيل : أيها المسكين ، أشتم رائحة الكفر أيضاً فى الإلتماس
والدعاء ، ألا ترغب فى الخلاص ؟
اعجب الله بكلام " دومرول " وأمر عزرائيل قائلاً : يا عزرائيل ليس
هذا شأنك قل لـ " دومرول " أن يبحث عن روح أخرى ليعطيها لى ، ولا
تقبض روحه .

قال عزرائيل : يا رب ، هذا الإنسان وقع ، وتركه لنفسه أمر غير
طيب .

أمره الله قائلاً : يا عزرائيل : لا تتدخل فى شأنى مرة أخرى
رفع عزرائيل قدمه من على صدر " دومرول " وقال له : - إنهض ، وإن
تستطيع أن تدلنى على روح أخرى بدلا من روحك ، فدلنى وسوف
أتركك لحالك .

تحرك " دومرول " البطل ونهض ووقف على قدمه المكسورة ، وقال :
أرأيت يا عزرائيل كيف تخلصت منك ؟ تعال لنذهب إلى أبى المسن ،
فهو يحبنى كثيرا ، ويفدينى بروحه .

تقدم " دومرول " ديوانه سر " ومن خلفه عزرائيل وذهبا إلى الشيخ ، كان
أبوه يدعى " دوحا قوجا " . وعندما رأى " دومرول " ورأسه ووجهه
يدميان صاح قائلاً : - يا بنى ماذا حل بك ؟ أين جوادك ؟ من هذا
الذى يُسمر عينيه على هكذا !!؟

إنحنى " دومرول " وقبل يد أبيه وقال : - يا أبى ، أنظر ماذا حل بى
لقد كفرت فغضب الله على ، وأمر عزرائيل بأن يهبط من السماء
ويقبض روحى . ووضع عزرائيل قدمه على صدرى الأبيض ، وجعلنى

أغرغ وأراد أن يقيض روى ، الآن يا أبى أتعطى روحك لعزرائيل ، حتى يتركنى وشأنى ، أم ترغب فى لبس ثياب الحداد فى عزائى وتتحسر على ابنك؟ أيهما تريد يا أبى؟ قرر سريعاً فليس لدينا وقت .

صمت "دوخا قوجا" وغرق فى التفكير ، وفى نفس الوقت عاد أبطال "دومرول" الأربعون وكانوا قد رأوا جواده الجامح الفزع وهو عائد بمفرده ولم يحضر "دومرول" معه ، فقلق الجميع بشأنه ولكنهم كانوا يرون البطل الآن كسيراً جريحاً واقفاً أمام أبيه .

أخيراً تحدث أبوه وقال : - يا "دومرول" يا فلذة كبدى ، يا بنى ، يا بطل ، يا من قتلت فى طفولتك تسعة من الثيران الوحشية ، يا من أنت عماد بيتى وحياتى ، يا ورثة متفتحة بين بناتى وعرائسى الجميلات ، لا أستطيع أن أتركك تسوت ، هذه الجبال السوداء الشاهقة الإرتفاع المتواجعة ملكى ، إذا أرادها عزرائيل قل له أنها ملك له ، وعندى ينابيع مثلجة وخبول أصيلة شامخة رشيقة ، وقطعان من الإبل ، ولدى حظائر مليئة بالخراف والمعز ، إذا أراد عزرائيل كل هذا فجميعه له . وكل ما يلزمه من الذهب والفضة سأعطيه له أيضاً ، ولكن يا بنى الحياة حلوة والروح عزيزة ، ولا أستطيع أن أفرض فيها .

قال "دومرول" : يا أبت ، فليبق كل شئ ملكاً لك ، أريد روحك فقط ، أتعطيها لى أم لا؟

قال "دوخا قوجا" ، يا بنى ، لديك أم أفضل منى ، وأحن منى ، فلتذهب إليها .

كان عزرائيل قد هيا نفسه ليقبض روح "دومرول" ، فقال له
 "دومرول" كف يدك ، أيها القاسى ، ولنذهب إلى أمى .
 وتوجهها إلى أم "دومرول" العجوز ، فقبل "دومرول" يدها وقال لها : -
 يا أمى ، ألم تسألى لماذا كُسرت هكذا ؟ ولماذا جرحت هكذا ؟ وماذا
 حل بى ؟

قالت أمه وهى تنوح ، واحسرتها يا ولدى ، ماذا أصابك ؟
 قال "دومرول" يا أمى ، فرد عزرائيل جناحه الأحمر من السماء العلا
 وانقض على وجهه على صدرى ، وجعلنى أغرغر وأراد أن يقبض
 روحى . وأردت من أبى روحه لكى يتركنى وشأنى ، ولكن أبى رفض ،
 الآن أريد منك يا أمى أن تعطينى روحك ، أم أنك تريد أن تتشهى
 بالسواد فى عزائى وتولولين على وتقولين "وا حسرتها يا بنى ، يا أمى
 ماذا تقولين ؟

وغرقت أمه فى التفكير برهة ، ثم رفعت رأسها وقالت : بنى ،
 يا بنى ، يا نور عينى ، يا من عشت فى أحشائى تسعة أشهر ، يامن
 رضعت من لبنى ، لبتك كنت أسيرا فى قلاع عالية ويروج مشيدة
 لآتال ، كنت أهب لنجدتك ، وأبذل كل ما أملك من ذهب وفضة ،
 ولكن ماذا أفعل فإنك وقعت فى مأزق شديد ، وليس لدى حيلة
 لإنقاذك ، يا بنى الحياة حلوة والروح عزيزة ، ولا أستطيع أن أفرض
 فيها ولا حيلة لى .

وضنت أمه أيضا بروحها . تضايق "دومرول" وتقدم عزرائيل ليقبض
 روحه ، فشار "دومرول" وصرخ فيه قائلاً : كف يدك أيها الغليظ !!
 أعطنى لحظة أمان واحدة ، يا عديم المروءة .

قال عزرائيل وهو يسخر منه : يا بطل الآن ماذا تريد آخرأ ؟ لقد رأيت بنفسك لأحد يريد أن يرحمك ويعطيك روحه ، على كل ، فأكرم لك أن تعطيني روحك بسرعة .

قال " دومرول " : - أتريد أن توقع الحسرة فى قلبى ؟

قال عزرائيل : الحسرة على من ؟

قال " دومرول " : لى زوجة ، ولدى ولدان أمانة فى عنقى ، فلا بد أن أذهب وأودعهما أمانة بيد زوجتى ، بعد ذلك إفعل بى ما تريد .

تقدم " دومرول " وذهب إلى زوجته ، كانت زوجة " دومرول " قد أجلسست طفلها على ركبتيها لترضعهما وهى تداعبهما وتدللهما وكذلك كان الطفلان يداعبان ثديى أمهما وهما يرضعان ، لاهئين وكانت عيناها تضحكان .

دخل " دومرول " ورأى زوجته ، وطفليه وأمتأ قلبه بالفرح والحسرة معاً ، وعندما رآته زوجته وضعت المطفلين على الأرض وتعلقت برقبته " دومرول " وصاحت قائلة:- يا " دومرول " يا ملجأى وملانى يا بطللى ، ماذا بك ؟ لم يعرف قلبك الضيق والغم من قبل ، ولم تهزم من قبل ، الآن لماذا أنت حزين وقلق ، أنظر إلى أطفالك .

نظر " دومرول " لطفليه وهما يتدحرجان على جلد الغزال المفروش على الأرض وكل منهما يداعب الآخر ، وتتعالى صيحاتهما من شدة الفرح وعيناها تبرقان من شدة السعادة .

وظل " دومرول " يحمق فى طفليه برهة ، ثم قال لزوجته : يا زوجتى الجميلة ، يا أم أولادى ، تعلمين أن عزرائيل اليوم قد فرد أجنحته الصمراء فى السماء العلاء وهبط على وجثم هذا القاسى على صدرى ،

وأراد أن يقبض روى الحلوة ، ذهبت الى أمى العجوز ، رفضت أن تعطينى روحها ، كذلك رفض أبى المسن أيضاً وقال لى : - الحياة حلوة ، والروح عزيزة ، لا نستطيع أن نفرط فيها . الآن ، يا امرأتى ، يا أم أولادى ، قد جئت لأودع أولادى أمانة فى عنقك ، ولتكن جبالى الشاهقة السوداء منتجعا فى الصيف لك ، وينابيعى الباردة هنيئة لك ، لدى خيول أصيلة كثيرة فلتركبها! ولتكن بيوتى الفاخرة المذهبة مظلة لك ، ولتحمل قطعان إبلى أحمالك ، وقطعان الأغنام التى لاحصر لها ، هي لك أيضاً ، يا زوجتى يا أم أولادى ، إذا أعجبت بأى رجل من بعدى وتعلق قلبك به فلتتزوجيه ولكن لا تكسرى قلب ولدى فسأدعهما أمانة فى عنقك وسوف أذهب .

تقدم عزرائيل ، ووقف " دومرول " بلا حراك وفجأة قفزت زوجته من مكانها ووقفت حاجزا بين عزرائيل وزوجها ، وصرخت قائلة : - يا عزرائيل ، انتظر ، الآن أنا موجودة هنا ولن أترك زوجى وملجأى وملانى ويطلبى يموت ولا يرى شباب ولديه وبطولاتهم .

فى تلك الآونة اتجهت صوب زوجها وقالت : - يا " دومرول " ، يا زوجى ، يا أبا أولادى البطل ، ما هذا الكلام الذى قلته ؟ يا من منذ فتحت عينى عرفته ، يا من أعطيته قلبى ، ويا من صرت زوجة له بكل حب ، وقنعت به ، وصرت سعيدة معك ، ماذا أفعل من بعدك بالجبال الخضراء؟ فلتكن قبرا لى إذا وطأتها بقدمى ، ماذا أفعل بالينابيع الباردة بعدك؟ فلتكن دما إذا شربت منها جرعة واحدة . ماذا أفعل بعدك بذهبك وفضتك ، إشا تصلح فحسب لشراء كفى ، ثم ماذا أفعل بعدك بالخيول الأصيلة؟ فلتكن حاملة لنعشى إذا

وضعت قدمي في ركاياها . ماذا أفعل بالزوج بعدك؟ فلتدغني حبة
إذا تزوجت، يا زوجي ، ويا أبا أولادي ، أي قيمة للروح التي بخلت
أمك وأبوك المسنان بها عليك ؟ فلتشهد السماء ، ولتشهد الأرض
وليشهد الله ، وليشهد أبطال القبيلة ورجالها ونساؤها أنني أعطيك
روحي بكامل رضائي .

قبلت المرأة زوجها وطفليها ووقفت أمام عزرائيل صامته هادئة ،
فهم عزرائيل أن يقبض روح المرأة ، فتحرك " دومرول " هذه المرة
مسرعاً من مكانه وصرخ قائلاً: يا عزرائيل أيها القاسي القلب ،
لماذا تتعجل لتلبسنا السواد؟ أنتظر، لا زال عندي ما أقول .
عندما رأى عزرائيل ، " دومرول " غاضباً هكذا لم يجرؤ على أن يمد يده
تجاه زوجته وتراجع للخلف ووقف ساكناً.

لم يتحمل " دومرول " البطل العظيم الشجاع رؤية موت زوجته . ففتح
فاه وصرخ بصوت مرتفع جداً : يا رب ، لا أعلم من أنت ؟ وماذا
تكون ؟ وأين أنت؟ فهناك كثير من الأغبياء يبحثون عنك في السماء
ويبحثون عنك أيضاً في الأرض ، ولكنهم لا يعلمون قط أنك موجود
في قلب البشر، يا الله يا ربي ، سوف أشيد بنايات على مشارف
الطرق ، وأشبع الجوعى ، وأكسى العرايا ، وأجلب السعادة للجميع ،
إننى أحب زوجتى ، إذا أردت روحاً فإما أن تقبض روحينا معاً وإما
تتركنا نحن الإثنين!!

سُر الله من كلام " دومرول " وأمر عزرائيل قائلاً له : - أترك هذين
الزوجين فإنهما سيعيشان مائة وأربعين عاماً أخرى ، ولتذهب
وتقبض روحي والدي " دومرول " ثم تعود .

إحتضن "دومرول" زوجته وطفليه وأخذ يقبلهم بشدة . وخيمت
السعادة على الجميع وأخذوا يغنون أغاني البطولة، وينشدون أناشيد
السعادة ويصيحون صيحات الفرح ورقص الرجال والنساء من فرط
السعادة . وتسابقوا بالخيل . وفي غمرة الفرح تقدم "دده قورقود"
شيخ قوم "الغن" ذو اللحية البيضاء ليشاركهما الفرحة .
وقام بنسج قصة عن أحوال "دومرول" وزوجته وألف أيضاً أغنية
بإسميهما حتى يقرأها الأبطال ، ويتعلموا منها العبرة والدرس .

٩- أسطورة الحب

(١)

فى يوم من الأيام ، كان هناك ملك وله ابنة عمرها ست أو سبع سنوات . وكانت هذه الأميرة تمتلك العديد من الجوارى والخادومات ، بينما كان خادم واحد يكبرها قليلاً يدعى "قوج على" . وكان "قوج على" هذا يقوم على خدمتها ، فإذا سقط منديلها وقت تناول الغداء يحضره لها ، وإذا ابتعدت الكرة أثناء اللعب يحضرها لها أيضاً . كانت الأميرة تعشق لعبة "القلة" من بين ملايين الألعاب ، بل كانت تلعبها بشغف شديد . وكانت لعبتها هذه مصنوعة من الذهب والفضة . وكان السبب فى ذلك أن الملك عندما رأى ابنته تلعب هذه اللعبة - لأول مرة - بولع شديد ، جمع صائغة المدينة وأمرهم بأن يصنعوا أدوات هذه اللعبة من الذهب والفضة فى غضون ساعة واحدة . وقد تكلفت هذه اللعبة أكثر من مائة ألف تومان ، كما أن أحد الصياغ لقى حتفه بسبب هذه اللعبة عندما اعتذر عن عدم الحضور لأنه كان يصنع قرطاً لابنته المولودة حديثاً .

وعندما كانت الأميرة تلعب "القلة" ، كان "قوج على" يقف بالقرب منها وينتظر . وكانت الأميرة تضع العصا القصيرة المصنوعة من الفضة على الأرض ثم تضرب عليها بالعصا الطويلة المصنوعة من الذهب فتطير العصا القصيرة فى الهواء . وكانت وظيفة "قوج على" أن يسعى وراء العصا ويحضرها ليضعها أمام الأميرة حتى تضربها مرة أخرى ضربة قوية . ويكرر "قوج على" نفس العمل ، وعندما يحل التعب بالأميرة من اللعب ، كان "قوج على" يذهب ويخبر جوارىها وخادمتها ليأتين ويحملنها على المحفة إلى قصرها . ثم يذهب "قوج

على "ليخبر المسؤول عن خزانة لعب الأميرة حتى يحضروا يأخذ لعبة "القلة" ويضعها فى مكانها بجوار ملايين اللعب ، بعدها يتوجه إلى المسؤول عن خزانة ملابس الأميرة ليحضر لها الملابس الخاصة بتناول الطعام ويضع الملابس الخاصة بلعبة "القلة" فى مكانها . ويذهب "قوج على" بعد ذلك إلى مطبخ الأميرة ويخبره بضرورة حمل الطعام لها بعد لعبة "القلة" . فالأميرة كانت تأكل طعاماً خاصاً بعد كل لعبة .

كان "قوج على" يسعى وراء هذه الأعمال دائماً . وعندما كانت الأميرة تنام ، كان على "قوج على" أن ينام وراء بابها حتى تعلم الجوارى والخادومات والخدم أن السيدة نائمة فلا يسأل أحد منهم عن شئ ولا يتفوه أحدهم بكلمة .

كان "قوج على" ينفذ كل أوامر الأميرة بحب وينجزها على أكمل وجه . لذلك لم تمد الأميرة يدها عليه مطلقاً . وكان "قوج على" يعشق الأميرة ، كان يحبها حباً طاهراً نقياً ، ولم يكن يرى أى عيب فى مشاعره ، لذلك فقد أفضى بسر قلبه للفتاة .

فى أحد الأيام ، كانت الأميرة فى الحديقة تصيد الفراشات ، وكان "قوج على" يقف أسفل الشجرة يراقبها ، وأحياناً عندما كانت الفراشات تحط أعلى الشجرة ، كان "قوج على" يصعد إلى أعلى الشجرة ويهزها حتى تطير الفراشات . وفى إحدى المرات رأت الأميرة فراشة كبيرة ، فصاحت على "قوج على" وقالت له : - تعال وأمسك هذه الفراشة فأنا أخاف منها . أسرع "قوج على" وأمسك بالفراشة ووضعها فى الشبكة . وعندما رفع رأسه رأى الأميرة تقف فى مواجهته . فقال لها وصوته يفيض حناناً : - سيدتى الأميرة ، أنا

أحبك ، وأتسنى عندما تكبر أن تصيرى زوجة لى .
 لم يكمل "قوج على " حديثه حتى صفعته الأميرة صفقة قوية على
 صدغه وصرخت فيه قائلة : - خادم وضيع ، بأى حق تعشقنى؟
 أنسيت أننى أميرة وأنت خادمى؟ إننى لا أقبلك حتى كلباً لى ، يا ابن
 الكلب ، أغرب عن وجهى ، إذهب وقل للخادومات أن يحضرن
 ليحملننى وليخرجنك من هنا ولا أريد أن تقع عيونك القذرة على مرة
 أخرى .

ذهب "قوج على " وأخبر الخادومات، فجئن مسرعات بالحفة ووجدن
 الأميرة غاضبة ، فانهلن على "قوج على " بالسؤال : - ماذا فعلت
 بالأميرة يا ولد ؟

قال "قوج على " : - لم أفعل شيئاً لقد غضبت من تلقاء نفسها ،
 ضريتنى وأغمى عليها ، وقسماً بكذا وكذا !! ولكن من كان يصدقه .
 وفى الحال ، أحضرت الخادومات ماء الورد والعصير وأعدن للأميرة
 رشدها ، ثم وضعنها على المحفة وحملنهما مسرعات إلى القصر .
 وأمرتهن الأميرة بإبلاغ أبيها حتى يأمر الخدم بأن يمسكوا أذن هذا
 الخادم ناكراً الجميل القذر ويخرجوه من القصر كالكلب ، لأنها
 لا ترغب أن تقع عيونته القذرة عليها . وأصدر الملك أوامره فى نفس
 اللحظة ، فأخرجوا "قوج على " فى نفس اللحظة كالكلب ، وسقطت
 الأميرة طريحة الفراش لعدة أيام . وكان الأطباء يسهرون بجوارها
 يوماً . وفى النهاية قالت : - لقد تحسنت الآن ، وصرقت الأطباء .

(٢)

مرت السنون ، وأخذت الأميرة تصبح أكثر غروراً يوماً عن يوم وسنة عن أخرى . ولم تكن قد عيّنت لها خادماً مكان الكلب "قوج على " . وعندما بلغت السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ، أصدرت أمراً بأنه ليس من حق أى إنسان أن ينظر إليها وليس من حق أى إنسان أن يلوّث جسدها الطاهر بنظراته ، وإذا حدث وأخطأ أحد من الخادّمات أو الخدم ونظر إليها ، فإنه كان يُجلد جلداً شديداً ، وإذا فتح أحد منهم فمه أو تفوه بكلمة فإنه يلقى حيا للذئاب الجائعة ، وكانت الأميرة تتمتع عينيها برؤية ذلك المشهد .

وكان الملك يحب ابنته حباً شديداً من أجل أفعالها هذه ، وكان دائماً يقول لها : - يا بنيّتي ، أنا سعيد بك لأنك تشبهيننى .

وهكذا أصبحت الأميرة وحيدة دائماً تتجول فى الحديقة ولا تتحدث مع أحد . وكانت تقول : - لا يوجد أحد جدير بالحديث معى . وقد أقيم للأميرة حوضان كبيران للسباحة فى وسط الحديقة ، كانا دائماً مملوءين : أحدهما بالحليب الطازج والآخر بماء الورد وعطر الورد الأحمر والياسمين وما إليها . وكانت فتاتان من الخادّمات تأتيان فى ساعة معينة إلى حافة حوض السباحة وهما تغضان البصر ، وتنتظران حتى تخرج الأميرة من حوض الحليب إلى حوض ماء الورد ، ثم تخرج وتلف نفسها بالمنشفة . ولم يكن يحق للخادمتين أن تلمسا جسد الأميرة ، وإذا لمس طرف إصبع إحداهن جلدها أو شعرها ، فإنها تسلم إلى الجلاذ فى نفس اليوم ليقطع إصبعها أو يدها .

وإلى هذا الحد ، أخذت الأميرة تُبعد الآخرين عنها ، فضلت وحيدة . ولم تكن تعلم كيف تقضى الوقت ، وقنعت بصيد الفراشات وقطف السورود والاعتسال بماء الورد والحليب واللعب بالألعاب والأكل والشرب ومشاهدة الذئاب . لم يكن أمامها من مفر إلا أن تقضى معظم الوقت فى النوم . ودائماً ما كانت ترى "قوج على" فى الحلم ، حيث كان يأتى ويلعب معها . وفى الحلم كانت الأميرة تسعد بذلك فى البداية ، لكنها سرعان ما تتذكر أنها أميرة وأن هناك فرقاً كبيراً بينها وبين الآخرين . وعندئذ تعود إلى سابق وضعها وتبعد "قوج على" عنها . ولم يكن "قوج على" يعبأ بذلك . وعندما يهيم بأن يمسك يدها ، كانت الأميرة تدفعه بقوة ، وتجاهد فى سحب يدها . وفى النهاية كانت الأميرة تستسلم ، ويصبح بوسع "قوج على" حينئذ أن يمسك يدها ، ثم يشرعا فى اللعب والقفر واصطياد الفراشات . وفى أثناء اللعب ، كان "قوج على" يقول لها : - سيدتى الأميرة ، إننى أعشقتك وأتمنى عندما تكبر أن تصيرى زوجة لى .

وهنا تتذكر الأميرة مرة أخرى أنها ابنة الملك ، فتصفع "قوج على" وتصرخ فى وجهه ثم تسلمه إلى يد الجلاد . وفجأة تستيقظ من النوم على صراخها وصياحها .

كانت الأميرة ترى هذا الحلم دائماً ، ولم تكن تستطيع أن ترى فى الحلم رفيقا آخر للعب . وكان "قوج على" يعاودها فى الحلم كثيراً وهو فى سن الطفولة ووضعها وهياتها ، وكان العديد من أبناء ملوك البلاد البعيدة قد جاءوا لخطبة الأميرة ، ولكنها كانت ترفضهم من قبل أن تراهم قائلة : - أنا لا أحب أحداً إلا نفسى .

(٣)

و ذات يوم ، بينما كانت الأميرة تستحم فى حوض السباحة ،
 جاءت حمامة وحطت فوق شجرة الرمان الموجودة على حافة
 الحوض ، وقالت : - أيتها الفتاة الجميلة ، ما أجمل جسمك ، إنى
 أعشقك ، أرجوك أخرجى من الحليب حتى أراك جيداً .
 قالت الأميرة : - أيها الطائر القذر ، إنى أمرك أن ترحل من هنا ،
 فأنا الأميرة ولا يحق لأى شخص أن ينظرالى . وليس لأى شخص
 الجدارة بأن يتحدث معى .
 ضحكت الحمامة وقالت : - أيتها الفتاة الجميلة ، أعلم أنك منذ فترة
 طويلة لم تحدثى أحداً .
 وفجأة نسيت الأميرة أنها ابنة ملك ، فأصبحت رقيقة ، وقالت : -
 أيتها الحمامة عذبة الحديث أرجوك لا تنظرى إلى فهذا شئ سئ .
 قالت الحمامة : - أيتها الفتاة الجميلة ، ليس بيدى ، لا أستطيع إلا
 أن أنظر إليك ، فأنا أحبك .
 قالت الفتاة : - إذا كنتِ عاشقة حقاً فأخرجى من جلدك حتى أراك
 أنا أيضاً .
 قالت الحمامة : - أيتها الفتاة الجميلة ، هل تقبلين حبى لك ؟ إننى
 أخاف ، فأعطينى ضماناً منك حتى يتقوى قلبى وأخرج من جلدى .
 قالت الفتاة : أيتها الحمامة عذبة الحديث ، أى شئ تريدينه فسوف
 أعطيك إياه .
 قالت الحمامة : أيتها الفتاة الجميلة ، أعطنى نومك

قالت الفتاة : - أيتها الحمامة عذبة الحديث ، فى أى شئ يفيدك نومي؟

قالت الحمامة : - أيتها الفتاة الجميلة ، بعد ذلك ستترين فى أى شئ ينفعنى نومك .

قالت الفتاة : - أيتها الحمامة عذبة الحديث ، نومي ملك لك وفجأة ، قطع هذا الحوار صوت الخادومات القادمات يحملن المنشفة فى أيديهن وهن يطأطن رؤوسهن ويغضضن من أبصارهن ، فقالت الحمامة : - أيتها الفتاة الجميلة ، صار نومك ملكاً لى ، إنى أرى خادوماتك قادمات ، لذا سأذهب الآن ، لكنى سأعود فيما بعد . وقبل أن أمضى سأطلق عليك اسم "قيز خانم" لأنه من العيب أن تكون هناك فتاة بلا اسم .

وتذكرت الأميرة فجأة أنها ابنة الملك ، فأخذت تصيح قائلة : - أيها الطائر القذر ، أى حق لك حتى تتحدث معى؟ أعد لى نومي وإلا أخرجت قلبك وأمعامك من قفاك . ليس لك الحق فى أن تطلق على اسم من فمك القذر هذا . وما إن أتمت قولها حتى كانت الحمامة قد طارت من فوق شجرة الرمان ، وظلت الأميرة فى حالة عصبية ، واشتدت رغبتها فى تقديم ضحايا جدد للجلاد .

(٤)

مضت عدة أسابيع ولم تنم الأميرة دقيقة واحدة ، لم يأت النعاس لعينيها قط . فى البداية ظلت هكذا بلا نوم حتى ظن الجميع أنها أصيبت بالجنون . وظلت بغرفتها كالكلب المسعور تنشب

أظفارها بالبواب والحائط وتسبب الجميع . لم تسمح الأميرة لأحد بالدخول عليها حتى لأبيها ولا للأطباء ، وظلت أياماً وليالي وحيدة تماماً . وفى النهاية تعبت وسقطت مريضة . وفى هذه المرة ، لم يأت النوم لعينها أيضاً . ولم تكن تتحدث أو تتحرك . وكان الأطباء يحضرون واحداً تلو الآخر ولكن لم يستطع أى منهم إبراء الفتاة . وكان الملك قد أصدر أمراً بأنه لا يحق لأى شخص أن يلمس جسد ابنته بيده ، لذلك لم يستطع الأطباء تحديد ما تعاني منه الفتاة . وذات يوم جاء طبيب شيخ ذو هيئة غريبة وقال لهم : - إننى أستطيع تحديد المرض دون أن تلمس يدي جسد المريضة ، كما أستطيع وصف الدواء ، وإن لم أستطيع فاضربوا عنقى .

وأمرهم الملك بأن يحملوه إلى الفتاة ، وظل الطبيب الشيخ جالساً بجوارها يراقبها لفترة طويلة ، ثم قال : - علاجها الوحيد "أسطورة الحب" . لا بد أن يجلس شخص ما عند رأسها ويقص عليها "أسطورة الحب" حتى تشفى وتستطيع النوم . وأمر الملك المنادين بأن ينطلقوا فى جميع أنحاء المدينة ويعلنوا أنه على كل من يعرف "أسطورة الحب" أن يأتى ليقصها على الأميرة وسوف يجزل الملك له العطاء .

وجاء كثيرون ممن يدعون معرفة "أسطورة الحب" طمعاً فى المال . ولكن عندما كانوا يصلون إلى ما خلف ستارة حجرة الفتاة كانوا يضطرون إلى حبك الأكاذيب . لم يكن لحديثهم أى أثر على الفتاة ، ومن ثم فقد أسلمهم الملك جميعاً إلى الجلاذ .

وهنا لم يعد يجرؤ أى شخص على التقدم ، ومضت عدة أيام وظاهر الطبيب الشيخ الغريب مرة أخرى ، وقال للملك : - أى مدينة تلك

التي لا يوجد بها أحد يعرف "أسطورة الحب" ؟ عموماً هناك شاب يعيش فى جبل كذا ، يعرف "أسطورة الحب" . إذهب وأحضره ، ولكن أيها الملك أعلم أنك أن لم تذهب بنفسك لإحضار الراعى فإنه لن ينزل مطلقاً من الجبل .

وخرج الملك ممتطياً جواده ومعه نفر قليل من بينهم الطبيب ، ومضوا فى طريقهم حتى وصلوا أسفل الجبل . ونادوا على الراعى الشاب ، فرد عليهم من أعلى الجبل قائلاً : من أنتم ؟ وماذا تريدون منى ؟ قال الملك : - أنا الملك ، ألم تسمع بأن ابنتى مريضة ؟ أريدك أن تأتى معى من أجلها .

ونسى الملك ما قاله الحكيم ، فذكره الراعى قائلاً : - أتريد "أسطورة الحب" ؟

قال الملك : - نعم ، مثلما قلت ، هناك حكيم شيخ غريب قال أنك تعرفها .

قال الراعى الشاب : - نعم أعرفها .

قال الملك : - إذا شُفيت ابنتى ، فإن لك من الذهب والفضة والثروة ما تشاء .

وقال الراعى بينما كان يهبط من الجبل : - أيها الملك ، لو أنك أعطيتنى مال الدنيا لن أجيء ، إن "أسطورة الحب" تحكى من أجل الحب فقط .

لم ينطق الملك ، ولكنه كان يتمنى من داخل أن يسلم هذا الراعى الوقح إلى أيدي الجلادين . وأرشد الملك الراعى خلفه ، وظل فى سيره حتى وصلوا إلى القصر ، وهناك أجلسوا الراعى خلف الستارة وقالوا

له : - أقصص الأسطورة من مكانك هذا لأنه لا يجب أن تقع عينك على وجه الأميرة . قال الراعى الشاب : - لن يكون لأسطورة الحب أى أثر إذا سمعها أحد غيرى أنا والأميرة ، يجب ألا يكون هنا أحد غيرنا ، فانصرفوا .

ولم يجد الملك مفراً من ذلك ، فأمرهم بأن يخلوا قصر الفتاة ، وبقيت الفتاة والراعى فقط داخل القصر ، وما أن انصرفوا حتى أبعد الراعى الستارة ودخل الغرفة . وكانت الفتاة ممددة فى هدوء ولا تلقى بالاً لأى شخص ولا لأى شئ ، فجلس الراعى بجوار الباب وقال بصوت مرتفع : - أيتها الفتاة الجميلة ، يا "قيزخانم" ، أريد أن أقص عليك "أسطورة الحب" أسمعيني؟ .

وانتبهت الفتاة ويدا لها أنها تعرف ذلك الصوت جيداً ، فحملت فى وجه الراعى الشاب ، وقالت : - نعم ، اسمع ، قل .
وبدأ الراعى فى رواية "أسطورة الحب"

- فى يوم من الأيام ، كان هناك ملك وله ابنة عمرها ست أو سبع سنوات . وكانت هذه الأميرة تملك من الجوارى والخادومات الكثير . وكان لها خادم واحد يكبرها قليلاً ويدعى "قوج على" كان يقوم على خدمتها ، فإذا سقط منديلها وقت تناول الغداء يحضره لها ، وإذا ابتعدت الكرة أثناء اللعب يحضرها لها أيضاً . وكانت الأميرة تعشق لعبة "القلة" وكانت لعبتها تلك مصنوعة من الذهب والفضة . وعندما كانت الأميرة تنام ، كان "قوج على" ينام خلف الباب حتى تعلم الجوارى والخادومات والخدم أن السيدة نائمة فلا يتكلمون ولا يسألون عن شئ . وكان "قوج على" يمثل لكل أوامر الأميرة بحب ، بل

ينجزها على أكمل وجه . ولذلك لم تتدد يدها عليه قط . كان "قوج على " يعيش الأمير ويحبها حبا بسيطا نقيًا . ولم يكن يرى أى عيب فى مشاعره ، كما لم يرى أى عيب فى أن ينتهى ذلك الحب بالزواج . وعندما كانا معا فى الحديقة وكانت الأميرة تصطاد الفراشات أو تلعب "القلة" ، كان "قوج على " يشعر بسعادة غامرة . ولم يكن يشبع من رؤيتها مطلقا ، وكان يتمنى من كل قلبه أن تسمح له الأميرة بأن يمسك يدها ويسيرا سويا ويصطادا الفراشات معا . ولكن الأميرة لم تكن تبدي إعجابها بأى شخص . وكانت تطلق على الخادومات والخدم لفظ "الكلاب" ، ولم تكن تأذن لهم بالدخول إليها ، وكان "قوج على " يحيا حياة سعيدة وبسيطة على هذا النحو حتى اليوم الذى رأى فيه أنه لن يستطيع إخفاء سر حبه عن الأميرة . فى ذلك اليوم قال "قوج على " للأميرة وهى تصطاد الفراشات: - سيدتى الأميرة ، إنى أعشقتك ، وأسنى عندما تكبر أن نتزوج . وغضبت الأميرة من ذلك الكلام وصفعت "قوج على " ثم أبعدته من أمامها وطردته كالكلب ، ولم تفكر مطلقا فى البلايا التى حلت برأسه .

سكت الراعى الشاب ، وقالت الفتاة : - أيها الراعى ، قل ماذا حدث بعد ذلك .

قال الراعى : - أيتها الفتاة الجميلة ، هل فكرت فيما حل برأس "قوج على " من بلايا ؟

قالت الفتاة : - لم أفكر مطلقا فيما حل برأس "قوج على " من بلايا ، هل تعرف ما وصل إليه حاله مؤخرا ؟ أكمل الحكاية .

نهض الراعى وجلس بجوار فراش الفتاة ، وأمسك بيدها وهو يواصل
حكاية "أسطورة الحب" :

- كان أبو "قوج على" يعمل راعيا ، فتوجه "قوج على" على قدمه إلى
الصحراء وذهب باحثا عنه وجده أعلى الجبل . وكان الرجل يشعر
بوهلة المرض وهوانائم فى مغارة الخراف ، حيث كانت تعيش معه
ابنته التى يناهز عمرها عمر أخيها "قوج على" والتى كانت دائما
تأخذ الخراف للمرعى . وقد سر الأب من رؤية ابنه وقال
له : - من عجب أنك أتيت فى هذه اللحظة ، فإننى أحتضر ، لا تترك
أختك بمفردها

حتى لا تشعر بالوحدة .

ومات الأب ، ودفنه ابنه فى نفس المكان بقمة الجبل ، وعادت أخته
عصرا فوجدت أخاها مكان أبيها ، وأخذا يكيان أباهما معا ثم زما
وردا وشجرة على قبره .

مرت أيام وأسابيع وشهور وسنون ، وبلغ "قوج على" وأخته السابعة
عشرة من عمريهما . وأخذا يجويان الصحراء لترعى خرافهما فى
أحسن الأماكن . وفى الليل كانا يتركانها مع الكلاب فى المغارة . وفى
فصل الشتاء فقط ، كانا يذهبان أحيانا إلى المدينة . عندما تكون
الخراف قد دخلت الغار الشتوى وحل أوان عطلتها . كانت أخت
"قوج على" لطيفة كنسيم الربيع ، مضيئة متألقة كشمس الصيف ،
كفأكة الخريف محبة ومعطرة كقمر ليالى الشتاء الصافية الجميلة
، وكشقائق النعمان البرية حمراء الوجه وذات جمال وحشى . ولذلك
كان "قوج على" يناديها بـ "لاله" .

و ذات يوم ، وفى طريق عودتهما بالقطيع ، رأى "قوج على " أن عذرة من القطيع قد فقدت ، فأخذ أحد الكلاب وخرج للبحث عنها فى بعض الجبال ، وفى النهاية رأى العذرة جالسة عند نبع تبكى وكأنها صفاصة ترتعد . وعندما رأى الكلب العذرة ، أخذ ينبج ويقول : - لا تبكى يا عذرة ، لقد جئنا إليك . فرحت العذرة وقالت : - كنت أخاف ألا تبحثوا عنى ، فأصبح من نصيب الذئب ، أشكركما . حل الليل ، ونظر "قوج على " فرأى - من كوة فى الجبل - سبعة خيول بيضاء تهبط من أعلى ، فترك العذرة مع الكلب يسيران فى طريقهما ، واختبأ وراء صخرة وانتظر ، ووصلت الخيول إلى النبع ، وكان على ظهر كل واحد منها قرية ، فملاً كل منهم قريته . وعندما هموا بالعودة ، قال أحد الخيول : - أنا لا أستطيع أن أعيش مرة أخرى فى ذلك القصر . فإما أن أقتل نفسى هنا أو أعود إلى مدينتنا ، وعليكم أيضاً أن تعودوا إلى بنات عمكم .

أخذت الخيول الأخرى تواسيه ، وفى النهاية عادوا معاً ، ونهض "قوج على " خلف الخيول ، التى أخذت تسير وتسير تاركة وراءها العديد من الجبال ، حتى وصلت إلى غابة خالية تماماً حتى من أصغر الطيور والزواحف وحيوانات الرعى . ورأى "قوج على " سبعة قصور جميلة ، حيث دخل كل حصان قصراً من هذه القصور ، وانتظر "قوج على " ، فرأى ست حمامات بيضاوات يهبطن من السماء وتدخل كل واحدة منهم قصراً من القصور . وظل "قوج على " منتظراً ، وبينما هو على تلك الحال ، سمع صوت بكاء ، فأخذ يتفقد القصور السبعة واحدا تلو الآخر بحثاً عن مصدر البكاء ، ورأى فى كل قصر من

القصور فتاة القمر وفتى كالشمس منشغلين بالحديث والضحك ،
أما القصر السابع ، فكان يجلس فيه فتى كالشمس وحيدا مع قطعة
من الحجر الجيري منقوش عليها صورة وردة شقائق النعمان ، وهو
يبكى بحرقة حتى أن بكاءه كان يحرق القلب المتحجر . دخل "قوج
على " على الفتى وألقى عليه السلام وقال : - أيها الشاب لا تبك
فإنك أحرقت قلبي ببكائك .

رفع الشاب رأسه وقال : - من أنت ؟ ومن أين جئت ؟
قال "قوج على " : - أنا أحد الرعاة فى هذه الجبال ، شدنى صوت
بكائك .

قال الشاب : - رأيته فى الصباح عند قمة الجبل . حسنا أنك جئت ،
تعال واجلس فإن قلبى يشترق إلى مسامر .

جلس "قوج على " وقال : - لماذا كنت تبكى هكذا ؟
قال الشاب : - قصتى طويلة ، إذا كان لديك رغبة فى سماعها
أخبرنى

وحينئذ انطلق الشاب يروى ذكرياته :

- نحن سبعة أخوة ، جئنا إلى هذه الغابة منذ يومين لا أكثر ، كنا
نعمل حدادين فى مدينتنا ، وكان أبونا رجلا شيخا يعد من أمهر
صناع السيوف فى المدينة ، كنا فى النهار نعمل حدادين ، وفى الليل
كنا نصنع السيوف سرا فى مكان ما تحت الأرض ، وذلك لان الملك
قد حظر صنع الأسلحة . ولكن عندما كان أهل المدينة يحتاجون الى
السيوف ، كنا نضطر إلى صنعها ليلا ، وكان لدينا فى المحل سندان
أكبر من السندان العادى بعشر مرات أو بعشرين مرة . كنا نحن

الثمانية نلتف حول السندان ونضرب عليه بالمطارق الحديدية الكبيرة . وذات يوم قال لنا أبونا : - يا أبنائي ، إن أجلى يدنو ولكن الحياة ما زالت أمامكم ، وكل منكم يحتاج إلى رفيق وزوجة . وقد حان أوان زواجكم ، لابد أن تتزوجوا من زوجات مثلكم يشمرن عن سواعدهن ويضربن بالطرقة الحديدية الكبيرة ويصنعن السيوف . وبنات عمكم من الممكن أن يصبحن زوجات صالحات ولكن لكي تظهروا جدارتكم بهذا الزواج ، عقدت أنا وعمكم المرحوم امتحاناً لكم ، فقد وضعنا علامة داخل هذا السندان تدل على مكان بنات عمكم . وعليكم أن تصنعوا سيفاً حاداً يمكنه أن يشطر هذا السندان بضربة واحدة إلى نصفين حتى تستطيعوا أن تخرجوا تلك العلامة من داخله .

وبعد عدة أيام ، مات أبونا ، وانغمسنا نحن الأخوة السبعة في العمل ، وكنا نقضى معظم الوقت في مكاننا السرى تحت الأرض نتصارع مع الفولاذ والحديد والطرقة الحديدية ، ولكن جميع السيوف التى صنعناها لم تؤثر فى السندان ، بل كانت تنشطر إلى نصفين . وفى إحدى ليالى الشتاء المظلمة الباردة ، مرق سيف من تحت أيدينا وكسر السندان الحجرى . وخرجت من قلب السندان علبة صغيرة كانت تحوى بداخلها ورقة صغيرة كتب عليها : - أبناء عمنا يا صناع السيوف ، جعلنا فدى لعدة سيوفكم ، تعالوا مسرعين فى أثرنا ، لقد اشتقنا إليكم كثيراً ، لقد زرعنا إحدى الصحراوات الخالية بالأشجار فصارت غابة وكنسناها ورششناها بالماء ونحن فى انتظاركم ، إسألوا أول ورثة تظهر فى الربيع من ورود شقائق النعمان الحمراء

من عنواننا . بنات عمكم.

لا أستطيع أن أصف لك كيف جعلتنا هذه الورقة فى حالة اضطراب ، فأردنا فى نفس الليلة أن ننهض ونذهب فى أثرهن ، ولكننا لم نكن نعلم لهن عنوانا ولم نستطع فى الوقت نفسه ترك عملنا والذهاب وراءهن لأن محاربى مدينتنا كانوا قد طلبوا منا أن نصنع لهم فى اليوم الواحد ألف سيف ، وكان علينا أن ننتهى من صنعها قبل نهاية الشتاء . ويانقضاء فصل الشتاء الطويل ، أتى الربيع متأخرا وازداد قلقنا يوما بعد يوم . وعندما لم تعد الثلوج تتساقط مرة أخرى ، رأينا أعلى التل زهرة من زهور شقائق النعمان حمراء اللون كبيرة الحجم ولها خال أسود كبير على صدرها . وسألنا الزهرة يا زهرة الشقائق : - أين نجد بنات عمنا ؟ أخبرينا عن عنوانهن . واعتدلت الزهرة من انحناءتها وقالت لى : - يا ابن العم ، قبلنى أقول لك ، فانحنيت وقبلتها ، عندئذ قالت الزهرة : - مر الشتاء هذا العام بصعوبة وتأخر الربيع ، وبنات عمكم كن فى قمة القلق والاضطراب ، وسيظلن هكذا ، وإن لم تصلوا إليهن سريعا ربما يقتلن أنفسهن ، سأعلمكم كيف تتخفون فى جلد الحمام تارة وفى جلد الحصان تارة أخرى حتى تصلوا إليهن بسرعة .

بعد ذلك أرشدتنا زهرة شقائق النعمان على عنوان البنات وعلمتنا كيف نتخفى فى جلد الحمام تارة وفى جلد الحصان تارة أخرى . وكان آخر كلامها معى أن قالت لى :- يا ابن العم ، أتمنى من كل قلبى أن تقطفنى وأن أكون معك ، ولكن ماذا أفعل ويذور شقائق النعمان قد يبست بفعل الشتاء ، وأنا إن ذهبت فلن يلبس هذا التل

ثياباً حمراء . أريد منك ألا تقطعنى حتى أنثر بذورى فى كل مكان
وأملأ التلال مرة أخرى بشقائق النعمان ، وأجعلها كلها حمراء .
وتركنا الزهرة وعدنا إلى البلدة حتى نسلم السيوف المطلوبة منا ، ثم
ذهبنا فى طريقنا متخفين فى جلد الحمام . وبعد ذلك ، تعبنا من
الطيران فتخفينا فى جلد الخيول ومضينا ، فعبرنا البحار والجبال
والصحارى ، وفى النهاية وصلنا بالأمس عصرا إلى هذه الغابة الهادئة
الخالية . ورأينا القصور فدخلناها ووجدنا بها عدة أسيرة فجلسنا
وانتظرنا ، وفى الليل ظهرت ست حمامات بيضاوات جئن من زوايا
الغابة الست . وقد فرحت الحمامات عندما رأيننا ، فهبطن وخرجن
من جلد الحمام فصرن ست فتيات جميلات وقلن لنا : - يا أبناء
العم ، نحمد الله على سلامتكم ، ويعد ذلك نظركم إلى وقلن لى : -
يا ابن عمنا الصغير ، نحمد الله على سلامتكم أنت أيضا ، أختنا
الصغيرة ، زهرة شقائق النعمان قد جفت ، ولولم تفعل أختنا الزهرة
هذا العمل لفقدتمونا إلى الأبد ، فلم يكن هناك أية بذور لتخرج منها
الزهور التى تدلكم على عنواننا ، ولو أن أختنا لم ترق دماءها على
الأرض لنسيت الأرض شقائق النعمان إلى الأبد ، وما كان بوسع
الناس أن يروا شقائق النعمان مرة أخرى .

وعندما سمعت هذا الكلام تخيلت أنى سأجن ، فصرخت قائلاً : إذن
هل كانت زهرة شقائق النعمان الموجودة فوق التل هي زهرتى ؟!
قالت الأخوات : - نعم ، تلك الزهرة الحمراء التى كانت على قمة
التل هي أختنا الصغيرة ، ولم تكن تريد أن يصدق الناس أن زهرة من
زهور الشقائق لم تبقى فى الخلاء ، كذلك كانت تريد أن تملأ التلال

بشقائىق النعمان مرة أخرى وتكسوها باللون الأحمر. نعم ، لقد كان حبها أكبر منا جميعا ، ضحت بنفسها من أجلنا ومن أجل الأرض . وللحظة ، برقت فى رأسى فكرة ، وهى أن أعود وأقطف زهرة شقائىق النعمان ، ولكن تضحية هذه الزهرة كانت عظيمة ، فبقيت ساكنا . وحملتنى بنات عمى إلى قصر زهرة شقائىق النعمان الذى كان خاليا . وفى الليلة الماضية كنا جميعا فى قصر زهرة شقائىق النعمان ، فقال بنات عمنا أن الزهرة تحبنى كثيرا وأنها تقوم بعمل شاق للغاية ، فهى تخرج الماء من نبع فى قمة الجبل من أجل الأشجار . كذلك قالت بنات عمى أيضا أنهن منذ فترة كن قد دعون الحيوانات التى كانت ترعى فى مناطق الصيد الخاصة بالملك لأن تأتى إلى تلك الغابة ، فوافقت الحيوانات على أن تأتى يوم عرس الجميع ، إلا أن أخوتى وبنات عمى أجلوا زواجهم من أجلى ولم يتركونى أعود للمدينة ، واليوم أثقلت على الوحدة فبكيت ، وأردت أن أخفف عن قلبى ، أشكرك لأنك استمعت لشكاوى المؤلة .

* * *

عندما انتهى الشاب من سرد قصته ، قال "قوج على " : - لك الحق أن تبكى ، أنا أيضا كنت عاشقا للأميرة فى وقت ما ، ولكنها طردتني من قصرها ، ولم أعد إليها مرة أخرى . وسأل الشاب : - هل تضايقت منها ؟ قال "قوج على " : - لا ،، إذا رأيته الآن سأحبها مرة أخرى ، فإنها فائقة الجمال ولا مثيل لها . لكنها سيئة الطبع أنانية ، فشعرة واحدة من شعر زهرتك تساوى ألف فتاة مثل الأميرة .

بعد ذلك قال الشاب : - إذن فأنت تعيش بمفردك يا "قوج على" .
 قال "قوج على" : - لا ، أنا أعيش مع أختي لاله .
 قال الشاب : - أقللت لاله ؟ هل هي نفس الفتاة التي كانت ترعى
 الغنم معك ؟
 قال "قوج على" : - نعم ، إنها نفس الفتاة ذات الوجه الأحمر البري ،
 إنها أختي .
 قفز الشاب من مكانه وقال : - يا "قوج على" ، أريد أن أقول لك
 شيئاً ولكني أخاف أن تغضب .
 قال "قوج على" : - أعلم أنك تريد أختي ، فليكن ، إذن فانهض
 ولتذهب الآن ، فإذا وافقت اتخذها لك زوجة ، فإنني أستطيع أن أرعى
 الغنم بمفردى . وفى ذلك الوقت تعلم "قوج على" كيف يتخفى فى
 جلد الحصان والحمام .

فى المغارة ، كانت لاله تمشط لحى العنزات واحدة تلو الأخرى .
 وكانت تقوم بهذا العمل كلما جافاها النوم وبقيت بمفردها . وكانت
 العنزات تجلس بدورها وتستمتع إلى القصة التى تحكيها لاله . وكانت
 الخراف أيضاً تستمتع ، ومما لاشك فيه أن بعضهم كان ينام أو يجتر
 فى هدوء . وكانت الكلاب أيضاً تغفو عند باب المغارة . وعند
 منتصف الليل ، كان القمر ينحنى من أعلى المغارة لكى يبعث ضوءه
 إلى داخل المغارة ويتطلع إلى لاله ويعد قليل يقول القمر لها : -
 إنهضى وأشعلى النار ، فلن أستطيع القاء الضوء أكثر من هذا إن على

أذهب ، ونهضت لاله وأوقدت النار عند باب المغارة فانسحب القمر
بهدهوء من باب المغارة ورحل .

وبينما كانت القصة التى تحكيها لاله توشك على الانتهاء ، دخلت
حمامتان إلى المغارة إحداهما بيضاء ناصعة البياض ، والأخرى
بيضاء ولها خال أحمر فى صدرها وقالت لاله : - أيها الطائرین، لقد
ضللتما طريقكما تقدما إلى .

نظرت الحمامة البيضاء إلى الحمامة ذات الخال وكأنها تقول لها : -
تقدمى إليها لا تخافى ، وذهبت الحمامة ذات الخال وحطت على
يدى لاله . فنظرت إليها لاله وقبلتها وجاءت الحمامة الأخرى أيضاً
وحطت فى حجر لاله . بعد ذلك وضعتهما الفتاة على الأرض وقالت
لهما : - ابقيا فى مكانكما وسأذهب لأحضر لكما الحَب .

وذهبت لاله إلى آخر المغارة ونحت أحد الأحجار جانباً ، فظهرت
فتحة تؤدى إلى مغارة أصغر ، وبمجرد أن دخلتها ، خرجت
الحمامتان سريعا من جلديهما وعندما رأت الكلاب "قوج على"
أنت وجلست أمامه . وعادت لاله وفى يدها حفنة من القمح فرأت
أخاها ومعه شاب جميل فتى يجلسان داخل المغارة وقد اختفت
الحمامتان ، فقالت لاله : - أين كنت يا "قوج على" ؟ لقد تأخرت
كثيراً !

قال "قوج على" : - تعالى الآن لأعرفك بصديقى الجديد ، ثم نتحدث
بعد ذلك ، لقد جاء صديقى إلى هنا فى أثرك .

سكتت لاله للوهلة الأولى ، ثم قالت : - ألم ترياً أين ذهبت
حماماتى ؟

قال "قوج على" : - عندما أتينا طارتنا وخرجتا ، سأذهب لأحضرهما لك ، فالحمامتان لم تستطيعا البعد عن هنا كثيرا ، لتجلسا ولتحدثا معا .

أتم "قوج على" كلامه ، ثم خرج وجلس على مصطبة حجرية ميمما وجهه صوب الخلاء ، ويعد قليل رأى لاله والشاب مقبلين عليه ويمسك كل منهما بيد الآخر . فقال : - مبروك

وقال الشاب : - يا رفيقى ، إذا لم يكن عندك مانع فأنا أريد اصطحاب لاله الآن إلى الغابة حتى لا يقلق أخوتى وبنات عمى على " قال "قوج على" لأخته ضاحكاً : - لاله ، ألا ترغبى فى أن أمسك لك حماماتك ؟

أجابت لاله ضاحكة : - فقد خدمتنى جيداً ، لقد زاد مزاحك الليلة . عندئذ ضحك الثلاثة ، وقال الشاب لـ "قوج على" : - نحن فى انتظارك غدا عصرا ، فلتأتى لغابة عرسنا ، ثم تخفى فى جلد حصان أبيض ناصع البياض وحمل لاله على ظهره وانطلق ، وظل "قوج على" جالسا فى نفس المكان على المصطبة الحجرية مستيقظا حتى صاح الديك بعد ذلك نهض وتوجه لينام بجانب قطيعه .

وفى الليلة التالية ، كانت الغابة تعج بالضوضاء ، حيث أخذت الطيور والحيوانات والمجترات تغد بلا عدد من كافة أركان السماء والأرض . وأخذت تشيد لأنفسها أعشاشاً فوق الأشجار وتحتها على تراب الأرض . وكان الإخوة الحدادون السبعة يلتفون مع زوجاتهم الشابات الجميلات حول مائدة كبيرة يتناولون عشاء ليلة عرسهم .

وكان "قوج على" موجوداً أيضاً . وكانت العرائس والعريسان قد قرروا أن يتركوا الغابة فى منتصف الليل ويودعوا الحيوانات ويعودوا إلى المدينة . وأرادوا أيضاً أن يأخذوا "قوج على" معهم ، لكنه رفض قائلاً: لابد أن أرى خرافى وعنزاتى .

وفى منتصف الليل ، أمسك كل واحد من العريسان السبعة بيد عروسه وتخفوا فى جلد الحمام ثم ملأوا . تجول "قوج على" قليلاً داخل الغابة ، ولكنه لم يستطع أن يخفف من حزنه ووحدته . وفى النهاية ، جلس أسفل شجرة وأخذ يبكى لفترة مما خفف من حمل قلبه ، ثم عاد إلى المغارة عند قطيعه .

* * *

سكت الراعى الشاب مرة أخرى ، وكانت عيناة مثبتتين على عيني الأميرة . كان يريد أن يرى تأثير كلامه فى عينيها . فقالت الأميرة بصوت مرتعش: - قل لى مرة أخرى، قل لى ماذا حدث لقوج على ؟ قال الراعى : - وفى مساء اليوم التالى ، تذكر "قوج على" الأميرة ورأى أنه حتى ذلك الوقت كان لا يزال يحبها من أعماق قلبه ، فقال فى نفسه: - لا أكون راعياً فى الجبال ، إن لم أجعلها تعقل وأجعلها إنسانة ، إنى أعلم تماماً ماذا يجب على أن أقوم به تجاهها حتى تتخلى عن أخلاقها وطباعها الشرسة . لابد لى أن أبعداها بشكل أساسى عن الحياة بذلك الأسلوب .

وعندئذ تخفى "قوج على" فى جلد الحمامة وتوجه إلى حديقة الأميرة ، وظل منتظراً طويلاً حتى أتت وذهبت للاستحمام فى حوض اللبن ، فجلس فوق شجرة الرمان الموجودة على حافة الحوض وقال:-

أيتها الفتاة الجميلة ، إن لديك جسدا جميلا ، إنى أعشقتك ، أرجوك
أخرجى من الحليب حتى أراك جيداً . وأخذت الأميرة تصرخ فى
البداية وتصيح كالكلب المسعور وتسب وتأمّر ، ولكنها بعد ذلك نسيت
أنها أميرة وتذكرت أنها مثل البنات الطيبات فصارت لطيفة
وقالت : - أيتها الحمامة عذبة الحديث ، أرجوك لا تنظرى إلى ، فهذا
عمل سئ . فقال "قوج على " : - ليس بيدي إلا أن أنظر إليك ، فأنا
أحبك .

وقالت الفتاة : - أيتها الحمامة عذبة الحديث ، أنا لا أستطيع أن
أقبل عشق حمامة . إذا كنت عاشقا حقا أخرج من جلدك حتى أراك
أنا أيضاً .

لم يخرج "قوج على " من جلده . وقبلت الأميرة أن تعطى نومها لقوج
على حتى يخرج من جلده . ولكن "قوج على " أخذ نوم الأميرة وطار .
ومنذ ذلك اليوم لم يعرف النوم طريقا لعينى الفتاة . وظلت تعاني
عدم النوم حتى مرضت وسقطت طريحة الفراش ولم يستطع حكماء
المدينة علاجها .

وعندما أصدر الملك أوامره بأنه لا يحق لأى طبيب أن يمد يده القذرة
إلى جسد الأميرة ، تخفى "قوج على " ذات يوم فى صورة حكيم شيخ
غريب الهيئة وذهب إلى الملك ، ثم توجه إلى الأميرة وشرع فى علاجها
دون أن يلمسها . وظل لفترة ينظر إلى الأميرة وكأنه يراقب حركاتها ،
ثم قال بعد ذلك : - إذا سمعت الأميرة "أسطورة الحب" فسوق تشفى .
ولم يكن فى المدينة شخص يعرف "أسطورة الحب" ، فجاء "قوج
على " مرة أخرى فى صورة الحكيم الشيخ الغريب وقال للملك أن

هناك راعيا شاباً يعيش فى أحد الجبال يعرف "أسطورة الحب" جيداً، وأنه إذا جد الملك بنفسه فى طلبه لاستطاع أن يحضره إلى الأميرة.

* * *

سكت الراعى الشاب مرة أخرى وهو ينظر إلى عيني الفتاة الحائرتين ، ثم ضحك وقال : نعم أيتها الفتاة الجميلة ، نعم يا سيدتى "قيز"، هكذا طردنى أبوك ذات يوم كالكلب من قصره ، ثم جاء إلى الجبال وأحضرنى أمامك الآن ، فماذا تقولين ؟
لم تتمالك "قيز خانم" نفسها ، فأجهشت بالبكاء أمامه وقالت : - "قوج على " ، أنا أيضاً نسيت الى الأبد أنتنى أميرة ، وأريدك . لقد فهمت الآن كم أنا فى حاجة شديدة لحبك . خذنى معك ، أريد أن أعيش مثل الجميع .

قال "قوج على " : - ليس من السهل عليك أن تعيشى كبقية الناس ، لأنك ترعرعت فى نعمة وترف . ولكن إذا رغبت فى تلك المعيشة بنفسك ، فبدون شك أنك ستعتادين على تلك الحياة الجديدة .
قالت " قيز خانم " : - ما دمت معك ومع الآخرين ، فسيكون كل شئ سهلاً على . خذنى معك ، لا تترك ، " قيز خانم " ، بمفردها .
مسح "قوج على " دموع الأميرة وأخرج تفاحة من جيبه وقال لها : - أنت متعبة الآن تعالي وكلى هذه التفاحة ، ويعد ذلك ساجئ إليك ، فأنا أعلم أنك ستحبيننى إلى الأبد .

أخذت الفتاة الجميلة التفاحة وأكلتها ، ثم تمددت على ظهرها وأغلقت عينيها واستغرقت فى نوم عميق . ونهض "قوج على " وقبّل

الفتاة فى خدها ، ثم خرج ببطء وقال للملك : - لقد أعدت النوم
لابنتك ، فلا يذهبن أحد منكم إلى القصر لمدة ثلاثة أيام ، وإلا سيصبح
نومها غير مريح . فقط فى اليوم الرابع توجه إليها وأيقظها .

(٥)

فى صباح اليوم التالى وقرب بزوغ الشمس ، جاء "قوج على "
إلى "قيز خانم" فى صورة حمامة ، ثم خرج من جلده وأخذ وريدة حمراء
من أسفل رأس الفتاة ، ففتحت عينيها وضحكت ضحكة ناعمة
هامسة . وقال "قوج على " : - هل نمتِ نوماً مريحاً ؟
فقالت " قيز خانم " : - نعم ، لقد نمتِ نوماً جميلاً كالسكر والعسل ،
الآن هل تأخذنى معك؟ وقال "قوج على " : - نعم ، إنهضى ، فلنذهب
إلى الحديقة لتغتسلى ، ثم نرحل .

كانت الشمس قد سطعت لتوها عندما انطلقت حمامتان بيضاوان
من فوق شجرة الرمان الموجودة على حافة الحوض ، وطارتا صوب
الشمس .

١٠- خوخة وألف خوخة

كانت هناك حديقة مترامية الأطراف بجوار قرية جدباء، وكانت هذه الحديقة عامرة عامرة ومليئة بأنواع متعددة من أشجار الفاكهة وبالمياه الوفيرة . وكانت هذه الحديقة شاسعة ومليئة بالأشجار لدرجة أنك لو وقفت فى أحد أطرافها ونظرت بمنظار، فلن تستطيع رؤية طرفها الآخر.

منذ عدة سنوات كان صاحب القرية (الإقطاعى) قد قسم هذه الأرض إلى قطع وبيعها للقرويين ولكنه احتفظ بالحديقة لنفسه . ومما لا شك فيه أن أرض القرويين كانت وعرة ولم تكن مليئة بالأشجار . وأيضاً لم يكن فيها ماء ، فقد كانت هذه القرية فى الأصل أرضاً كبيرة فى وسط وادٍ بالصحراء مثلها فى ذلك مثل حديقة الإقطاعى . وقد اشترى القرويون من الإقطاعى كمية فى الأراضى الوعرة الواقعة فى أعالي التلال والمحاطة بالوديان وكانوا يزرعونها بالقمح والشعير الذى ينمو على الأمطار.

خلاصة القول دعنا من هذا الحديث فربما كان غير مرتبط بقصتنا ، وكانت قد نمت فى الحديقة شجرتا خوخ . إحداهما أصغر وأصعبى من الأخرى، وكانت أوراق الشجرتين وزهورهما تشبه بعضهما تماماً لدرجة أن أى شخص يمكنه أن يعرف للوهلة الأولى أنهما من جنس واحد .

كانت الشجرة الأولى مطعمة وكانت تطرح كل عام خوخاً ملوناً وكبير الحجم بحيث يصعب الاحتفاظ به فى قبضة اليد ، كما أن قلب الإنسان لا يطاوعه فى أن يقضمه ويأكله .

كان البستاني يقول أن الشجرة الكبيرة كانت عقلة أحضرها

مهندس أجنبي من بلده، ومن المعروف أن ثمار شجرة أنفق عليها هذا
القدر من المال كم تكون غالية الثمن .

وكانوا قد علقوا جذع كل من الشجرتين قطعة من الخشب مكتوب
عليها دعاء (وإن يكاد) حتى تقيهما من الحسد .

أما شجرة الخوخ الأصغر فكانت تطرح كل عام ألف زهرة تقريباً
ولكنها لم تطرح خوخه واحدة، فربما كانت تسقط كل أزهارها، أو أن
خوخها كان لا ينضج بل يصفر لونه ويتساقط، وأخذ البستاني يفعل
كل ما كان فى وسعه ، ولكن شجرة الخوخ الأصغر كانت غير قابلة
للتغيير أساساً، كانت - عاماً بعد عام - تنبت أغصاناً وأوراقاً كثيرة،
ولكنها لم تكن تنضج ثمرة خوخ واحدة برغم العلاج الذى حدث .

وطرأت فى رأس البستاني فكرة وهى أن يُطعم الشجرة الأصغر
ولكن الشجرة أيضاً لم تتغير، وكأن الأمر انقلب إلى عناد وخصومة .
وفى النهاية ضاق صدر البستاني وأراد أن يحتال عليها وأن
يخيفها، فذهب وأحضر منشاراً ونادى على زوجته، وشرع فى شحذ
أسنان المنشار أمام الشجرة الأصغر. ويعد أن شحذ المنشار تقهقر
للخلف ونهض مرة واحدة ورفع المنشار تجاه شجرة الخوخ وكأنه
يقول لها الآن سأقتلعك من جذورك وألقى بك بعيداً حتى لا تلقى
بثمراتك مرة أخرى .

كان البستاني حتى هذه اللحظة فى منتصف الطريق، فجاءت
زوجته من خلف رأسه وأمسكت بيده وقالت : - وحياتى كف يدك ،
أعدك أن ترعى خوخها وتنضجها من العام القادم، وإذا عادت للكسل
مرة أخرى، كلانا سنقطع رأسها ونلقى بها داخل التنور لتحترق

وتصبح رماداً . ولم يغير هذا الاحتيال والخداع والتخويف من سلوك الشجرة .

لا بد أنكم تريدون جميعاً أن تعرفوا ما هورأى شجرة الخوخ الصغرى ولماذا لم تكن تنضج ثمارها . حسناً جداً من الآن فصاعدا سوف تدور قصتنا نفسها حول شرح هذه القضية :

أنصتوا ...

افتحوا أذانكم جيداً فشجرة الخوخ الصغرى سوف تتحدث ، لاتصدروا صوتاً، ولننظر ماذا تقول شجرة الخوخ وكأنها تقص سيرتها. كنا حوالى مائة أو مائة وخمسين خوخه موضوعين فى سلة، وكان البستاني قد كسا جوانب السلة وأعلىها وأسفلها بأوراق الكرمة البيضاء حتى لا تجفف الشمس قشرتنا الرقيقة، وحتى لا يتراكم القراب والغبار على وجناتنا الحمراء . وكان ينسل بصيص من النور الأخضر فحسب من بين أوراق الكرمة الرقيقة ويختلط بوجناتنا الحمراء فيجعل منظرها خلابة .

كان البستاني قد اقتطفنا مبكرا قبل بزوغ الشمس ولذلك كانت أجسامنا باردة ورطبة، وكان برد ليالى الخريف لا يزال فى أجسامنا . وينسل قليل من حرارة أوراق الشجر الأخضر فتلتصق بقلوبنا .

ومما لاشك فيه أننا كنا أبناء شجرة واحدة، وكان البستاني فى كل عام وفى نفس الوقت يقطف خوخات الشجرة الأم . وكان يملأ بها السلة ويحملها إلى المدينة . ومن هناك كان يذهب إلى بيت صاحب الحديقة ويعطيه السلة ويعود إلى القرية مثلما يحدث الآن .

كنت أقول أننا كنا مائة أو مائة وخمسين ثمرة خوخ ناضجة ويضة، وأقول عن نفسى أننى كنت ممثلة بالعصير الطيب اللذيذ . وقشرتى كانت ناعمة ورقيقة وكأنها تكاد تنفجر . كان اللون الأحمر يكاد يقفز إلى وجنتى لدرجة أنك لو كنت رأيتنى لتخيلت أننى خجلة من عريى بالتأكد ، وخاصة أن جسدى كان لا يزال رطباً من ندى الخريف ، وكأننى كنت قد استحمت .

وأخذت نواتى الكبيرة والسميكة تفكر فى حياة جديدة . من الأفضل أن أقول أننى أنا نفسى كنت أفكر فى حياة جديدة ولم تكن نواتى منفصلة عنى .

كان البستانى قد وضعنى على وجه السلة بحيث أكون أول من يظهر وربما كان السبب فى ذلك أننى كنت أكبر الجميع وأنضجهم . مما لاشك فيه أننى لا أركى نفسى ، فهناك مجال لكل ثمرة خوخ لأن تكبر وتنضج وتصبح ضخمة ويضة فيما عدا الثمرات الكسلى التى يخدمها الدود وتسمح له أن يخرق جلدها ولحمها حتى يأكلها حتى النواة .

ولو كنا ظللنا قابعين هكذا فى السلة وذهبنا عند صاحب الحديقة ، لامناص من أننى كنت قد أصبحت من نصيب ابنة الإقطاعى الوحيدة العريضة . كانت ابنة الإقطاعى تقضم قضمة من وجنتى ثم تلقى بى بعيداً . ولم يكن بيت الإقطاعى مثل بيت " صاحبلى " و " بولاد " الذى لم يكن يدخل من بابه ثمرة واحدة من المشمش أو الخيار أو الخوخ بينما كان البستانى يحكى أن الإقطاعى كان يجلب لابنته فاكهة من البلاد الأجنبية ويوصى بأن يحضروا لابنته البرتقال والموز والعنب وحتى الورد بالطائرة . ومما لا شك فيه أن

هذه الأعمال كانت تحتاج إلى نفقات كثيرة ، الآن إحسب أنت كم يتكلف شراء ثياب ومصاريف مدرسة وطعام وإحضار طبيب وممرضة وخدم وشراء لعب إلى جانب رحلات بنت الإقطاعى ونزهاتها . قل عشرة آلاف تومان كل شهر ، مرة أخرى بعدت قليلاً بالحديث عن الموضوع .

عبر البستانى والسلة فى يده من شارع يتوسط الحديقة ، وفجأة وطأت قدمه جحرفاً خرب ، بحيث أوشك البستانى على السقوط على الأرض ، ولكنه احتفظ بتوازنه . فقط اهتزت السلة بشدة ونتيجة لهذا أنزلت ووقعت على الأرض ولم يرى البستانى وتركنى وذهب .

الآن مرة أخرى سلطت الشمس فى الحديقة المترامية الأطراف ، كان القراب ساخناً إلى حد ما ، ولكن الشمس كانت شديدة الحرارة ، وربما لأن جسدى كان رطباً تخيلت أن الشمس كانت شديدة الحرارة .

بدأت الحرارة تترك جلدى ببطء شديد وتتسرب إلى لحمى حتى أن عصيرى أصبح ساخناً هو الآخر ، وعندئذ وصلت الحرارة إلى نواتى ، ويعد قليل أحسست بأنى ظامئة .

عندما كنت لدى أمى كنت كلما شعرت بالظما أشرب من مائها . وكنت أنظر إلى الشمس وهى تسطع على أكثر وتزيد من حرارتى . وأخذت الشمس تسطع على حتى أصبحت وجنتاى شديدتى الحرارة ، وكنت أمتص الماء من أمى وأتغذى منها ، ويسرى العصير فى بدنى ويزداد حجمى ويزداد ، ويوما بعد يوم كنت أزداد حجماً وازداد وأصبح أكثر جمالاً وحمرة وطراوة ، وكانت حمرة أكثر تجرى فى عروقى وجهى ، وكان وزنى يزداد ثقلاً وأحنى ساعد أمى وأقاوم .

كانت أمى تقول : يا بنيتى الجميلة لا توارى نفسك عن الشمس ، فالشمس تحبنا ، والأرض تعطينا الغذاء والشمس تطهيه لنا . إلى جوار أن جمالك مصدره الشمس ، أنظري أولئك الذين يخفون أنفسهم عن الشمس ، فإنهم يذبلون ويجفون . يا بنيتى الجميلة ، إعلمي أن الشمس إذا غضبت من الأرض ذات يوم فإنها لن تشرق عليها ، ولن يبقى كائن حى بعد على وجه الأرض سواء كان نباتا أو حيوانا .

ومن هذا المنطلق كان يمكننى تسليم جسدى للشمس ، وأن أمتص حرارتها وأجمعها بداخلى ، وكنت أرى أن قوى تزداد يوما بعد يوم ، وكنت دائما أسأل نفسى : - لو أن أحدا ذات يوم ضايق الشمس وغضبت منا ، فأى مصيبة ستحل برؤوسنا؟ فى النهاية لم أجد جواباً فسألت أمى : - أمى ، إذا ألم أحد السيدة شمس ذات يوم ، وغضبت علينا ، ماذا نفعل ؟

نفضت أمى الغبار من على وجنتى بأوراقها ، وقالت : - أى أفكار تكن لك؟ من المتعارف عليه أنك بنت ذكية ، فلتعلمي يا بنيتى أن السيدة شمس لا تغضب منا بسبب عدد قليل من الذين يؤذون البشر والمغورين . ولكن من الممكن أن يخبو نورها ببطء ببطء وتقل حرارتها وتموت ذات يوم . وقتها لابد أن نفكر فى شمس أخرى . وإلا سنبقى فى الظلام ونتجمد من شدة البرد ونجف!!
حقيقة فى أى موضع كنت من القصة ؟

نعم ، كنت أقول أن الحرارة وصلت إلى نواتى وظلمات ، وبعد قليل أخذ عصيرى يسخن وأخذ قشرى فى التيبس والتشقق . وجاءت نملة

كبيرة راکضة من الطريق ويدأت تحوم حولی ، فعندما وقعت من السلة على الأرض قد تهرأت قشرتی من موضع ما وسال قليل من عصیری وقلظ من حرارة الشمس، وجاءت النملة الكبيرة وأنشبت كلابتها في العصير وابتلعتته ثم تركتني، وظلت فترة تنظر مندهشة إلى موضع كلابيتها، وانتصب قرناها وثبتت قدميها في الأرض وهكذا أخذت في السحب بقوة لدرجة أنني قلت لنفسی الآن سنقتلع كلابيتها من مكانهما، وضغطت النملة الكبيرة قليلاً ، وفي النهاية استطاعت أن تقتلع قطعة من العصير الغليظ وبعدت عني بسرعة في سعادة .

وفي نفس المكان سمعت صوتا حيث قفز شخصان من أعلى السور داخل الحديقة وجاءا راکضين تجاهی . كانا " صاحبعلی " و " بولاد " وكانا قد جاءا ليشبعا من الفاكهة . لم يكونا يخافان مطلقاً من بندقية البستانی كبقية القرويين . فلم يكن بوسع القرويين أن يطأوا الحديقة مطلقاً . ولكن " بولاد " و " صاحبعلی " كانا يتسكعان دائماً داخل الحديقة بأقدامها الحافية وسراويلهما الممزقة، حتى أن البستانی كان قد صوب خلف رأسيهما أكثر من مرة . ولكنهما أفلتا . في هذا الوقت كان عمر كل منهما يناهز السابعة أو الثامنة .

خلاصة القول أنهما جاءا مسرعين في ذلك اليوم وأسرعا من فوقی وذهبا نحو أمی ، وبعد قليل رأيتهما وهما يأخذان في الرجوع ولكنهما كان في حالة مريرة ، فقد فهمت من كلامهما أنهما غاضبان على البستانی .

كان " بولاد " يقول : - رأيت ؟ هذه آخر فاكهة في الحديقة التي لم

تصبح حتى ثمرة واحدة منها من نصيبنا .
 قال " صاحبلى " : - فى النهاية ماذا يمكننا أن نفعل ؟ فمنذ شهر
 كامل والبستاني الحمار جالس والبندقية فى يده أسفل الشجرة ،
 ولا يتحرك .

قال " بولاد " : - ابن الكلب الملعون ، لم يترك لنا ثمرة واحدة ، آه ، كم
 أنا مشتاق لثمرة واحدة من تلك الثمرات الناضجة ألقى بها قسراً
 داخل فمى ! أتتذكركم من الخوخ أكلنا فى العام الماضى ؟

قال " صاحبلى " : - وكأننا لسنا بشراً ، فهو يقطع كل ثمرة ويحملها
 ويعطيها لهذا الرجل ابن الكلب الذى يطفحها ، كل هذا تقصير منا
 لأننا جالسين نضع يداً فوق الأخرى فقط ، ونتركه ينهب القرية .

قال " بولاد " : - أتعلم يا " صاحبلى " ، إما أن تصبح هذه الحديقة
 ملكاً للقرية أو أننى سأشعل النار فى جميع الأشجار
 قال " صاحبلى " : نشعلها نحن الإثنين .

قال " بولاد " : - لولم نفعل فسنكون بلا نخوة .

قال " صاحبلى " : - لولم نفعل لكننا أولاد حرام .

كان الولدان فى شدة الغضب لدرجة أنهما كانا يدقان الأرض
 بأقدامهم لدرجة أننى خفت من أن يركلانى لكن لا ، لم يفعلا ، كنت
 أمام أعينهم تماماً عندما اخترقت شوكة قدم " بولاد " ، فانحنى
 ليخرجها من قدمه فوقعت عيناها على ، ونسى الشوكة التى فى قدمه
 وحملنى من على الأرض وقال : - " صاحبلى " : أنظر يا
 " صاحبلى " !!

كان الولدان فرحين وأخذنا يتلففانى من يد إلى يد . لم يطاوعهما

قلباهما أن يأكلانى هكذا لأننى كنت ساخنة جداً ، و رغبت فى ان يبردانى ويأكلانى لأننى سأكون تحت أسنانهما حلوة المذاق .

كانت أيديهما المتشققة ذات القشف تخدش قشرتى ، ولكننى كنت سعيدة عندما علمت أنهما سيأكلاننى بلذة شديدة حتى آخر ذرة فى . وبعد الأكل سوف يلعبان شفتيهما وأصابعهما ، وسيظل طعمى اللذيذ لعدة أيام وأصابع تحت أسنانهما .

قال " صاحبلى " : - يا " بولاد " أراهن أننا حتى الآن لم نكن قد رأينا خوخة كبيرة هكذا .

قال " بولاد " : - لا ، لم نر .

قال " صاحبلى " : - لنذهب بجوار البركة ولنبردها ونأكلها ، سيكون طعمها أفضل .

كانا يحملاننى بحذرو كأن بدنى كان مصنوعا من الزجاج الرقيق ، وبحركة واحدة أسقط وأتطم .

كانت حافة البركة ظليلة ورطبة ، لأن أشجار الصفصاف والرمان المطعمة كانت قد ألقت بظلها الظليل عليها . وللوهلة الأولى أحسست برطوبة مريحة فى نواتى . وضعانى بحرص شديد فى الماء ويأيدهما الأربعة الصغيرة ذات الكنف حالا بينى وبين الماء حتى لا يجرفنى ويلقى بى داخل البركة وكان الماء مثلجاً بدرجة كبيرة ، فجلسا قليلاً ثم قال " بولاد " : - يا " صاحبلى " !

قال " صاحبلى " : - نعم ، قل !

قال " بولاد " : - أقول أن لهذه الخوخة سعرا عالياً .

قال " صاحبلى " : - نعم .

قال "بولاد" : - نعم ، هذا ليس رداً ، إذا كنت تعلم قل ما سعرها .
فكر "صاحبعلی" وقال : - أقول أيضاً أن لها سعرا عاليا .
قال "بولاد" : كم مثلاً ؟ !
فكر "صاحبعلی" مرة أخرى وقال : لو بردناها جيداً ، جيداً ، ألف
تومان .
قال "بولاد" : - إنك لم تر نقوداً حتى تتخيل أن الألف تكون نقوداً
أيضاً . قال "صاحبعلی" : - حسناً ، أنت الذى ما شاء الله تجلس
على خزائن ، قل كم .
قال "بولاد" : - مائة تومان .
قال "صاحبعلی" : - الألف أكثر من المائة .
قال "بولاد" : - مت ، لم آت بهذا الكلام من تلقاء نفسى ولكنى
سمعتة من أبى .
قال "صاحبعلی" : - إذا كان الأمر هكذا ، فمن الممكن أن تكون
المائة والألف عدداً واحداً ، أنا أيضاً لا أختلق فقد سمعته من أبى .
لمسنى "بولاد" بهدوء وقال : - تجمدت يداى ، فى رأى حان الوقت
لأأكلها .
لمسنى "صاحبعلی" أيضاً بحذرو وقال : - نعم ، لقد صارت باردة
تماماً .
فى ذلك الوقت أخرجنى من الماء ، وعندما خرجت من الماء أحسست
فى الخارج بالدفع . الآن أردت أن يأكلانى بسرعة لأثبت لهما أن
لذتى تفوق ما يتخيلان . كنت أرغب فى توصيل القوة والصرارة
اللتين كنت قد أخذتهما من أمى ومن الشمس إلى جسدى هذين
الطفلين القرويين .

ويبينما قرر "بولاد" و "صاحبعلی" أكلی ، كنت غارقة فی هذه الأفكار وهی أنه كم من مرة قد تغيرت من حال إلى حال طوال عمري ، وكم من مرة سوف أتعیر. لقد قلت لنفسی : - ذات يوم كانت ذرات جسدی ترابا وماء ، وبعضها الآخر أيضاً كان نور الشمس ، وكانت أمی تمتصهما قليلا قليلا من الأرض وحتى ترفعهما إلى أطراف فروعها . وبعد ذلك طرحت برعماً ، ثم ازهرت وقليلا قليلا تشكلت ، وقليلا قليلا امتصت ذرات جسدی من جسد أمی واختلطت مع ذرات نور الشمس حتى استقامت نواتی وتكونت قشرتی ولحمی وأصبحت خوخة ناضجة ويطخة .

لكنی الآن يأكلنی "صاحبعلی" و "بولاد" ويعد فترة تصبح ذرات جسدی جزءاً من لحمهما وشعرهما وعظامهما . وما لا شك فيه أنهما سوف يموتان يوماً . حينئذ ماذا ستصبح ذرات جسدی ؟ قرر الطفلان أن يأكلانی ، أعطانی "صاحبعلی" إلى "بولاد" وقال :- أقضم قضمة .

قضم بولاد "قضمة وأعطانی إلى "صاحبعلی" وشرع هو الآخر فی مص شفתיه . وقضمنی هو الآخر قضمة وأعطانی إلى "بولاد" . وهكذا قلت لنفسی : - لقد جعلت مذاقی لذيذا تحت أسنانهما .

الآن قد تلاشى جسدی ، ولكن نواتی كانت تفكر فی حياة جديدة . وبعد دقيقة واحدة لم يعد منی ما يسمى بخوخة ، فی حين أن كانت نواتی ترسم خطة فحواها متى وكيف تبدأ فی النمو فأنا فی لحظة واحدة محددة كنت أموت وكنت أحيا .

ولآخر مرة وضعنی "بولاد" داخل فمه ، وامتص آخر ذرات جسدی

وابتلعنى ، وعندما أخرجنى مرة أخرى ، لم أكن خوخة بعد ، كنت نواة حية ذات قشرة صلبة، وكنت قد أخفيت بداخلها بذرة حياة جديدة . وكنت أحتاج فقط إلى راحة قليلة وتراب رطب حتى أشق قشرتى وأنمو.

وعندما لعق الأولاد أصابعهما وشفتيهما عدة مرات قال " بولاد " : -
ماذا نفعل الآن؟

قال " صاحبلى " : - لنمض إلى الماء .

قال " بولاد " : ألن نأكل نواتها ؟

قال " صاحبلى " : - عندى لها خطة ، دعها تنفذ.

تركنى " بولاد " أسفل شجرة الصفصاف وتقهقر قليلا ورجع بحدة إلى الخلف ونهض وألقى بنفسه فى الماء بظهره، وكان قد ضم ركبتيه إلى بطنه وحلق يديه حولها وغاص لحظة واحدة فى الماء ، وأخذ يضرب بيديه وقدميه ثم وقف وارتفعت طبقات الطين الموجودة فى قاع الماء من أطرافه وكان الماء يصل إلى ما أسفل ذقنه، وكانت أعشاب الماء تعلق برأسه وأذنه ووجهه .

قال " صاحبلى " : يا " بولاد " ، حول وجهك صوب الناحية الأخرى .

قال " بولاد " : - هل ستخلع سروالك ؟

قال " صاحبلى " : - نعم ، أريد ألا يعرف أبى أننا جئنا مرة أخرى وسبحنا ، فيضربنى علقه .

قال " بولاد " : - من الآن وحتى الظهر موعد عودتنا إلى البيت لدينا وقت كاف .

قال " صاحبلى " : ألا ترى الشمس فوق رأسك ؟

لم يقل "بولاد" شيئاً آخر، وحول وجهه صوب الناحية الأخرى ،
وعندما سمع صوت سقوط "صاحبعلی" فى الماء ، أعاد "بولاد"
وجهه وعندئذ شرعا فى السباحة والغطس وأخذ كل منهما يرش
الأخر بالماء وبعد ذلك قالاً معاً: ليس هناك وقت. وخرجا ، وعصر
"بولاد" رجلى السروال عدة مرات . عند ذلك أخذانى من أسفل
شجرة الصفصاف وذهبا . وتسلقا سور الحديقة وقفزا الى الناحية
الأخرى وكانت بيوت القرية بعيدة عن حديقة الإقطاعى .

قال "بولاد" : - حسنا ، قلت لديك خطة من أجلها .
قال "صاحبعلی" : - عندما ينتشر الظل أناديك ونذهب ونجلس فوق
التل . وسوف أقول لك أى تصرف لذى لها .

كانت حارات القرية خالية من كل شئ عدا الذباب ورائحة الروث .
وثب كلب قذر من أعلى الحائط أمام أقدامنا وريت "بولاد" على
رأسه ووجهه وانحنى وذهب إلى بيتهم وتبعه الكلب ودخل معه المنزل
أيضاً .

كانت الحارة تصعد إلى أعلى، بحيث أنها بعد أن ترتفع قليلا كانت
الحارة تتساوى مع سقف منزل "بولاد" ، وبدأ "صاحبعلی" طريقه
إلى منزله من نفس مستوى الأسطح ومضى، وكان منزله بعد عدة
منازل إلى أعلى ، فوضعنى فى قبضته وقفز قفزة داخل فناء منزلهم،
وغاصت قدماه حتى ركبتيه فى السجاد اللبل والناعم، والذى كانت
أمه قد وضعت هناك منذ ساعة مضت، ولم يكن "صاحبعلی" على
علم بذلك، فأخذت أمه فى الصياح حيث أخرجت رأسها من فتحة
المنزل وقالت :- أسرع وتعال حتى تحمل لأبيك طعامه .

حملنى " صاحبلى " إلى الحظيرة ، وحفر فى ركن ثقباً داخل الروث ، ثم دفننى فيه ولم أفهم سوى الظلام ورائحة الروث ، ولا أعرف كم ساعة بقيت هناك ، وأوشكت رائحة روث الدواب النفاذة أن تخنقنى ، وفى النهاية أحسست أن الروث يرفع من على وجهى . كان " صاحبلى " قد أخرجنى ، وفركنى بين يديه مرتين ، ومسحنى فى سرواله فأصبحت نظيفة . وذهبنا من نفس الطريق الذى كنا قد جئنا منه حتى وصلنا خلف سطح بيت " بولاد " ، كانت أم " بولاد " وأخته يصنعان من الروث أقراصا خلف السطح ، وكانا يتحدثان مع زوجة جارهم التى كانت تأخذ الأقراص من على الجدار وتضعها فى كومة . سأل " صاحبلى " أم " بولاد " قائلاً : أين " بولاد " ؟

قالت أم " بولاد " : حمل " بولاد " الجدى إلى الخلاء وهو غير موجود فى البيت .

وجدنا " بولاد " أعلى التل ، كان قد ترك جديه الأسود يرعى خلف التل . وكان جالساً مع كلبه وعيناه على طريقنا .

والتفت فجأة فوجدت لون بشرة " بولاد " و " صاحبلى " تماماً مثل لون قشرتى فكلاهما من كثرة ما سارا فى الطريق عاريين تحت أشعة الشمس أصبحا أسودين فاحمين .

قال " بولاد " بنفاد صبر : حسنا ! قل خطلتك .

قال " صاحبلى " : - ألا تريد أن تصبح صاحب شجرة خوخ ؟

قال " بولاد " : - أكون مجنوناً لولم أرد .

قال " صاحبلى " : - إذن لنذهب .

قال " بولاد " : - ماذا نفعل بالجدى ؟

قال "صاحبعلی" : تتركه فى البيت .
 قال "بولاد" : - قالت أمى ألا أعود به حتى تغيب الشمس .
 قال "صاحبعلی" : - تترك الكلب عند الجدى .
 مسح "بولاد" بيده على رأس الكلب وأذنه وقال : - حسناً فلتراقب
 الجدى حتى أعود .
 أخذنا ثلاثتنا نجرى ونجرى حتى وصلنا أسفل سور الحديقة ، وقال
 "صاحبعلی" : - إقفز عالياً .
 قال "بولاد" : الأمر لا يحتاج بعد أن تخفى خطتك . أنا نفسى
 فهمت: تريد أن نزرع نواة خوختنا .
 قال "صاحبعلی" : - هذا صحيح ، فلنزرع نواتنا خلف كومة التراب
 الموجودة فى آخر الحديقة . بعد ذلك تمر عدة سنوات ونصبح
 أصحاب شجرة خوخ . من المؤكد أنك فهمت من نفسك لماذا لن
 نزرعها فى مكان آخر .
 قال "بولاد" : - أعلى التل ، لا تنمو شجرة الخوخ ، فالشجرة تحتاج
 إلى ماء ، وتحتاج أيضاً إلى تربة ناعمة .
 قال "صاحبعلی" : - الآن لا تقرأ مراثية مثل الشيخ ، أنا صاعد إلى
 أعلى لعل البستانى لم يعد .
 لم يكن البستانى قد عاد بعد من المدينة . أخذ "بولاد" و "صاحبعلی"
 يحفران الأرض فى ركن خال فى الحديقة خلف كومة التراب ،
 ووضعانى تحت التراب وأخذنا يسويان التراب بيديهما . وتركانى
 وذهبا .

واحتضنى التراب المظلم الرطب وضغطنى والتصق بجسدى ، ومما لاشك فيه أننى لم أكن أستطيع النمو بعد ، وتلزم فترة من الوقت حتى أجد قدرة النمو.

ومن خلال البرودة التى وجدت طريقها إلى أسفل التراب فهمت أن الشتاء قدحل، وأن الثلج قد غطى التراب، وقد تجمد التراب فوقى بنصف شب، أما تحت التراب فقد كان دافئاً بحيث لا أبرد ولاأتجمد . وعلى هذا النحو توقفت عن الحركة والاهتزاز مؤقتاً، وغرقت فى نوم عميق ولذيد تحت التراب . نمت لأستيقظ فى الريح وأستعد بقوة أكبر، وأشوأخرج من التراب وأصبح شجرة يانعة مملوءة بالفاكهة من أجل " بولاد " و " صاحبلى " . شجرة مليئة بالخوخ الكبير والندى ذي الوجنات الملونة مثل البنات الحسنات الخجالات .

لا يعلق بذهنى الكثير عن الأحلام التى رأيتها فى الشتاء . ما أعلمه فحسب أننى رأيت ذات مرة حلماً أننى قد أصبحت شجرة كبيرة ، وأن " بولاد " و " صاحبلى " يتسلقانى ويهزان فروعى . وأن جميع أطفال القرية العرايا كانوا قد تجمعوا حوالى يتلقفون خوخاتى من الهواء ويأكلونها بلذة ويسيل اللعاب من أفواههم ويببل صدورهم ويطونهم العارية . وأخذ طفل أقرع ينادى على " بولاد " وكان يقول له : " بولاد " ألم تقل لى ما اسم هذا الشئ الذى نأكله ؟ ففى النهاية أريد أن أعود إلى البيت وأقول لجدتى ماذا أكلت . وأكلت منه الكثير أيضاً ولكن من كثرة ما كان لذيذاً، حتى الآن لم أشبع . ومستعد أيضاً أن أكل منه ثانية . وأنا مستعد أن أراهن أننى لم أشبع . كان هناك طفلان أيضاً لم يكن يستر جسديهما شيئاً ، وقد كان

الذباب يحوم بكثرة حولهما بل ويحط على أنفيهما وفميهما . كان الأطفال من كل صوب يسكنون بالخوخ الكبير فى أيديهم، وكانوا يقضونه بلذة وهم يبدون إعجابهم به .
كان هذا أحد أحلامى .

آخر مرة رأيت فى الحلم زهرة اللوز .
كنت قد سقطت مريضة فاقدة الوعي، وفجأة علا صوت هادئ، وأحسست أن روائح معهودة قد صاحبت الصوت، وامتدت إلى ماتحت التراب . قالت الصوت : يا زهرة اللوز تقدمى وانفثى عطرك داخل وجود الخوخة الجميلة، وإذا لم تستيقظ مرة أخرى ، إمسح بيديك على وجهها وجسدها وأتركها تنسم جيداً أريج الزهر . الخلاصة أيقظيها بأسرع ما يمكنك ، فقدحان وقت نموها واخضرارها، وكل النوى آخذٌ فى الاستيقاظ .

كان عطر زهرة اللوز ويدها يتحركان على وجهي وجسدي ، كانا لذيين بحيث أننى كنت أريد أن أظل فاقدة الوعي ، ولكن لم يحدث . عدت إلى وعيى وأردت أن أظهار بفقدان الوعي مرة أخرى ، ولكن زهرة اللوز ضحكت وقالت : كفك دلالاً يا روحى . إن بذرة الحياة كامنة فى داخلك فاتخذتى قرارك بأن تأخذى فى النمو وتصبحى شجرة كبيرة وتؤتى أكلك أليس كذلك ؟

كانت زهرة اللوز مثل عروس جميلة ترتدى ثوباً من الثلج الأبيض النقى وكانت شفتاها فى احمرار الورود . مما لا شك فيه أنى لم أكن رأيت الثلج من قبل وكنت قد سمعت وصفه من أمى عندما كنت ثمرة خوخ .

كنت أريد أن أعرف مع من كانت زهرة اللوز تتحدث من قبل، ومن الذى قد أحضرها فوق إلى رأسى . طوقت زهرة اللوز رقبتى بيديها ، وقبلتنى وقالت ضاحكة: ياله من قوام ضخم تمتلكين بحيث لا تحيط به يدى .

ثم قالت : - كان الربيع هنا أيضاً وقال : هذا أوان النماء والاختضار . وأنا بسماعى، اسم الربيع كأننى كنت نائمة واستيقظت، إذ ظننت أن الربيع قد جاء وولى وأنا لم أشق قشرتى بعد . وبهذا الهاجس فزعت من النوم مندهشة . ورأيت التراب الأسود الرطب يحتوينى ويداعبنى .

وكانت قشرتى مبللة من الخارج بينما تصببت عرقاً من الداخل ، وكانت القطرات تتصبب من أعلى سطحى . وكانت تتساقط من أطراف بدنى وتنساب أسفل جسدى وفى التربة . وكانت هناك عدة حبات من نبات الخمخ تلتف حولى . كانت منهمكة فى بسط جذورها ، وكانت إحداها قد استوت ولعلها كانت قد أطلت من التراب . وكانت جذورها الرقيقة تطل هنا وهناك ، وأخذت تمتص ذرات الغذاء والماء وتجمعها فى موضع واحد وترسلها لأعلى . وكانت هناك بذرة مجهولة قد أنبتت جذراً صغيراً وأحنت رأسها، وأخذت تثقب التراب بصبر وهدوء وتصعد ، إذ كانت قد قررت أن تشاهد بعد يومين بزوغ الشمس .

وكان الجذر الجديد يعبر من تحت جسدى ، وأخذ يتقدم فى كل لحظة ويزداد طولاً ويدغدغنى . وأخذ يقول أنه ينتمى إلى شجرة اللوز الواقعة على حافة الجدول، وأخذ جذر اللوز يمتص رطوبة التراب وذرات الغذاء بكل قوته ويتشريها .

وكان الماء الذى ينساب على وجهى هو الماء الذى كان على وجه التراب وانقطع بعد عدة أيام .

سمعت ذات يوم صوت خشخشة، وبعد قليل قدم إلى سرب من النمل الأسود النشاط الماهر وشرع فى لدغى وعضى . وكان النمل قد جلب حرارة الشمس وهواء الربيع إلى داخل التراب . ومن لدغاتهم فهمت أنهم آخذون فى النقب . ولدغونى لفترة من الوقت ، وعندما رأوا أنهم لن يستطيعوا ثقبى حولوا مسارهم ونقبوا فى مكان آخر . ولم أرهم مرة أخرى حتى أطللت من التراب وصرت شجرة .

كنت قد امتصصت قدرا من الماء بحيث انتفخت وتمزقت قشرتى نتيجة لذلك . ذلك الوقت أخرجت جذيرى على شكل عود أبيض من شق قشرتى . وغرسته فى التراب حتى ينمو ويصبح جذراً لى حتى أستطيع أن أستند عليه وأنتصب . وبعد ذلك أخرجت سويقى ، وعلمته كيف يحنى رأسه ويثقب التراب ووجهه إلى أعلى ويسمق ويذهب ليجد الشمس . وأقصى طرف سويقى كانت توجد برعمة صغيرة ، وبينما كنت أطل من التراب أخذت أجعل منها ساقاً مورقاً حتى يصبح جذيرى جذراً ، ويستطيع أن يجمع الغذاء ، وأخذت أطعم جذيرى وسويقى من الغذاء المدخولدى .

وكان لدى هواء أيضاً داخل التراب حتى لا أختنق . كما كانت حرارة الخارج أيضاً تنفذ داخل التراب .

وفى هذه المراحل أيضاً لم أكن تعبت بعد . وكنت من قبل قد شوت داخل نفسى وأفنيت ذاتى وصرت شيئاً آخر . مما لا شك فيه أننى كنت نواة فى مرحلة ما ، كنت نواة كاملة . ولم أكن بعد أستطيع أن

أنشؤ وأتحرك . أما الآن ، وأنا كنت أريد أن أصبح شجرة ، كنت شجرة شديدة النقص . وكان لا يزال لدى مجال واسع للنمو والحركة . وكنت أفكر أنه ربما كان هناك فرق واحد بين نواة كاملة وشجرة ناقصة ، وهو أن النواة الكاملة تكون قد وصلت إلى طريق مسدود وإن لم تتغير سوف تعطب ، أما الشجرة الناقصة فأمامها مستقبل زاهر . وفى الأصل أن كل شئ يتغير من لحظة إلى أخرى . وعندما تتراكم هذه التغيرات وتصل إلى حد معين ، نحس نحن أننا لم نعد بعد الشئ السابق ، لكننا شئ آخر . مثلاً أنا نفسى الذى لم أكن على شكل نواة بل كنت على شكل شجرة ، كان لدى جذير وسويق وكنت قد جمعت براعمى ووريقاتى الصفراء بين فلقتى فوق رأسى ، وأخذت أنشو تدريجياً . كنت أريد عندما أطل من التراب أن أنشر وريقاتى أمام الشمس حتى تصبغها الشمس باللون الأخضر . وكنت أنصوّر الأغصان المليئة بالبراعم وثمار الخوخ البضة الحمراء . كنت شجيرة لا قيمة لها ، ومع ذلك يا له من مستقبل مضئ كان أمامى .

وكانت حصاة بحجم الجوزة قد سدّت الطريق أمامى ، ولم تكن تتركنى أصعد إلى أعلى ، ورأيت أننى لا أستطيع ثقبها ، فاضطرت إلى الالتفاف والعبور وصعدت إلى أعلى .

وكلما كنت أصعد إلى أعلى كنت أشعر بحرارة الشمس أكثر ، وكنت أنجذب صوب الشمس أكثر . والآن كنت أستطيع ثنية الحركة من بين جذور الأعشاب الموجودة على وجه الأرض . وبلغت فى النهاية موضعاً كان ضوء الشمس ينير التراب فيه بشكل أو بآخر . وفهمت أنه لم يبق فرقى أكثر من قشرة ناعمة ، وبعد عدة ساعات أخرى

شقيقت الأرض بهزة من الرأس ورأيت الضوء والحرارة اللذين كانا قد جاءا لاستقبالى .

كنت الآن على وجه الأرض ، الأرض التى كانت جدتى وكانت أمى أيضاً ، وأيضاً أم جميع المخلوقات الحية .

وشجرة اللوز البيضاء كانت تلمع من قمة رأسها إلى أخمص قدمها تحت الشمس على تل من التراب . وهكذا كانت فرحة ، وجعلتنى أسعد من أعماق القلب ألقىت عليها السلام . قالت شجرة الجوز : السلام على وجهك القمرى يا روى ، مرحباً بك على وجه الأرض ، وما أخبار باطن الأرض ؟

كانت شتلات الخمخ قد نمت ، وكانت تلقى بظلالها ، ولكننى لم أكن أملك بعد سوى ورقتين باهتتي اللون لا أكثر . وكنت أرفع رأسى قليلاً قليلاً .

وفى اليوم الذى جاء فيه كل من " بولاد " و " صاحبعلی " نحوى ، كان لدى عشرة أو إثنتا عشرة ورقة خضراء وساق كان أعلى من بعض الأعشاب ، ولكن شتلات الخمخ كانت أطول مما أنا عليه بكثير . فكانت تسمق بسرعة وقوة إلى درجة أننى كنت أتعجب ، وكنت أتخيل فى البداية أنه بعد عدة أيام أخرى سوف تمتد رؤوسها أيضاً أعلى من شجرة اللوز . ولكن عندما انتبهت وجدت أنها ليس لها جذور وعروق قوية فى الأرض . وقلت لنفسى سوف تذبل شتلات الخمخ سريعاً وسوف تمحى .

سر " بولاد " و " صاحبعلی " من رؤيتى ، وقال كلاهما : هذه فى النهاية ملكنا . أحضرا عدة حفنات من ماء الجدول وصباها تحت

قدمى وتركانى وذهبا . ولعل البستاني كان بالقرب منى يسقى
الأحواض ، وكان صوت معوله مسموعاً .

وكان أواخر الربيع ، عندما رأيت أن بواتق الخمض تبدو وكأنها لن
تستطيع أن تنمو ، كانت قد أزهرت وبعثرت بذورها وأخذت تموت
قليلاً قليلاً . وعندما حل الشتاء كنت فى حجمها ولكن لم تكن لى فروع
بعد . كنت أريد أن أستوى على عودى قليلاً ثم أنبت فروماً .

كان " بولاد " و " صاحبلى " يأتيان كثيراً إلى ، وأحياناً كانا يجلسان
فترة من الزمن ويتحدثان عن مستقبلى وعن خططهما . ذات يوم
كانا قد أحضرا حية كبيرة اللون براقة ، وكان من المعلوم أنهما حطما
رأسها بالهراوة ، ثم حفرا الأرض على بعد نصف متر منى ودفناها
هناك تحت التراب .

صفق " بولاد " وقال : سوف تقوم بعمل شديد الإمتاع .

مما لاشك فيه أنه كان يقصدنى .

قال " صاحبلى " : - الحية الواحدة تساوى عدة أحمال من السماد
والروث .

قال " بولاد " : - أظن أنه فى العام القادم سوف نأكل بواكيرها .

قال " صاحبلى " : - الله أعلم ، إننا حتى الآن لا نملك شجرة .

قال " بولاد " : - ليكن ، قد سمعت أن شجرتى الخوخ والمشمش
تثمران سريعاً .

كنت أيضاً أعلم هذا ، فأمى وعمرها عامان كانت قد أثمرت ثمرتى
خوخ .

كنت أفكر ماذا سيكون شكلى عندما تكبر خوخاتى وتنضج ، كنت

أُتِنَى أن أثمر سريعاً حتى أرى كيف تَمْتَصُّ الخوخات عصير جذعى .
وكنْتُ أُتِنَى أن تثقل خوخاتى وتُحْنَى أغصانى حتى تصل أطرافها
الى الأرض .

مضى الصيف وحل الخريف

كنت قد أعددت أنابيب رقيقة داخل جسمى بحيث أن كل ما كانت
تَمْتَصُّه جذورى من الأرض كانت ترسلها إلى أعلى عبر تلك الأنابيب .
وفى أواسط الخريف أغلقت الأنابيب من عدة أماكن، ولم تعد
جذورى ترسل العصارة بعد إلى أعلى . فى ذلك الوقت بدأت أوراقى
التي لم يكن يصل إليها الغذاء فى الذبول والاصفرار . وأنا أيضاً
قطعت أطرافها جميعاً حتى هبت الريح وألقت بها على الأرض،
وأصبحت عارية .

كنت قد عقدت فى طرف كل ورقة عقدة صغيرة . كان هدفي أن أنبت
فى الربيع التالي من كل منها غصناً صغيراً ، وأعد فرماً وكنْتُ أيضاً قد
فكرت فى بشائرى وكنْتُ أريد أن أثمر مثل أمى وعمى عامان . حقاً
لا أتذكر جيداً فقد كان هناك فوق جذعى أربع أو خمس عقد، وكنْتُ
أنتوى أن أعطى منها براعم وزهوراً ، وأحببت أن أفكر بانتظام فى
زهورى .

كلما كان الهواء يزداد برودةً ، كان النوم يغلب على أكثر، بحيث أنه
منذما حط البرد على الأرض وتجمدت، كنت أعط فى نوم عميق .
وكان " بولاد " و " صاحبلى " قد أحاطانى بالأصلة وقطع الخيش ،
كنت فى النهاية لأزال أملك قشرة هشة رقيقة ، وكنْتُ أعتبر فى جليد
الشتاء غذاءً لذيذاً للأناب . علاوة على ذلك كان من الممكن أن

يضرني البرد ، وأنداك كنت أضطرب في الربيع أن أنمو من الأساس مرة أخرى .

عندما حل الربيع كانت جذوري هي التي إستردت وعيها في البداية ، وبعد ذلك إستيقظ جذعي لوصول العصارة الجديدة ، وتحركت أغصاني وانتفخت قليلاً ، والماء الذي كان يصل إلى من التراب كان يفرغ كل أغصاني من النوم ويدفعها إلى الحركة وكنت أنبت داخل أغصاني أوراق متناهية في الصغر ، بحيث أنه عندما تتفتح أغصاني أجعلها كبيرة عريضة ، الآن كانت براعمي قد صارت مثل حبة الشعير ، أو أكبر قليلاً . ولم يكن قد تبقى لي أكثر من ثلاثة براعم . إحداها كان العصفور الشره قد نقره وأكله . وانبثقت مني ثلاثة زهرات ولكني رأيت أنه أثناء العمل لن أستطيع أن أجعل من ثلاثتها ثماراً . سقطت واحدة من زهراتي في البدايات وذبلت ، والثانية جعلتها ثمرة لم تنضج بعد ، ثم لم أستطع توصيل الغذاء لها فذبلت وهبت الريح وأسقطتها على الأرض . وأنداك جمعت كل قوتي حتى أنضج ثمرة واحدة لا نظير لها ولا شبيهه ، بحيث أن كل من يراها تتسع عيناه دهشة ، وكل من يذوقها لا يقرب بشفتيه فاكهة أخرى . وبدأت في تغذية ثمري داخل مئبر الزهرة وتكبيرها حتى تمزق مئبر الزهرة وخرجت ثمري غير الناضجة . واستقرت قبيل قمة رأسى ، بناء على هذا فمنذ ذلك اليوم الذي كانت فيه في حجم ثمرة اللوز الفجة ، كانت تحميني بشكل أو بآخر . وإن كان ينتابني القلق ، أنه كنت أريد أن أنضج ثمرة على ما أهوى فينبغي أن ينحني خصرى وربما ينكسر ، لكني كنت في الأصل لا أريد بسبب المتاعب التي لابد

وأن تحدث أن أصيب شرقي بالذبول وألقى بها بعيداً . وإن أردتم الحقيقة كنت قد قررت أن أبلغ بثماري في السنوات التالية الألف عدداً ومن هنا كان من اللازم أنه منذ الخطوة الأولى وحتى الثمرة الأولى أن أنجح في الامتحان . وكانت الحية التي دفنها الصبيان بالقرب مني تحت التراب قد تلاشت، وجعلت التراب الموجود حولي شديد القوة، ومن بركة نفس هذه الحية كنت قد صرت صاحبة فروع وأوراق ذات وزن .

وكان " بولاد " و " صاحبعلی " في تلك الأيام قليلاً ما يأتیان إلى، وأظن أنهما كانا يذهبان عند أبويهما في المزرعة إما من أجل الحصاد ، أو درس المحصول ، لكنهما في اليوم الذي جاء فيه إلى وغرسا عصيهما إلى جوارى في الأرض وربطاني بها ، أظن أنه كان نفس اليوم الذي قال " بولاد " فيه فجأة : " صاحبعلی !

قال " صاحبعلی " : - هيا ! قل !

وقال " بولاد " : - أقول لا قدر الله أن يكتشف هذا البستاني - ابن الكلب - شجرتنا.

وقال " صاحبعلی " : - يكتشفها يعني ماذا ؟

ولم يقل " بولاد " شيئاً ، وقال " صاحبعلی " : - لا يستطيع أن يقوم بعمل خاطئ ، الشجرة زرعتها نحن ورعاها نحن وشارها ملك لنا . وغرق " بولاد " في تفكيره ثم قال : الأرض ليست ملكاً لنا .

وقال " صاحبعلی " : - لا يستطيع أن يرتكب خطأ أيضاً ، الأرض ملك لمن يزرعها ، هذه القطعة من الأرض التي زرعتها فيها الشجرة ملك لنا وتشجع " بولاد " وقال : - نعم ملك لنا . إذا ارتكب خطأ ماغرق البستان كله .

ضرب " صاحبلى " صدره العارى الذى لوحته الشمس بقيضته وقال: ليمت هذا الجسد إذا تركته يهنأ بشرية ماء ، نشعل النار ونفر . أظن أنه إن لم يكن " بولاد " و " صاحبلى " أعطيانى عصيهما فى ذلك اليوم بالتأكيد كنت سأتحطم ، لأن ربحا عاتية كانت قد هبت خلطت كل فرومى وأغصانى ، وفى الصباح رأيت أن عدة أغصان من شجرة الجوز قد تحطمت .

كانت الأيام تمر تلوبعضها وكنت بكل قوتى أجعل من الثمرة أكبر وأكبر وأترك الشمس تلون خديها بالاحمرار ، والحرارة تنفذ إلى داخل لحمها . والتصقت إبتى بجسدى بشكل قوى ، وأخذت تتصص بحيث كان جسدى يؤلنى أحيانا لكننى لم أكن أغضب قط منها ، وكانت لى ابنة جميلة فى النهاية .

كان " صاحبلى " و " بولاد " قد انشغلا بى بحيث نسيا على وجه التقريب الأشجار الأخرى فى الحديقة ، ومثل السنوات الماضية لم يعودا يجلسان فى ظل ثمار أمى . وأنا كنت أعتبر نفسى ملكا لهما ، وكنت أعطيتهما الحق عندما تنضج ثمرتى تماما أن يقطفاها وأن يأكلاها متمتعين كما أكلانى أنا نفسى فى يوم من الأيام .

كانت أوائل الخريف عندما جاء " بولاد " إلى وحيدا حزينا وكانت المرة الأولى التى أرى فيها أحديهما وحيدا ، وروانى " بولاد " فى البداية ، ثم جلس فوق الأعشاب وهمس إلى والى ثمرتى قائلا : - ياخوختى ، ياخوختى الجميلة ، أتعلمين ماذا حدث ؟ ألا تعلمين قط لماذا أنا اليوم وحيد ؟ نعم أرى إنك لا تعلمين . مات " صاحبلى " ، لدغته حية ... وننه منجوق العجوز قضت ليلة كاملة فوق رأسه ،

وأظن أنه لم تكن تتأتى منها فائدة وكل الأدوية التي كانت قد ذكرتها ذهبت أنا ووالد " صاحبعلی " وجئنا بها من الجبل والصحراء ولكن " صاحبعلی " لم يعاف .

مسكين " صاحبعلی " ! لماذا ذهبت آخرًا وتركتني وحدي؟ وبدأ " بولاد " فى البكاء ثم تحدث ثانية قائلاً: منذ عدة أيام عندما كنت عائداً من الضلّاء ظهراً، التقينا فوق التل، وقررنا أن نذهب ونصيد حية مثل العام الماضى وندفنها فى نفس المكان بحيث تجعل تربتك شديدة القوة، وذهبنا إلى وادى الحيات ، وفى وادى الحيات ، حيات لا تحصى، وفى ناحية من الوادى جبل كله من صخر لا تظني أن الجبل قطعة واحدة من الصخر، لا ، تخيلي أحجاراً كبيرة وصغيرة إنصببت من السماء فوق بعضها وصارت تلا، واتخذت الحيات جحورها وسط الحجارة، وعندما كانت الحرارة تصادف أجسادها تخرج . وأرضنا وأرض جيراننا وأرض ابن خالة " صاحبعلی " وعدد آخر كلها داخل وادى الحيات، ومن باطن الأرض يسمع دائماً صوت فحيح الحيات .

أخذنا ننظر أنا و " صاحبعلی " فى سفح الجبل إلى ما وراء الأحجار وكنا نضع عصينا داخل الجحور حتى نجد لك حية سميكة ، وكنا كالعادة عرايا ، كان على جسد كل منا مجرد سروال، وكان ظهرانا قد إكتويا بالحرارة بحيث لو وضعتى بيضة عليها لنضجت . وهكذا بينما كنا نقفز من هذه الصخرة إلى تلك الصخرة، إنزلقت فجأة قدم " صاحبعلی " وسقط على ظهره وصرخ فجأة بحيث امتلأ الوادى بصوته ، كان " صاحبعلی " قد سقط على صخرة كانت حية قد

تحلقت فوقها وصرخ " صاحبعلی " صرخة أخرى وسقط فى أعماق الوادى فوق التراب . وأنا بدورى لم أمهل الحية فضريتها بالعصا فوق رأسها ثم فوق بطنها ثم ثانية فوق رأسها وكان فى بطنها فأران وعصفور .

كان " صاحبعلی " قد سقط فاقد الوعى ولم يكن يصدر عنه صوت . وألقيت عصاه بعيداً لا أدري إلى أين، وكان موضع لدغ الحية أحمر اللون، ولو كانت الحية قد أصابت قدمه أو يده كنت أعلم ماذا ينبغى على أن أصنع لكن أى أمر كنت أستطيعه واللدغة فى وسط ظهره؟ واضطرت إلى حمل " صاحبعلی " على كتفى وجئت به إلى القرية ، وقالت "ننه منجوق" العجوز لأمى صباحاً عند القبر أننى لو كنت حملت " صاحبعلی " إليها أسرع لما مات . الخلاصة بأى شكل كنت أستطيع أن أحمل " صاحبعلی " أسرع يا شجرة الخوخ ، أنت نفسك تعلمين أن " صاحبعلی " كان أثقل منى وزناً، ولو كان لدى حمار ووصلت متأخراً لكان لـ "ننه منجوق" الحق فى القول بأننى تأخرت . فى النهاية أى أمر كنت أستطيع القيام به ؟

وبدا " بولاد " ثانية فى البكاء، وكنت الآن أحس أننى أحب " صاحبعلی " و " بولاد " حباً شديداً . وعندما فكرت أننى لن أرى ثانية " صاحبعلی " أو شكت من شدة الحزن أن أسقط أوراقى وأن أجف إلى الأبد ولا أنبت غصناً .

وانتهى " بولاد " من بكائه وقال: إننى لا أستطيع أن أبقى فى القرية ثانية فحيثما أذهب أرى صورة " صاحبعلی " أمام عيني وأحزن، وعندما أذهب إلى الجبل، أو أخذ الماعز إلى الخلاء، وعندما أريت

بيدى فوق رؤوس الكلاب، أو أمضى سائرا فوق الروث، أو أصطاد مع الأطفال الآخرين داخل المزرعة الجراد والضب أو أدق الأعشاب ، وعندما أصدع فوق السطوح، دائما صورة " صاحبلى " أمام عيني وكأنه يناديني " بولاد " " بولاد " !! أجل يا شجرة الخوخ إننى لا طاقة لى على سماع هذا الصوت أريد أن أذهب إلى المدينة عند خالى أعمل صديا لبقال، وأنا لا أعلم ماذا كان ينبغي على فعله لكى يبقى " صاحبلى " حيا ، والآن لا أدرى أيضا ماذا أفعل بحيث لأسقط مثله فجأة وأموت ، أنا صغير لا يسع عقلى أي شئ ، كل ما أعلمه أننى لأستطيع أن أبقي فى القرية . أنا ماض يا شجرة الخوخ، تركت شركتك أيضا من أجلك .

وعندما رأيت أن " بولاد " يريد أن ينهض ويبيض تركت شركتى تسقط أمام قدمه، وحمل " بولاد " الثمرة وشمها ثم نظفها من التراب، وتحسنى من أخمص القدم حتى مفرق الرأس بيديه وتركنى ومضى .

وفى السنة التالية كنت قد استويت تماما على عودى، وكنت قد أنبت أوراقا وأعصانا كثيرة من جميع أجزاء جسمى ، وكنت قد طرحت عشرين أو ثلاثين زهرة، وكنت أستطيع آخر الأمر أن أرتفع على تل التراب، وأطل برأسى وأشاهد أنحاء البستان، وذات يوم انتبه البستانى إلى، وجاء وأمعن النظر فى ، ومن الفرحة لم يكن يعلم ماذا يصنع، ومن شكلى ولون أوراقى وزهورى فهم إبنة من أكون ، كانت شجرة خوخ جميلة قد نبتت داخل بستانه بدون أن يقوم بأى مجهود، وكنت فى غاية الضيق لأننى سقطت فى النهاية فى يد

بستاني هو نفسه خادم لرجل غنى آخر ومن أجل النقود جعل من أهل القرية أعداء له .

كنت قد أنضجت عشرة أو خمس عشرة ثمرة لكننى عندما كنت أفكر من أجل من ستكون ثمراتى نصيباً ، كنت أستاذ من نفسى ، لقد كان قد زرعتنى " بولاد " و " صاحبلى " وريانى والحق كان أن يأكلها ثمراتى .

وإذا كان يوم غنت لى فكرة ، ومنذ نفس ذلك اليوم بدأت فى إسقاط ثمارى وعندما انتبه البستاني أنه لم تبق ثمرة أخرى فوق ، ظن أن مغرسى سئ وقال بصوت عال : فى السنة التالية أغير مغرسك بحيث تستطيعين أن تروى جيداً وتثمرى ثماراً كبيرة وجميلة .

وفى ربيع السنة التالية عندما أيقظت جذورى ، رأيت أن كل نظامها قد اختل ويعضها جف كما أن بعضها قد أقتلع ، ولا جدال كانت لدى جذور سالمة وكثيرة ، فبدأت أغمس جذورى السالمة فى التراب الرطب ثم أنبت جذوراً جديدة ووزعتها حولى ، وفكرت ذلك الوقت فى إنبات أغصان وأوراق وبراغم ، وعرفت أسمى .

ومنذ ذلك الوقت حتى الآن لم أدركم عام مر من عمرى ، لم يستطع البستاني أن يجعل من ثمارى بشائر ، ومن الآن فصاعداً لن يجعل منها بشائر ، فأنا لا أطيعه ، وهو الآن يريد أن يخوفنى أو يقطعنى بالمنشار أو يتوسل إلى .

١١- أربع وعشرون ساعة من القلق

القارئ العزيز:

لقد كتبت قصة " نوم ويقظة " لكى تصبح تدريجاً لك ، وقصدى أن تتعرف أكثر على أطفال وطنك ، وتفكر فى وسيلة لعلاج آلامهم ؟ لو أردت أن أكتب ما حاق بى فى طهران لجمال الأمر ، وربما أصاب الجميع الملل ، ومن هنا سأشرح الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة التى أظن أنها أيضاً ليست مملة ، ولا جدال فى أننى مضطراً أن أتحدث أيضاً فى كيفية مجيئنا أنا وأبى إلى طهران :

كانت قد مرت عدة شهور وأبى عامل . فى النهاية ترك أمى وأختى وإخوتى فى مدينتنا ، وأخذ بيدي وجئنا إلى طهران ، وكان عدة أشخاص من معارفنا ومن نفس المدينة قد ذهبوا إلى طهران من قبل ، واستطاعوا أن يجدوا عملاً . وجئنا أيضاً بناء على رغبتهم ، فواحد من المعارف كان لديه كشك صغير لبيع الثلج . وآخر كان يشتري الثياب القديمة ويبيعها . وواحد آخر كان بائع برتقال ، وأحضر أبى أيضاً عربة يد وأصبح بائعاً جائلاً ، كان يدور بالبصل والبطاطس والخيار وأشياء من هذا القبيل . كنا نأكل لقمة عيش ونرسل لقمة عيش لأمى . كنت أنا أيضاً أحياناً أتجول بصحبة أبى وأحياناً أخرى أتسكع فى الشوارع بمفردى ، وكنت أعود إلى أبى فى الليل فقط . وأحياناً أيضاً كنت أبيع اللبان بريال أو فال حافظ وما إلى هذا .

الآن نأتى إلى أساس الموضوع :

تلك الليلة كنت أنا وكان " قاسم " ، وابن زيور بائع اليانصيب ، و" أحمد حسين " وإثنان آخران قد تصادقنا منذ ساعة أمام طوار البنك .

كنا جالسين نحن الأربعة على طوار البنك وكنا نقول أين نذهب لنلعب بالزهر، فجاء الجميع وجلسوا بجانبنا، كلاهما كانا أكبر منا، كان أحدهم أعور وكان الآخر ينتعل حذاء أسود جديداً، ولكن العظمة القذرة لإحدى ركبتيه كانت تطل من ثقب فى سرواله، وكان مظهره أسوأ منا.

بدأنا نحن الأربعة نسترق النظرات إلى حذائه ثم نظرنا أيضاً إلى وجهه، وقال بعضنا للبعض بالنظر إليها الأطفال فلتنتبهوا أننا نتعامل مع سارق أحذية. وقال صاحبنا الذى انتبه إلى نظراتنا: ماذا؟ ألم تروا حذاء؟!

قال صديقه: لا تعبأ بهم يا محمود، ألا ترى أنهم جميعاً فى غاية الهزال، فأين رأوا حذاء هؤلاء المساكين.

قال محمود: كان ينبغى أن أنظر إلى أقدامهم الحافية ثم أسألهم: ألم يروا حذاء فى أرجلهم.

قال صديقه وكان أعور: ليس الجميع مثلك لديهم أب من الأعميان ينفق ببذخ ويشتري لأطفاله أحذية جديدة.

بعد ذلك أغرق الاثنان فى ضحكة مكتومة. وبقينا نحن الأربعة وحدنا، نظر "أحمد حسين" إلى "ابن زيور" ثم نظر كلاهما إلى قاسم، ويعد ذلك نظر ثلاثتهم إلى، ماذا نفعل؟ نشاغب أو نتركهم يضحكون علينا ويخدمونا؟

قلت لمحمود بصوت عال: أنت لص! لقد سرت الأحذية. إنطلق كلاهما فى ضحك مكتوم كالفقاقيع، وأخذ الأعور ينخره بكوعه وهو يقول: ألم أقل يا محمود؟ هاها، ألم أقل؟؟ هه... هه... هه...

وكانت سيارات مختلفة الألوان قد توقفت على جانب الشارع، وكانت قد ألصقت ببعضها وكأنها جدار من حديد كان قد وضع أمام وجوهنا . وتحركت السيارة الحمراء التي كانت أمام وجهى مباشرة، وظهرت فجوة بحيث أرى وسط الشارع .

وكانت السيارات المتنوعة من أجرة وملاكى وحافلات قد ملأت نهر الشارع وأخذت تتحرك ببطء ولصق بعضها البعض، وكانت تحدث جلبة وهى تتقدم وكأن كل منها تدفع الأخرى وتصرخ كل منها فى الأخرى . وفى رأى أن طهران أكثر أماكن الدنيا ازدحاماً، وهذا الشارع أكثر الشوارع ازدحاماً فى طهران .

أوشك الأمور وصديقه محمود على الإنماء من شدة الضحك، وأخذت أدمع الله أن تقع بيننا مشاجرة لأننى كنت قد تعلمت شتمة جديدة ، وكنت أريد بأى شكل كان حتى ولو كانت فى غير موضعها أن أوجهها إلى أحد . أخذت أقول لنفسى : ليت محمود يصفعنى ، ذلك الوقت أغضب وأقول له : " ترفع يدك على؟ الآن آتى وأمزق خصيتك بالملوأة أنا بنفسى!! وعلى هذه النية أمسكت بخناق محمود الذى كان جالساً إلى جوارى وقلت : إن لم تكن لصاً فقل لى من الذى أشتري لك الحذاء؟

هذه المرة انقطع الضحك ، وأبعد محمود يدي بعنف وقال : إبقى فى مكانك، يا ولد ، ألا تفهم معنى كلامك؟

ألقي الأمور بنفسه بينهما ولم يترك المشادة تحتدم ، قال : دعك منه يا محمود ، هذا الوقت من الليل لا يحتاج إلى إثارة مشاجرة ، اترك مذاق الضحك يظل فى أفواهنا .

نحن الأربعة كنا نفكر فى المشاجرة والتضارب، ولكن محمود والأعور
كانا يرغبان حقيقة فى المرح والضحك .

قال محمود لى : - يا أخينا نحن لا نفكر الليلة فى الشجار، ولو كنت
تستهى الشجار، لنؤجله إلى الليلة القادمة .

قال الأعور : - الليلة ، نرغب أن نتمازح قليلا حسنا ؟

قلت : - ليكن .

جاءت سيارة لامعة ووقفت أمامنا على جانب الشارع، وشغلت
المكان الخالى . ونزل منها سيد وسيدة شابان وكلب أبيض لامع .
وكان هناك ولد فى قامة أحمد حسين تماما، يرتدى سروالا قصيرا
وجورياً أبيض . وحذاء مكشوفاً ذا لونين وكان مصفف الشعر
مدونه . ويمسك فى إحدى يديه نظارة بيضاء . وأمسك بيده الأخرى
يد أبيه، وكانت سلسلة الكلب فى يد السيدة ، بينما كان ساعداها
وساقاها عاريين وفى قدمها حذاء ذو كعب عال ومررت بنا فصافح
أنوفنا عمل جميل . ورفع "قاسم" قشرة من تحت قدمه وألقاها بشدة
فى قفا الولد . عاد الولد ونظر إلينا وقال : متشردون .

قال أحمد حسين بغضب : غور فى داهية ، ولد مدلل . وجدت فرصة
وقلت : الآن أتى وأمزق خصيتك بالمدية ، وانطلق الأولاد فى الضحك
مرة واحدة فسحب الأب يد الولد ودخلا فندقا كان يبعد عدة أمتار .
اتجهت الأنظار كلها مرة أخرى إلى حذاء محمود الجديد ، قال
محمود بمودة: ليس الحذاء بالنسبة لى مهما جدا، لو أردتموه فليكن لكم .
ثم التفت إلى أحمد حسين ، وقال - تعال يا صغيرى ، تعال إخلع
الحذاء عنى وضعه فى قدمك .

وألقي أحمد حسين نظرة شك إلى قدم محمود ولم يتحرك .
قال محمود: لماذا وقفت تنظر؟ لا تريد الحذاء الجديد؟ هيا تعال خذه.
هذه المرة نهض أحمد حسين، وذهب وانحنى أمام محمود ليخلع عنه
الحذاء . وأخذ
ثلاثتنا ننظر ولا نقول شيئاً .

أمسك أحمد حسين بقدم محمود بشدة وسحب، لكن يديه انزلتتا
وسقط على ظهره فى الشارع . إنطلق محمود والأمر فى الضحك
بحيث أننى قلت لنفسى ستوجعهما بطناهما . وكانت يدا "أحمد
حسين" قد اسودتا وأخذ الأمر يلكز جنب محمود ويقول: ألم أقل يا
محمود؟ هاها ... ها : ألم أقل؟ هه ... هه ...

وكانت آثار أصابع أحمد حسين المنزلة تشاهد على قدم محمود .
وانتبه ثلاثتنا أخيراً إلى أننا خدعنا ، وسرت إلينا عدوى ضحكك ذلك
الرفيقين النصابين فانطلقنا ضاحكين ، ونظر إلينا أحمد حسين لغترة
الذى كان قد قام متضايقا من تحت أقدام الناس ، ثم انطلق هو
أيضاً فى الضحك ، ثم ضحك لا نهاية له . وأخذ المارة يفغظرون إلينا
ويهمرون ، انحنيت ونظرت إلى قدم محمود عن كثب ، أين كان الحذاء
!! كان محمود قد دهن قدميه بحيث كان المرء يظن أنه لبس حذاءً
أسود جديداً ، فيالها من خدعة عجيبة .

قال محمود : - هيا نلعب نحن الستة بالزهر.
كان لدى أربعة قروش ، ولم يقل قاسم كم لديه من النقود . وكان مع
ذلكما الرفيقين خمسة قروش ، وكان مع ابن زيور ، بائع اليانصيب

عشرة قروش . ولم يكن مع أحمد حسين أية نقود ، وكان أسفل الشارع قليلا محل مغلق ، وذهبنا إليه وأمامه شرعنا فى رمى الزهر .
ولنبدا اللعب رمينا رمية القرعة . وقعت القرعة الأولى على ابن زيور ، رمى الزهر ، جاء على الخمسة ثم جاء دور قاسم ، رمى الزهر جاء على الستة وأخذ قرشا من ابن زيور وألقى بالزهر مرة أخرى فجاء على اثنين وأعطى الزهر لمحمود ، جاءت لمحمود على أربعة فأخذ قرشين من قاسم ، صفق بيده بسرور وقال: بركة يا بنى !! وقال هذا حظنا .
وعلى هذا النحو أخذنا تلقى بالزهر اثنين اثنين ونلعب . وعن يميننا كان شابان أنيقان يأتیان ، تقدم أحمد حسين جاريا وقال برجاء: سيدى أعطنى قرشاً ، قرش لا يعد شيئاً ، بالله عليك .
وبينما كانا يمران بنا ، أمسك الشاب بقفا أحمد حسين ورفعهُ ووضعهُ على بطنه فوق سور بجوار الشارع ، وكان رأس أحمد حسين معلق ناحية وسط الشارع وقدماه ناحية الطوار وفلفص أحمد حسين حتى وصلت قدماه إلى الأرض وفى نفس المكان وقف على حافة الجدول ، وكانت فتاتان تأتیان بصحبة شاب من الناحية اليسرى ضاحكتين ، وكانت الفتاتان ترتديان ثوبين قصيرين ذا لون حسن ، كانتا تسيران على جانبي الشاب ، تقدم أحمد حسين مسرعا وقال راجيا إحدى الفتاتين: بالله عليك يا سيدتى أعطنى قرشا ، فأنا جائع ، القرش لا يعد شيئاً ، بالله عليك ، قرش يا سيدتى .
فلم تأبه الفتاة ، وألح أحمد حسين ثانية ، أخرجت الفتاة قطعة نقود من حقيبتها ووضعتها فى كف أحمد حسين ، عاد إلينا أحمد حسين سعيدا وقال : - أنا أيضاً سألقى الزهر .

قال ابن زيور: - أين نقوبك ؟

فتح أحمد حسين قبضته وأشار إليها ، وكانت قطعة من العملة ذات القرشين في يده .

قال قاسم : هل تسولت ثانية ؟

وهم بضرب أحمد حسين وأمسك محمود بيده ولم يتركه يفعل .

لم يقل أحمد حسين شيئاً ، وأفسح لنفسه مكاناً وجلس ، نهضت وقلت لن ألعب بالزهر مع متسولين .

الآن لم يكن معي أكثر من قرش واحد . كنت قد خسرت ثلاثة قروش من الأربعة التي معي . وقال محمود الذي كان قد خسر كثيراً: - كفى لعباً بالزهر ، نلعب لعبة أسفل الجدار .

قال لي قاسم : يا لطيف ، ثانية لا تفسد اللعبة بكلامك هذا . بعد ذلك قال للجميع: من الذي سيلقى ؟!

قال الأمور: - إرم أنت وحدك ، سنلعب لعبة أسفل الجدار . أشار ابن زيور إلى قاسم وقال : - لعب الزهر بهذا لا فائدة منه كل ما يأتي به خمسة أو ستة فنلعب ملك أو كتابة .

قال أحمد حسين : - فليكن .

قال محمود : - لا ، لا نلعب لعبة أسفل الجدار .

كان الشارع في سبيله إلى الخلو . كانت عدة محلات متواجهة قد أغلقت . ولبداية اللعبة ألقى كل منا بقطعة من فئة القرش من حافة الجدول إلى أسفل الجدار . وكانت قطع العملة لا تزال الجدار حين صرخ "أحمد حسين" قائلاً : الشرطى .

وكان الشرطى والهاوذة في يده على بعد خطوتين أو ثلاث منا . وأفلت

أنا وأحمد حسين والأعور. وكذلك هرب محمود وابن زيور خلفنا .
وأراد قاسم أن يجمع النقود من أسفل الجدار إذ وصل الشرطى ، صرخ
قاسم من ضربة الهراوة ويداً فى الجرى .

وصاح الشرطى خلفه قائلاً : أيها المتشردين المقامرين ! أليست لكم
بيوت وحياة ؟ أليست لكم آباء وأمهات ؟!

ثم انحنى وجمع النقود ومضى .

عندما عبرت الميدان وجدت أننى بقيت وحيداً . كان محل الأرن
بالشواء الواقع من الناحية الأخرى من الشارع مغلقاً ، كنت قد
تأخرت عندما كان صبي المحل يترك الباب الحديدى حتى نصفه ،
كان هذا هو وقت عودتى إلى أبى . وكنت أمبر الشوارع والميادين
مسرعا وأنا أقول لنفسى . الآن ثانية نام أبى متضايقاً، ليته يجلس
فى انتظارى، لابد أنه الآن نام متضايقاً ثم قلت لنفسى مرة أخرى:
وماذا عن محل لعب الأطفال؟ هو أيضاً مغلق . من الذى لديه فى هذا
الوقت من الليل صبر لشراء لعب أطفال . لابد الآن أنهم حشروا جملى
داخل المحل وأغلقوه وذهبوا . ليتنى كنت أستطيع أن أتحدث مع
جملى ، أخاف أن ينسى ما اتفقنا عليه بالأمس ، ولولم يأت إلى؟
لا.. لا ... لابد سيأتى ، هو نفسه قال سأتى ليلة الغد تركبنى ومضى
وتطوف طهران ، ركوب الجمل فيه متعة أيضاً .

وفجأة ارتفع صوت فرملة وطرت فى الهواء . بحيث أننى ظننت أننى
انتهيت، وبمجرد أن سقطت على الأرض أدركت أننى اصطدمت
وسبط الشارع بسيارة ولم يحدث لى شئ . بينما كنت أدلك رسغ يدي
أخرج شخصا رأسه من السيارة وصاح قائلاً : يا للا غور من قدام
السيارة! لست مثلاً .

عدت فجأة إلى وعيى . كانت تجلس خلف عجلة القيادة عجوز متزينة ويقبح إلى جوارها كلب ضخـم وكان طوق رقـبته يلـمـح .
وفجأة انتابتنى حالة بحيث ظننت أننى إن لم أقم بعمل ما فى التـو واللحظة - كأن أكسر زجاج السيارة مثلا - فإتنى سوف أنفجر من شدة الغضب ولن أستطيع أن أنـحرك من مكانى أبداً .
وضريت العجوز بوق السيارة مرتين وقالت : هل أنت أصم يا ولد؟ غور من أمام السيارة .

جاءت سيارتان أخريان ومرا بجوارنا ، أخرجت العجوز رأسها وهمت بقول شئ فبصقت بصقة كبيرة فى وجهها وجهته إليها عددا من الشتائم وابتعدت عن ذلك المكان سريعاً . عندما مشيت قليلا ، جلست فوق مصطبة محل مغلق ، كان قلبى يدق بشدة . كان للمحل باب حديدى ذو وفجوات وكان داخل المحل مضيئا ، وكانوا قد عرضوا أحذية متنوعة خلف الزجاج وكان أبى يقول ذات يوم أننا لانستطيع حتى بأجر عشرة أيام أن نشتري زوجا من هذه الأحذية .

أسلمت رأسى إلى الباب ، ومددت قدمى وكان رسغ يدى لازال يؤلنى . وكانت بطنى تنقبض، وتذكرت أننى حتى الآن لم أكل، قلت لنفسى : ينبغى على أن أنام الليلة جائعا ، ليت أبى ترك لى ههنا .

تذكرت فجأة أن جملى سوف يأتينى الليلة ويتركبنى ويحملنى للنزهة، قفزت من مكانى وأسـرعت فى الطريق ، كان محل بيع اللعب مغلقا، ولكن أصوات اللعب كانت تصل إلى مسامعى من خلف الباب الحديدى . قطار بضاعة كان يفج ويصفر، ودب ضخـم أسود كأنه كان يجلس خلف مدفع رشاش وهو يطلق الطلقات ويخيف الدمى الجميلة

الرقبة . وكانت القردة تقفز من مكان إلى آخر وتارة أخرى تتعلق
 بذيل الجمل حيث كان الجمل يرفع صوته وهو يطلق السباب
 والشتائم ، وحمار طويل الأذن كان يصك أسنانه ببعضها وينهق
 ويضع فوق ظهره أطفال الدببة والدمى ويسير بخطوات واسعة . وكان
 الجمل ينصت إلى دقات ساعة الحائط وكأنه وعد أحداً . وطائرات
 الهيلوكبتر كانت تدور فى الهواء . والسلاحف كانت تنعس داخل
 أصدافها وإناث الكلاب كانت ترضع جراءها . وكانت القطة
 تسحب البيض خفية من السلة ، والأرانب كانت تنظر بدهشة إلى
 الصياد فى الرف المقابل لها ، والقرد الأسود كان يضع بين شفتيه
 الغليظتين الناي الخاص بى الذى كان دائماً خلف الزجاج ، وكان
 يصدر منه أصواتا جميلة متنوعة والسيارات والحافلات كانت
 تُركب الدمى وتطوف بها . وكانت الدبابات والبنادق والمسدسات
 والرشاشات تطلق الطلقات بسرعة شديدة . وصغار الأرانب البيضاء
 كانت قد أمسكت بأيديها ثمار جزر ضخمة وأخذت تمضغها بينما
 كانت أفواهها مفتوحة حتى أسافل آذانها . والأهم من هذا كله
 جملى أنا نفسى الذى إذا أراد أن يتحرك حركة واحدة لخلط كل شئ
 ببعضه ، كان ضخماً لدرجة أنه لم يكن يسهه مكان خلف الزجاج ،
 وطوال النهار كان يقف على حافة الطوار يتفرج على الناس ، وهو الآن
 واقف وسط المحل ويجعل الجرس المعلق فى رقبته يرن ، وكان يمضغ
 اللادن وهو يسلم أذنه لدقات الساعة . وصف من صغار الجمال ذات
 الوير الأبيض أخذت تصيح من داخل الرف : أمى ، إذا خرجت إلى
 الطريق سنأتى معك ، حسناً؟

أردت أن أتحدث مع جملى كلمتين ولكن مهما صرخت لن يسمع صوتى ، اضطريت إلى رفس الباب عدة مرات عل الآخرين يصمتوا ، ولكن فى نفس الوقت أمسك أحدهم بأذنى وقال : هل جننت يا ولد ، هيا إذهب ونم .

لم يكن هناك محل للوقوف . وخلصت نفسى من يد الشرطى وبدأت فى العدوحتى لا أتأخر أكثر من هذا .

عندما وصلت إلى أبى ، كانت الشوارع كلها ساكنة خالية . وكان عدد قليل من سيارات الأجرة يأتى ويمس ، وكان والدى نائماً فوق عربة اليد الخاصة به بحيث أننى لو كنت أردت أن أنام أيضاً فوق العربة كان لزاماً على أن أوقظه حتى يزيح قدميه ويترك لى مكانا . وغير عربة اليد الخاصة بنا كانت هناك أيضاً عربات أخرى على حافة الجدول أو إلى جوار الجدار نام عليها أشخاص آخرون . كان هناك عدة أشخاص أيضاً ناموا فوق الأرض إلى جوار الجدار . كان هذا ميدانا . كان أحد مواطنينا يمتلك كشكا لبيع الثلج . كان النوم يجتاحنى من رأسى إلى قدمى فسقطت أسفل عربة اليد الخاصة بنا .

* * *

ترن ! ترن ! ترن !

- أين أنت يا لطيف ؟ لماذا لا تجيب يا لطيف ؟ لماذا لا تأتى لنذهب للنزهة .

ترن ! ترن ! ترن !

- لطيف يا حبيبى هل تسمع صوتى ؟ أنا جملك ، جئت لنذهب للنزهة هيا إركب لنذهب .

عندما وصل الجمل أسفل الشرفة ، نهضت من فراشى وقفزت من ذلك العلو وسقطت على ظهره وقلت ضاحكاً ، امتطيتك فلماذا تصيح ؟

سُر الجمل من رؤيتى ووضع قليلا من اللادن فى فمه وأعطانى أيضاً منه وانطلقنا . كنا قد سرنا قليلا حين قال الجمل : - آتيتك بنايك خذه وانفخ فيه لنسمع .

أخذت نايى الجميل من الجمل . وبدأت النفخ فيه بقوة وصاحب الجمل أيضاً نايى بأجراسه الكبيرة والصغيرة .

وأدار الجمل رأسه ناحيتى وقال : يا لطيف ، تعشيت ؟

قلت : - لا ، لم يكن معى نقود .

قال الجمل : لنذهب أولاً لتتعش .

فى نفس الوقت قفز الأرنب الأبيض من أعلى شجرة إلى أسفل وقال :

- أيها الجمل الحبيب : الليلة سنتناول طعام العشاء فى الفيلا .

سأذهب وأخبر الآخرين ، فلتذهبا أنتما .

وألقى الأرنب بطرف الجزيرة الصغيرة التى كان يأكلها فى الجدول

وابتعد عنا قافزاً .

قال الجمل : - أتعلم ما معنى فيلا ؟

قالت : - أعتقد أنها المصيف .

قال الجمل : ليست المصيف . فأصحاب الملايين يشيدون لأنفسهم

قصوراً ومنازل فخمة فى أماكن حسنة الجو كلما أرادوا ذهبوا إليها

واستراحوا . ويطلقون على هذه المنازل فيلا . ولاشك أن هذه الفيلات

فيها أيضاً حمامات سباحة ونافورات وحدائق كبيرة مليئة بالورود

وفيهما أيضاً طاقم من البستانية والخدم والحشم ، وبعض أصحاب الملايين عندهم فيلات خارج القطر مثلاً فى سويسرا وفرنسا . الآن نذهب إلى إحدى الفيلات فى شمال طهران حيث نُخرج حرارة الصيف من أجسادنا .

قال الجمل هذا وكأنه أخرج جناحا وارتفع فى الهواء مثل الطيور . وكانت المنازل الجميلة والنظيفة أسفل أقدامنا . ولم تكن رائحة الدخان والقاذورات موجودة فى الهواء . وكانت المنازل والحارات تبدولى وكأننى أرى فيلماً . فى النهاية قلت للجمل : - أخشى أن نكون ذاهبين خارج طهران .

قال الجمل : - كيف حدث وفكرت فى هذا ؟

قلت : الخلاصة أن هذه الأنحاء لا دخان فيها ولا قذارة . منازلها كلها كبيرة ومثل باقة ورد .

ضحك الجمل وقال : - معك الحق يا عزيزى لطيف ، تنقسم طهران إلى قسمين وكل قسم يختلف عن الآخر . جنوب وشمال ، الجنوب ملئ بالدخان والقاذورات والغبار والأتربة ، ولكن القسم الشمالى نظيف ، لأن كل الحافلات التى تعمل فى هذه الأماكن قديمة ومستهلكة وكل قمائن حرق الطوب موجودة فى هذه الأماكن . وكل القطارات وعربات النقل تمر من تلك الأنحاء وكثير من حارات وشوارع الجنوب ترابية . وجميع المياه القذرة والعفنة لجداول الشمال تصب فى الجنوب . الخلاصة أن الجنوب هو حى المعوزين والجوعى والشمال حى الأعيان والأثرياء . هل رأيت قط فى "حصير آباد" و "نازى آباد" و "شارع الحاج عبد الحمود" عمارات مرمرية من عشرة طوابق؟ هذه

العمارات الشاهقة التى يوجد بأسفلها محلات فاخرة وعملاؤها
يركبون سيارات فارهة وبها كلاب بالآف التومانات .

قلت : - فى شوارع الجنوب لا تشاهد هذه الأشياء ، لا أحد هناك يملك
سيارة ، لكن الكثيرين لديهم عربات يد وينامون فى أكواخ .

كنت جائعاً بحيث كنت أحس أن قاع بطنى مثقوب ، كان تحت
أقدامنا حديقة كبيرة مليئة بالمصابيح الملونة ، وجوها معتدل وشديد
الطراوة ومليئة باللورود والأشجار . وفى وسطها بناء ضخم كأنه باقة
ورد وعلى بعد عدة أمتار من الطرف الآخر يوجد حمام سباحة كبير
ذى مياه صافية وأسماك حمراء ويحيط به مناخد وكراسى وورود
وبراعم . وصُف فوق المناخد ما لا يحصى من الأطعمة المختلفة كانت
رائحتها تسكر المرء .

قال الجمل : فلننزل العشاء جاهز .

قلت : لكن أين صاحب الحديقة؟

قال الجمل : لا تفكر فيه ، سقط فى السرداب معقود اليدين ونام .

حط الجمل فوق القيشانى الملون على حافة حمام السباحة وقفزت
وهبطت . كان الأرنب موجوداً . أخذ يدي واصطحبني وأجلسني إلى
إحدى المناخد وبعد قليل ظهر الضيوف الدمى بالسيارات ، وعدد
منهم بالطائرات الهيلوكبتر ، ووصل الحمار يبرطع والسلاحف متعلقة
بأذيال صغار الجمال والقروود قافزة ومتشقلبة والأرانب مسرعة
مسرعة .

كانت ضيافة عجيبة ذات ضجيج ومع أطعمة كانت رائحتها
فحسب تجعل اللعاب يسيل فى فم المرء ، الديكة الرومية المحمرة

والسجاج المشوى ، والحملان المشوية ، وأنواع الأرز والخضار المطبوخ المتنوع والعديد والعديد من الأطعمة المتنوعة التي لم أكن أستطيع أن أفهم ما هي . وكل ما يشتهي قلبك من فاكهة كانت كثيرة لمقاة تحت الأيدي والأقدام .

وقف الجمل على رأس حمام السباحة وأسكت الجميع بإشارة من رأسه وعنقه وقال : - مرحبا بكم جميعا صغارا وكبارا ، نزلتم أهلا ، ولكن كنت أريد أن أسألكم من أجل من ولماذا أقمنا مثل هذه الوليمة باهظة التكليف؟

قال الحمار: - من أجل لطيف ، كنا نريد أن يأكل وجبة محترمة ولا تبقى في قلبه حسرة .

قال الدب من خلف المدفع الرشاش : الخلاصة أن لطيف يأتي كثيرا لرؤيتنا ولذلك نحبه جميعاً .

قال النمر: نعم بالطبع ، كما أنه يرغب فى أن تكون ملكا له ، فنحن أيضاً نشتهى أن تكون ملكا له .

قال الأسد :نعم ، فإن أولاد الأثرياء سرعان ما يملوننا فأبأؤهم يشتررون لهم يوميا لعب جديدة ، ثم إنهم يلعبون بنا مرة أو مرتين ويميلون منا ثم لا يأخذوننا للعب ثانية يهملوننا ونبقى ونتعفن وننتهى .

وتحدثت قائلاً : لو أن كل منكم أصبح ملكا لى ، أعدكم ألا أمل منكم أبد ، دائماً ألعب معكم ولا أترككم بمفرديكم .

قالت للعب فى صوت واحد : نعلم ذلك فنحن نعرفك جيداً ، ولكن لانستطيع أن نصبح ملكك، يبيعوننا بسعر غال .

ثم قال أحدهم : لا أظن أن دخل أبيتك لمدة شهر يكفى لشراء واحد منا .

أسكت الجمل الجميع مرة أخرى وقال : نعود لأصل الموضوع ، كل كلامكم جميعا ضجيج ، ولكننا أقمنا وليمة الليلة من أجل شيء آخر مهم لم تشيروا إليه .

وتحدثت مرة أخرى قائلا : أنا نفسى أعلم لماذا أتيتم بى إلى هنا !! حتى تقولوا لى أنظر ليس كل الناس مثلك أنت وأبيتك ينامون جوعى على طوار الشارع .

كان عدد من الرجال والنساء قد جلسوا حول المناضد ويأكلون بسرعة شديدة وكان من الواضح أنهم خدام المنزل وحشمه . وبدأت أنا أيضا فى الأكل ، وكان معدتى كانت مثقوية مهما أكلت لم أصبح شبعاً وكانت بطنى تفرقر مثل تلك الأوقات التى أكون فيها جائعاً جداً لدرجة أننى فكرت أنها مصيبة أن أكون أحلم ولذلك لا أشبع؟ حككت عينى بيدي ، كانتا مفتوحتين تماما . قلت لنفسى :-هل أنا نائم ؟ لا لست بالنائم ، الإنسان الذى ينام لا تكون عيناه مفتوحتين ولا يرى مكاناً ، إذن لماذا لا أشبع؟ لماذا لا أزال أظن أن بطنى تؤلنى ؟ والآن بينما كنت أطوف بالبناء وأتسس جدرانها والأحجار الثمينة فى جداره لا أعلم من أين كان يأتى التراب والغبار ويصطدم مباشرة بوجهى . الآن لابد أننى كنت فى السرداب حيث كنت أظن أن التراب والغبار من ذلك المكان ، وعلى أول درجة انحسر التراب والغبار فى أنفى وفمى بحيث غلبنى العطاس .

قلت لنفسى ماذا حدث ؟ أين أنا ؟
مكنسة الكناس مرت من أمام وجهى تماماً وألقت التراب والغبار
على وجهى .

قلت لنفسى : ماذا حدث ؟ أين أنا ؟ مصيبة أن أكون فى حلم؟
ولكننى لم اكن نائماً ، رأيت عربة اليد الخاصة بأبى، وبعدها سمعت
جلبة سيارات الأجرة ثم وقعت عينائى على ضوء المصباح الخافت
على العمارات حول الميدان .

إذن لم أكن نائماً ، كان الكناس قد مر من أمامى ولكنه كان يثير
التراب والغبار ويرسم خطوطاً على الطوار ويتقدم .
قلت لنفسى : رأيت كل ذلك فى النوم ؟ لا ! أجل رأيت فى النوم
لا لا لا ؟ لا!!

قال الأب : لست نائماً فلماذا تصرخ ؟ اصعد بجانبى.
صعدت ووضع أبى ساعده تحت رأسى لكن النوم لم يغلبنى، كانت
بطنى تؤلمنى ، فقد كانت بطنى قد التصقت بلوح ظهرى، ورأى أبى
أن النوم لم يغلبنى ، قال : تأخرت الليلة ، أنا أيضاً كنت متعباً
فنمت سريعاً .

قلت : - كانت سيارتان قد اصطدمتا ووقفت أُنْفِرَج فتأخرت .
ثم قلت : أبى هل يستطيع الجمل أن يتحدث ويطير؟
قال أبى : لا ، لا يستطيع .

قلت : - نعم ، ليس للجمل جناح .
قال أبى : ماذا بك يا ولدى ؟ عندما تستيقظ كل صباح تتحدث عن
الجمل .

قلت بينما كنت أفكر فى شئ آخر
 - الثراء شئ جيد ، أليس كذلك يا أبى؟ الإنسان يستطيع أن يأكل
 كل ما يشتهي وأن يملك ما يشتهي أليس كذلك يا أبى؟
 قال أبى : لا تجحد يا بنى ، الله يعلم جيدا من يجعله غنيا ومن يجعله
 فقيرا . كان أبى دائما يقول هذا الكلام .
 عندما طلع النهار حمل أبى حذاءه من تحت رأسه ولبسه، ثم نزلنا من
 فوق العربة . قال أبى : - بالأمس لم أستطع تصريف البطاطس فبقى
 أكثر من نصفها لدى .
 قلت : - كنت ترغب فى إحضار صنف آخر .
 لم يجب أبى . فتح قفل العجلة وأتى بجوالين مليئين وفرغهما فوق
 عربة اليد . وأخرجت الميزان والسنج وصفقتها ، ثم سرنا .
 قال أبى : لنذهب فنتناول حساء .
 كلما كان يقول أبى فى الصباح لنمضى ولنتناول حساء كنت أفهم
 أنه لم يتناول عشاء .
 كان الكناس قد خط خطوطا حتى وسط الشارع ، وأخذنا نمضى نحو
 منتزه المدينة (بارك شهر) وكان الرجل الشيخ بائع الحساء جالسا
 كعادته على حافة الجدول ظهره إلى وسط الشارع وقدر الحساء أمامه
 فوق موقد بفتيله يغلى . وأمامه ثلاثة من زبائنه من الرجال والنساء
 البائعين الجائلين يأكلون حساءهم من أطباق مصنوعة من الألونيوم،
 هم زوجة بائع اليانصيب مثل "زيور" بائع اليانصيب ومطاحتها فوق
 رأسها، كانت قد جلست القرفصاء وقد وضعت مجموعة أوراق
 اليانصيب بين بطنها وركبتيها وقد سحبت مطاحتها القذرة فوق
 ركبتيها .

وتبادل أبا السؤال عن الصحة مع الرجل الشيخ ، أكل كل منا طبقاً صغيراً من الحساء وقمنا . أعطاني والدي قرشين ، وقال : أنا ذاهب لأسرح ، فلتأت ظهراً في نفس المكان لتتناول طعام الغداء معاً .

أول من رأيته كان ابن زيور بائع اليا نصيب ، اعترض رجلاً وأخذ يقول : إشتري ورقة يا سيدي ، إن شاء الله ستكسب ، بالله يا سيدي إشتري .

تخلص الرجل من ابن زيور وذهب ، همس ابن زيور بوضع شتائم وكان يوشك على المضي حين نادى به وقلت : لم تستطع خداعه ! قال ابن زيور : كان نكداً ، وكأنه تشاجر مع زوجته .

وذهبنا معاً ، كان ابن زيور يعترض الناس بمجموعة من أوراق اليا نصيب تبلغ عشرة أو عشرين ورقة ولا يزال يكرر يا نصيب يا سيدي ؟ يا نصيب يا ست ؟

كان ابن زيور يأخذ من أمه قرشاً على كل ورقة يا نصيب يبيعها ، ولم يكن يبيع بمجرد أن يحصل على نفقاته ، فكان يذهب للعب والنزهة والشجار والسينما . كان أكثرنا نقوداً ، وكان من عادته في أوقات الظهر أن يخل إلى مجرى ماء (جاف) تحت جسر ويتمدد وينام لساعة أو لساعتين ، كان يستيقظ صباحاً قبل طلوع الشمس ، فيأخذ من أمه عشرة أو عشرين ورقة يا نصيب ويمضي حتى لا يفقد زبائن الصباح وحتى ينهي عمله قبل الظهر . لم يكن يرغب في أن يهدر فترة ما بعد الظهر عنده أيضاً في بيع اليا نصيب .

وحتى شارع "نادري" باع ابن زيور ثلاث ورقات ، عندما وصلنا هناك ، قال : يجب أن أبقى في هذه الأنحاء .

كان قليل من المحلات مفتوحة، وكان محل اللعب مغلقا، ولم يكن جملى قد جاء إلى جانب الطوار بعد ، ولم يطاوعنى قلبى أن أدق عليه الباب خشية أن أفسد عليه نومه فى الصباح . مررت وتقدمت وتقدمت ، كانت الشوارع مزدحمة بتلاميذ المدارس . وفى كل عرية تلميذ أو تلميذان ، كانوا قد جلسوا إلى جوار آبائهم وأمهاتهم ذاهبين إلى المدرسة .

هذا الوقت فى النهار كنت أستطيع فقط أن أجد "أحمد حسين" حتى أتخلص من الوحدة . وعبرت ثانية بضع شوارع حتى وصلت إلى شوارع لم يكن فيها ذرة من الدخان أو رائحة القذارة . والصغار والكبار جميعا كانوا يرتدون ثيابا نظيفة كانت وجوههم جميعا تلمع . وكانت البنات والنساء يتلألأن مثل الورد الملونة . وكانت المحلات والمنازل تبدو كالرايا تحت أشعة الشمس . كنت كلما مررت من هذه الأحياء أنخيل أننى جالس فى السينما أشاهد فيلماً ، لم أكن أستطيع أن أفهم أى نوع من الطعام يأكلونه فى منازل بهذا الارتفاع وبهذه النظافة ، وكيف ينامون وكيف يتحدثون وكيف يلبسون ، هل تستطيع بينك وبين نفسك أن تفهم كيف كنت تعيش فى بطن أمك؟ وهل تستطيع مثلاً أن تجسد أمام عينك كيف كنت تأكل الطعام داخل بطن أمك؟ طبعاً لا تستطيع ، أنا أيضاً كنت مثلك ، لم أكن أستطيع أصلاً أن أفكر فى هذا الموضوع .

وأمام أحد المحلات كان ثلاثة أولاد قد وقفوا والحقائب فى أيديهم يشاهدون الأشياء المعروضة خلف الزجاج ، ووقفت أنا أيضاً خلفهم ، كان عطر جميل يفوح من شعورهم المصففة ودون إرادة تنسمت قفا

أحدهم . والتف الأولاد وتفحصوني ثم ابتعدوا عني بعبوس واشمئزاز ومضوا ، وسمعت من بعيد أحدهم كان يقول : أى رائحة كريهة تفوح منه !

وجدت الفرصة فحسب أن أرى وجهى فى زجاج المحل ، كان شعر رأسى طويلا ومشعثا بحيث غطى أذنى ، وكأئننى كنت قد وضعت قلنسوة ذات شعر فوق رأسى ، كان ثوبى المصنوع من الدمور قد تلون بالقذارة والسواد ومن ياقته الممزقة كان يُشاهد بدنى الملفوح ، كانت قدمى حافية قدرة وكعياى مشققين ، وكنت أرغب من كل قلبى أن أحطم رؤوس أولاد الأعيان هؤلاء .

أكان ذنبهم أننى أعيش بهذا الشكل ؟

وخرج رجل من داخل المحل وبإشارة من يده زجرنى وقال : اذهب يا ولد ، مارلنا فى الصباح ولم نستفتح بعد لأعمليك شيئاً .

لم أحرك ساكنا كما لم أقل شيئاً . وزجرنى الرجل ثانية بإشارة من يده . وقال : هيا ! غرواذهب ، يا لها من وقاحة .

ولم أتحرك وقلت : لست شحاذا .

قال الرجل : العفويا سيدى الولد ، إذن فماذا تريد ؟

قلت : لا أريد شيئاً ، أنا أتفرج .

ومضيت ، ودخل الرجل المحل ، وكانت قطعة من القيشانى الأبيض تلمع داخل ماء الجدول ، ولم أنتظر طويلا حملت قطعة القيشانى ويكل قوة ساعدى طيرتها نحو الواجهة الزجاجية للمحل ، وأصدرت الواجهة صوتا وتحطمت ، وكان حملا ثقيلًا قد انزاح من فوق صدرى ، وحينذاك كأننى أقترضت قدمين فوق قدمى (وهات يا جبرى)

وأطلقت ساقى للريح ولا أدرى كم من الشوارع عبرت حين التقيت بـ "أحمد حسين" وفهمت أنني ابتعدت كثيراً عن المحل .

وكان "أحمد حسين" كالعادة يتسكع أمام مدرسة البنات الابتدائية ويتسول من السيارات التى كانت تنزل البنات الصغيرات . وفى الصباح الباكر كان هذا عمل "أحمد حسين" . والخلاصة لم أفهم مع من يعيش "أحمد حسين" لكن "قاسم" كان يقول إن "أحمد حسين" له جدة متسولة أيضاً ، ولم يكن "أحمد حسين" نفسه يتحدث .

وسرنا عندما دق جرس المدرسة وبخل التلاميذ الفصول ، قال "أحمد حسين" : - لم أكسب كثيراً اليوم ، الجميع يقولون ليس معنا عملات صغيرة (فكه) .

قلت : أين نريد أن نذهب ؟

قال أحمد حسين : نتسكع أيضاً .

قلت : لا يمكن هكذا ، نذهب ونجد "قاسم" ويشرب كل منا كويا من اللبن المخمر (المخيض) .

كان "قاسم" يبيع فى شارع الثلاثين كوب اللبن المخمر بقرش ، وكنا كلما ذهبنا لرؤيته يشرب كل منا كويا من اللبن بالمجان ، كان والد "قاسم" يتاجر فى الملابس القديمة فى شارع عبد الحمود ، القميص الواحد بخمسة عشر قرشاً والزوج من السراويل الداخلية بخمسة وعشرين قرشاً والسترة والسروال بسبعين أو ثمانين قرش . وكان محل عمل "قاسم" يلتقى فى انحناءه بشارع الحاج عبد الحمود ، وكان باب الشارع وحائطه وأرضه مليئة بالأشياء القديمة والمستهلكة ، كان أصحابها يقفون أمامها ينادون الزبائن . كان لوالد "قاسم" حانوت

صغير جدا ، كانوا ينامون فيه أيضاً ثلاثتهم هو زوجته و "قاسم" ، لم يكن لهم بيت آخر، وكانت والدة "قاسم" من الصباح حتى الليل تغسل الملابس الممزقة والقذرة التي كان والد "قاسم" يشتريها من هذا وذاك داخل الدكان أو في جدول شارع الثلاثين ثم تترقبها، كان شارع الحاج عبد الحمود ترايبا وليس به جدول ماء، ولم تكن سيارة تمر فيه قط .

وصلت أنا و "أحمد حسين" بعد ساعة أو ساعتين من المشى إلى محل عمل "قاسم" ولم يكن قاسم هناك . ذهبنا إلى شارع الحاج عبد الحمود ، قال والد "قاسم" : قاسم أخذ أمه إلى المستشفى . كانت دائما تعاني من ألم في ساقها أو في معدتها .

* * *

قبيل الظهر كنت أنا و "أحمد حسين" وابن "زيور" جالسين في شارع "نادري" على حافة الجدول بجوار الجمل نقرقز اللب ونتناقش بشأن ثمن الجمل ثم قررنا في النهاية أن ندخل المحل ونسأل البائع . وقال البائع ظلنا منه أننا متسولون ولما ندخل من الباب بعد : أخرجوا ليس معى عملة صغيرة .

قلت : لم تكن نريد نقودا ياسيدى ، بكم تبيعون الجمل ؟
وأشرت بيدي إلى الخارج ، قال صاحب المحل بدهشة : الجمل ؟
وقال " أحمد حسين " و "قاسم" من خلفى : نعم بالطبع ، بكم تبيعونه ؟

قال صاحب المحل : أخرجوا يا شطار ليس الجمل للبيع .
وخرجنا من المحل محبطين ، وكأنه لو كان للبيع كان لدينا هذا القدر

من النقود بحيث ندفعها ونأخذ بزمام الجمل ونسحبه، كان الجمل واقفا ثابتا فى مكانه ، كنا نظن أنه يستطيع أن يُركبنا ثلاثتنا ولا يحس بالتعب مثقال ذرة . كانت يد "أحمد حسين" تصل بصعوبة إلى بطن الجمل وكان ابن زيور يريد أيضاً أن يختبر يده إذ خرج البائع وأمسك بأذن "قاسم" وقال : - ألم تر أنه مكتوب عليه ممنوع اللمس ؟!

وأشار بيده إلى قطعة من الورق كانت مشبوكة بدبوس على صدر الجمل وكان مكتوباً عليها شئ . ولكن أحداً منا لم يفهم شيئاً ، وابتعدنا عن ذلك المكان وبدأنا فى قزقة اللب والمشى . وبعد قليل قال ابن زيور إن النوم يغلبه، ووجد مكانا خالياً وذهب إلى جدول الماء تحت جسر ونام . قلت أنا و"أحمد حسين" لنذهب إلى منتزه المدينة "بارك شهر". كان الجو حاراً خانقاً . كنا قد عرقنا عرقاً لا يوصف ، لم يكن أحداً يتحدث ، كنت أشتهى أن أكون عند أمى فى الحال، كنت أحس بالغربة بشكل فظيع .

على باب "بارك شهر" دفع "أحمد حسين" قرشين واشترى سندوتش بيض وتركه حتى اقضم منه قضة . ثم ذهبنا إلى المكان المعتاد داخل الجدول لنستحم ، وكان عدد آخر من الأطفال على بعد منا أيضاً يستحمون ويرشون وجوه بعضهم البعض ورؤوسهم بالماء، وتمددنا أنا و"أحمد حسين" فى الماء ساكتين وغسلنا رأسينا وجسدنا ولم يكن لنا شأن بهم . وجاء حارس الحديقة بجلبة نحونا وفررنا جميعاً، ومضينا وجلسنا فى ضوء الشمس فوق الرمل، وكنت أشكل أنا و"أحمد حسين" بالرمل جملاً . سمعت صوت أبى فوق رؤوسنا ،

تركنا "أحمد حسين" ومضى وذهبت أنا وأبى إلى حانوت بائع كبده
وتغذينا ، رأى أبى أننى لا أتكلم وغارق فى الفكر فقال : لطيف ، ماذا
حدث؟ أأأأأأ ؟
قلت : لا شئ .

ذهبنا وتمددنا تحت أشجار "بارك شهر" لننام ، رأى أبى أننى أنقلب
من هذا الجنب إلى ذاك الجنب ولا أستطيع النوم. قال : يا لطيف ،
هل تشاجرت؟ هل قال لك أحد شيئاً ؟ الخلاصة قل لى ماذا حدث .
لم يكن عنى فى الأصل استعداد للحديث . كنت استعذب إحساس
الأم دون كلام . كنت أأأأأ أن أسمع الآن صوت أمى وأشم
رائحتها واحتضنها وأقبلها . ومرة واحدة أجهشت بالبكاء وخبأت
رأسى فى صدر أبى ، ونهض أبى وجلس واحتضننى وتركنى أبكى
كما أأأأأ ، لكنى لم أقل شيئاً لأبى ثانية ، قلت فحسب أننى
أأأأأ أن أكون مع أمى ثم غلبى النوم. وحين فتحت عينى رأيت
أبى جالساً إلى رأسى وقد ضم ركبتيه وينظر إلى الناس ، فأمسكت
بقدمه وهزتها وقلت : أبى !

نظر أبى إلى وريت على شعرى بيديه وقال : استيقظت يا حبيبى؟
هزيت رأسى علامة الموافقة .

قال أبى : سوف نعود غداً إلى بلدتنا ، نذهب عند أمك ، إذا تيسر
عمل نقوم به هناك ونأكل لقمتنا وإن لم يتيسر ، لا تيسر ، مهما يكن
فأفضل مما نحن فيه من أن نبقى هنا مشردين يتامى ، ليكن هذا
أيضاً هناك .

فى الطريق ، من الحديقة إلى الموقف لم أكن أدرى هل أنا سعيد أولاً ،

لم يكن قلبي يطاوعنى أن ابتعد عن الجمل، ولو كنت استطيع لأخذته معى، ولم أشعربعدها بحزن قط .
 ذهبنا واشترينا تذكرة السفر، ثم سرنا ثانية فى الشوارع، كان أبى يريد أن يبيع عرية اليد الخاصة به حتى العصر بئى شكل من الأشكال، وكنت أرغب أن أرى الجمل وأشبع منه مرة أخرى، واتفقنا أن نلتقى ليلاً بالقرب من الموقف وننام ، لم يكن أبى يريد أن يتركنى وحدى ولكنى قلت له أننى أريد أن أذهب فأتنزله قليلاً ربما يستريح قلبى .

كان الوقت قبيل الغروب، لا أدرى كم ساعة كنت قد قضيتها واقفاً أشاهد الجمل . عندما رأيت سيارة مكشوفة تصل من الطريق وقفت بالقرب منى ومن الجمل ، وكان هناك رجل وطفلة نضرة ونظيفة جالسين داخل السيارة ، كانت عين البنت قد تركزت على الجمل وتضحك وهى سعيدة وحدثنى قلبى أنهما يريدان شراء الجمل وأخذه إلى منزلهما، وأمسكت البنت بيد أبيها تجره خارج السيارة وتقول سريعاً يا بابا ربما يأتى أحد آخرويشتريه .

كان الأب والبنت يريدان دخول المحل عندما أبصرانى أقف أمامهما وأسد الطريق، لا أدرى أية حالة انتابتنى هل كنت خائفاً ؟ هل كان البكاء يغلبنى؟ هل كنت حزيناُ لشيء ما ؟ لست أدرى أية حالة انتابتنى ، كل ما أدريه أننى وقفت أمام الأب والبنت وأخذت أقول بشكل رتيب ، سيدى ليس الجمل للبيع ، لقد قال لى هو نفسه فى الصباح صدقنى ليس للبيع .

وانتحي الرجل جانباً بشدة وقال : لماذا سددت الطريق يا ولد ، تنح جانباً .

ودخل كلاهما الحانوت وبدأ الرجل الحديث مع صاحب المحل وكانت البنت لا تفتأ تعود وتنظر إلى الجمل . كانت فى حالة سعيدة بحيث يظن المرء أنها لم تشعر طوال حياتها بذرة من الحزن ، وأنا كأن لسانى كان قد عقد ، وقدمائى تسمرتا وكنت واقفاً إلى الباب أسمح بنظرى داخل المحل القردة وصغار الجمال والدببة والأرانب، والأخرون أخذوا ينظرون إلى، وكنت أظن أن قلوبهم تحترق من أجلي .

أراد الأب والبنت أن يخرجوا من المحل، ومد الأب يده بعملة من فئة القرشين إلى فوضعت يديى خلف ظهري ونظرت إلى وجهه ، لأدرى بأى بشكل نظرت الى وجهه بحيث وضع القرشين سريعاً فى جيبه ومر . وفى ذلك الوقت أبعدنى صاحب المحل عن الباب وخرج إثنان من عمال المحل وذهبنا نحو الجمل، وكانت البنت قد ذهبت وجلست فى السيارة وهى تنظر إلى الجمل وتداعبه بعينيها وحاجبيها، وعندما رفع العاملان الجمل من الأرض أسرعى دون إرادة متقدماً وأمسكت بقدم الجمل وصرخت، الجمل ملكى ، إلى أين تحملونه؟ أنا لا أسمع .

قال أحد العمال : تنح جانباً أيها الولد، هل جننت ؟!

وسأل والد البنت صاحب الحانوت : هل هو شحاذ ؟

وكان الناس قد تجمعوا للمشاهدة ولم أكن لأترك قدم الجمل، وفى النهاية أضطر العمال إلى ترك الجمل على الأرض ليعدونى بالقوة، وسمعت صوت البنت من السيارة تقول لأبيها: بابا لا تتركه ثانية يلمسه .

وذهب الأب وجلس إلى عجلة القيادة ووضعوا الجمل خلف الأب والبنيت وأوشكت السيارة على الحركة عندما خلصت نفسها وأسّرت نحو السيارة وألصقت كلتا يدي بالسيارة وصرخت إلى أين تحملون جملى ؟! أريد جملى .

وأظن أن أحدا لم يسمع صوتي، وكأنني كنت قد صرت أخرس، ولم يكن صوتي يخرج من حلقى، وكنت أظن فقط أنني أصرخ، وتحركت السيارة وجذبني أحدهم من ظهري، وانزعجت يداي من السيارة، وسقطت على وجهي فوق أسفلت الشارع، ورفعت رأسي، ورأيت جملى لأخر مرة يبكي ويهز جرس رقبتة بغضب .

وسقط وجهي فوق الدم الذي كان قد نزف من أنفي، وضربت الأرض بقدمي وأجهشت بالبكاء . كنت أتمنى أن يكون المدفع الرشاش الموجود خلف الزجاج ملكا لي .

١٢ - السمكة السوداء الصغيرة

كانت ليلة في منتصف الصيف ، عندما جمعت السمكة العجوز في قاع البحر حولها إثني عشر ألفا من صغارها وأحفادها لتقص عليهم قصة ، وأخذت تقول :

كان يا ما كان ، كانت هناك سمكة صغيرة سوداء تعيش مع أمها في أحد الجداول . كان الجدول ينبع من الجدران الصخرية للجبل وينساب في قاع الوادي . وكان بيت السمكة الصغيرة وأمها خلف صخرة سوداء ، أسفل سقف من الطحالب ، وكانا ينامان ليلاً أسفل الطحالب . كانت قد بقيت في قلب السمكة الصغيرة أمانة غالية هي أن ترى ضوء القمر مرة ثانية في بيتها كما حدث من قبل .

ومن الصباح إلى المساء ، كانت الأم وابنتها كل في أثر الأخرى يمشيان مسرعين إلى مواضع ما ثم تعودان ، وأحياناً كانتا تختلطان بالأسماك الأخرى . كانت السمكة وحيدتها ، هي الوحيدة التي نجت من بين عشرة آلاف بيضة كانت الأم قد وضعتها .

كانت السمكة الصغيرة قد استغرقت في التفكير منذ عدة أيام وقد قل حديثها بشكل ملحوظ ، وأخذت تمضي بتكاسل وبلا حماس من موضع إلى آخر ثم تعود ، كما كانت تتخلف عن أمها معظم الوقت . وكانت الأم تظن أن طفلتها متوكة ، وسرعان ما تشفى . لكن - ولانطيل عليكم - فقد كان إنشغال السمكة السوداء بسبب شيء آخر . وذات يوم في الصباح الباكر ، وقبل أن تشرق الشمس ، أيقظت السمكة الصغيرة أمها وقالت : يا أمي ، أريد أن أتحدث معك قليلاً .

قالت الأم وهي ناعسة : وهل هذا وقته يا ابنتي العزيزة ؟ أجلى الكلام إلى وقت لاحق ، أليس من الأفضل أن نذهب للنزهة ؟

قالت السمكة الصغيرة : لا يا أمي ، لم أعد أستطيع النزهة ، لا بد أن أذهب من هنا. قالت الأم :

- أمن المؤكد أنك يجب أن تذهبي ؟ قالت السمكة الصغيرة :

- نعم يا أمي ، يجب أن أذهب . قالت أمها :

- إلى أين تريدان الذهاب في هذا الوقت المبكر؟

قالت السمكة السوداء الصغيرة :

- أريد أن أذهب لأكتشف نهاية الجدول ، تعلمين يا أمي أنني ومنذ عدة شهور وأنا مستغرقة في التفكير إلى أين ينتهي الجدول ، وإلى الآن لم أفهم شيئا ، ومنذ ليلة أمس وحتى الآن ، لم تغمض لي عين ، وأفكر في هذا الأمر ، الخلاصة لقد صممت على الذهاب بنفسني لأكتشف نهاية الجدول ، فضلا عن أن قلبي يشترق إلى معرفة ما يحدث في الأماكن الأخرى .

ضحكت الأم وقالت : عندما كنت صغيرة ، كانت تنتابني كثيرا مثل هذه الأفكار. في النهاية يا عزيزتي الجدول لا بداية له ولا نهاية ، فهو كما هو ، دائما ينساب ولا يصل إلى مكان قط .

قالت السمكة السوداء الصغيرة : أليس لكل شيء نهاية ؟ الليل والنهار ينتهيان ، وأيضا الأسبوع والشهر والسنة
وأثناء حديثها قاطعتها أمها قائلة :

- دعك من هذه الكلمات الكبيرة ، وانهضي لنذهب للتجوال ، فالآن وقته ، وليس وقت مثل هذه الكلمات .

قالت السمكة السوداء الصغيرة : - لا يا أمي ، لقد سئمت من هذه النزهات ، أريد أن أمضي وأذهب لأرى أماكن أخرى وما يحدث

فيها. ومن المحتمل أن تظنى أن هذا الكلام قد لقنه أحد للسمة الصغيرة. لكن إعلمي أنني من تلقاء نفسي أفكر في هذا منذ فترة طويلة. ولا شك أنني تعلمت أشياء كثيرة من هنا وهناك ، وفهمت مثلا أن أغلب الأسماك العجوز قد ضيعت حياتها بلا طائل وبلا إرادة ، ودائما تئن وتلعن وتشكو من الجميع ، وأريد أن أعلم حقا وصدقًا: هل تعني الحياة أن تذهبي إلى مكان ما ثم تعودى إلى أن تصيبك الشيخوخة ، ولا شيء سوى ذلك أو أنه يمكن العيش في الدنيا بشكل آخر؟

عندما انتهى كلام السمكة الصغيرة ، قالت أمها :
- يا ابنتى العزيزة ، هل فقدت رشذك ؟ الدنيا .. الدنيا !؟ عالم آخر يعنى ماذا ؟ الدنيا هي هذا المكان الذى نوجد فيه ، والحياة هي مانعيشها .

في هذا الوقت ، اقتربت سمكة كبيرة من منزلهم وقالت :
- أيتها الجارة ، لأى سبب تدخلين في نقار مع ابنتك ؟ كأنكم لا تفكرون اليوم في النزهة ؟

خرجت السمكة الأم على صوت جارقتها من البيت وقالت :
-عجبا على هذا الزمن ، الآن يريون الأبناء أن يعلموا أمهاتهم أشياء!!

قالت الجارة : - كيف ذلك ؟
قالت السمكة الأم : أنظرى هذه النصف شير.. إلى أين تريد أن تذهب ، دائما تقول أنها تريد أن تذهب لترى ما يحدث في الدنيا .. يالها من كلمات كبيرة !!

قالت الجارة : يا صغيرتي .. منذ متى أصبحت فيلسوفة وعالمة ولم تخبرينا ؟

قالت السمكة الصغيرة : أيتها السيدة ، لا أعلم لن تقولين عالمة وفيلسوفة ، أنا قد سئمت فحسب من هذا التجوال ، ولا أريد أن أوصل هذه الزهات التي لا طائل من ورائها ، وأسعد سعادة واهية ، وأفتح عيني فجأة لأجد أن الشيخوخة قد لحقتني مثلكم، ولا زلت نفس السمكة مغمضة العين والأذن التي كنتها ..

قالت الجارة : آه يا لها من كلمات !!

قالت أمها : لم أكن أعتقد أن طفلي الوحيدة تفاجئني بأن تكون هكذا ، لا أعلم أى شرير سم أفكار طفلي المدللة .

قالت السمكة الصغيرة : لا أحد يحرضني ، فأنا لي عقل ، وفهم ، ولي عيان أرى بهما .

قالت الجارة لأم السمكة الصغيرة : أختاه ، أتذكرين ذلك الحلزون المتلوى ؟

قالت الأم : نعم ، حسنا ما قلت ، فهو يلزم ابنتي كثيرا ، وأنا أقول يا إلهي ماذا بينه وبينها ..

قالت السمكة الصغيرة : كفى يا أمي ، كان صديقي .

قالت الأم : لم تكن قد سمعنا قط عن صداقة بين سمكة وحلزون .

قالت السمكة الصغيرة : وأنا أيضا لم أكن قد سمعت قط عن عداوة بين سمكة وحلزون ، ولكنكم طردتم ذلك المسكين .

قالت الجارة : هذا كلام قديم .

قالت السمكة الصغيرة : أنت نفسك التي طرحت هذا الكلام القديم .

قالت أمها : كان من الواجب قتله .. هل نسيت أى كلام كان يقوله عندما كان يجلس هنا وهناك ؟

قالت السمكة الصغيرة : أقتلوني أنا أيضا ، لأنني أقول نفس الكلام. مالي أصدعكم .. لقد أدى صوت الحوار بينهم إلى تجمع الأسماك الأخرى ، وكان كلام السمكة الصغيرة قد أغضب الجميع .

قالت إحدى السمكات العجائز : أظنن أننا سوف نرحمك ؟

قالت أخرى : إنها فقط في حاجة إلى تأديب بسيط .

قالت أم السمكة السوداء : ابتعدوا ، لا تلمسوا طفلي .

قالت سمكة منهم : يا سيدتى ، ما دمت لا تريين طفلك كما ينبغي ، فيجب أن ترى عاقبة ذلك .

قالت الجارة : إنني أحس بالخجل أنني أعيش إلى جوارك .

قالت أخرى : حتى لا يتطور أمرها إلى مالا يحمد عقباه ، نرسلها إلى الطلوزن العجوز.

عندما اقتربت الأسماك لتمسك بالسمكة الصغيرة السوداء ، التفت صديقاتها حولها وأخرجنها من الحلقة ، وأخذت أم السمكة السوداء تلطم رأسها ووجهها وتبكي وتقول:

-وأمصبتاه .. ماذا أفعل ، ابنتي تضيع من يدي .. أية مصيبة تحل برأسي.

قالت السمكة الصغيرة : لا تبكي يا أمي من أجلي ، بل ابك من أجل تلك الأسماك العجوز المسكينة .

صاحت إحدى الأسماك من بعيد قائلة : لا تشتمي يا نصف الشبر.

قالت أخرى : إذا ذهبت ثم ندمت، فلن نسمح لك بالعودة.

قالت ثالثة: هذا هو جنون الشباب، لاتذهبي.

قالت رابعة: ما عيب هذا المكان؟

قالت خامسة: ليس هناك عالم آخر، العالم هو ما نحن فيه، عودي.

قالت سادسة: إذا عاد عقلك وعدت، نصدق أنك حقاً سمكة عاقلة.

قالت سابعة: لقد اعتدنا في الحقيقة على رؤيتك.

قالت لأمرها: إرحميني، لا تذهبي... لا تذهبي.

لم يكن لدى السمكة الصغيرة ما تقوله لهم، ورافقها بعض صديقاتها اللاتي في عمرها حتى الشلال، وعدن.

عندما افترقت السمكة الصغيرة عنهن قالت: صديقاتي، أتمنى أن أراكن ثانية، لا تنسونني.

قالت صديقاتها: كيف ننساك وأنت قد أيقظتينا من نوم الغفلة، وعلمتينا أشياء لم يكن لدينا حتى الحق في أن نفكر فيها، لذكراك دائماً بخير أيتها الصديقة الجريئة الشجاعة.

هبطت السمكة الصغيرة من الشلال وسقطت في بركة مليئة بالمياه، في البداية فقدت توازنها. لكنها بعد ذلك بدأت في السباحة والتجوال في البركة حتى ذلك الوقت لم تكن قد رأت مثل تلك الكمية من الماء متجمعة في مكان واحد، وكانت آلاف من صغار الضفادع تتحرك كيفما اتفق في الماء، وما إن رأت السمكة الصغيرة السوداء حتى سخرت منها وقالت - أنظروا إلى هيئتها!! أي نوع من المخلوقات أنت؟

وتفحصتهم السمكة جيداً، وقالت:

- أرجوكم لا تهينوني ، إسمي السمكة الصغيرة السوداء ، فماذا تسمون ؟ قولوا لكي نتعارف .

قال أحد صغار الضفادع : ينادى كل منا الآخر ابوزنيمة ..

قال آخر : نحن أصحاب الأصالة والشرف .

قال آخر : ولا يوجد في الدنيا من هو أجمل منا .

قال آخر : نحن لسنا مثلك قبحاء ولا شكل لنا .

قالت السمكة : لم أتخيل قط أنكم على هذه الدرجة من الغرور .. ليكن

، فأنا أسامحكم، فأنتم تتحدثون بهذه الكلمات جهلاً .

صاح صغار الضفادع في صوت واحد : يعنى نحن جهلاء .. نحن

جهلاء؟

قالت السمكة : إن لم تكونوا جهلاء ، لعلمتم أنه يوجد في الدنيا

آخرون كثيرون ، أشكالهم تعجبهم ، وأنتم حتى أساؤكم ليست ملكا

لكم .

غضب صغار الضفادع بشدة ، لكنهم عندما رأوا أن السمكة الصغيرة

تقول الحق ، دخاوا من باب آخر ، وقالوا :

- إنك في الحقيقة تجاهدين بلا طائل ، فنحن يومياً نتجول من

الصباح حتى المساء

في الدنيا ، ولكننا لا نرى سوى أنفسنا وآباءنا وأمهاتنا وبعض

الديدان الضئيلة والتي لا تعد في الحساب .

قالت السمكة : أنتم لا تستطيعون الخروج من البركة ، فكيف

تحدثون عن الطواف بالدنيا ؟

قالت صغار الضفادع : هل هناك عالم آخر غير البركة ؟

قالت السمكة : ينبغي أن تفكروا على الأقل من أين يأتي هذا الماء ويصب هنا ، وماذا يوجد خارج هذا الماء .

قالت صغار الضفادع : أى مكان تعين بخارج الماء ؟ على كل حال ، نحن لم نر قط خارج الماء . وأخذوا يقهقهون .. ها ها .. معتوه أنت يا أختاه .. وضحكت السمكة السوداء الصغيرة أيضا ، وفكرت أنه من الأفضل أن تترك صغار الضفادع لحالها ، وتذهب ، ثم فكرت أنه من الأفضل أن تتحدث بكلمتين إلى أمهم ، فسألته قائلة :

- والآن ، أين أمكم ؟

وفجأة جعلها صوت غليظ لضفدعة تقفز من مكانها . كانت الضفدعة الأم قد جلست على حجر عند حافة البركة ، فقفزت في الماء ، وتقدمت من السمكة وقالت :

- أنا هنا ، أى خدمة ؟ قالت السمكة الصغيرة :

- سلاما أيتها السيدة الكبيرة . قالت الضفدعة الأم :

- يا له من موضع للتعالم ، مخلوقة عديمة الأصل سيئة النسب ، قمت بصيد الأولاد ولا تزالين تتحدثين إليهم بكلام كبير ، وقد عشت عمرا يكفي لي لأعلم أن الدنيا هي البركة فحسب . من الأفضل أن تذهبي إلى عملك ، ولا تفسدي أطفالا .

قالت السمكة الصغيرة : إن عشت مائة ضعف هذا العمر ، ستظلين ضفدعة جاهلة عاجزة ليس أكثر .

غضبت الضفدعة ، وقفزت نحو السمكة السوداء الصغيرة ، فتحركت السمكة حركة سريعة ومرقت مثل البرق ، وأصابها الطمي والطين والديدان في قاع البركة بالاضطراب .

كان الوادى مليئاً بالتعاريح والانحناءات ، كما تضاعف ماء الجدول،
لكن إذا أردت أن تنظر من فوق الجبال إلى قاع الوادى لرأيت الجدول
مثل خيط أبيض . كانت قطعة كبيرة من الصخر قد انفصلت عن
الجبل وسقطت في قاع الوادى وقسمت الماء إلى قسمين . وكانت
سحلية ضخمة بحجم كف اليد قد ألصقت بطنها بالصخرة ، وكانت
مستمتعة بحرارة الشمس وتتنظر إلى سرطان مستدير وضخم ، قد قبع
في قاع الماء فوق الرمال حيث كان عمق الماء أقل ، وانهمك في إلهام
ضفدعة كان قد صادها .

وقعت عين السمكة الصغيرة فجأة على السرطان فخافت ، وسلمت
عليه من بعيد ، ونظرت إليها السرطان بازدياد شديد ، وقال :
- يا لك من سمكة مؤدبة ، تقدمي يا صغيرة ، تقديمي .

قالت السمكة الصغيرة : أنا ذاهبة لأتجول في الدنيا ، كما أني
لا أريد أبدا أن أصبح صيدا لسعادتك .

قال السرطان : لماذا أنت خائفة ومتشائمة إلى هذا الحد أيتها
السمكة الصغيرة ؟

قالت السمكة الصغيرة : أنا لا خائفة ولا متشائمة ، لكن لسانى
يتحدث بما يمليه عليه عقلي وما أراه بعيني .

قال السرطان : حسنا ، تفضلي لأر ماذا رأيت عينك وماذا قال
عقلك حتى تعتقدى أنني أريد أن أصيدك ..

قالت السمكة : لا تحاول تنفيذ ما في نيتك ..

قال السرطان : تقصدين الضفدع ؟ أنت طفلة تماما يا عزيزتي ،
فبيني وبين الضفادع خصومة ، ولذا أصيدها ، تعلمين أنهم يظنون

أنهم المخلوقات الوحيدة في الدنيا ، وهم سعداء بهذا ، وأنا أريد أن أفهمهم أن الدنيا في الواقع في يد من ، فلا تخافي ثانية يا عزيزتي ، تقدمي ، تعالي ... قال السرطان هذا وأخذ يقترب من السمكة الصغيرة متسللا ، كان يمشي بطريقة مضحكة مما جعل السمكة تضحك بالرغم منها ، وقالت :

- أيها المسكين ، إنك حتى الآن لا تعرف كيف تمشي ، من أين لك أن تعلم في يد من تكون الدنيا ؟!

ابتعدت السمكة السوداء عن السرطان ، ووقع ظل على الماء ، وفجأة جاءت ضربة محكمة أسقطت السرطان فى الرمال ، وأخذت السحلية تضحك بشدة من شكل السرطان بحيث انزلقت قدمها وأوشكت على السقوط في الماء . ولم يستطع السرطان الخروج ثانية . رأت السمكة الصغيرة راعيها صبيها كان واقفا على حافة الماء ، وكان ينظر إليها وإلى السرطان ، وكان قطيع من الخراف والماعز قد اقترب من الماء ، وقد مدت أفواهها ، ملأ صوت الثغاء الوادئ .

انتظرت السمكة الصغيرة السوداء طويلا حتى انتهى القطيع من الشرب وذهب . وحينذاك نادى على السحلية وقالت :

- أيتها السحلية ، أنا السمكة الصغيرة السوداء ، ذاهبة لأكتشف نهاية الجدول ، وأظن أنك مخلوقة عاقلة وحكيمة ، لذلك أريد أن أسألك عن شيء ما ..

قالت السحلية : سلي عما تشاءين .

قالت السمكة : لقد خوفوني كثيرا في طريقي من البجعة وسمكة

المنشار وطائر النورس ، إذا كنت تعرفين شيئا عنهم فأخبريني .
 قالت السحلية : سمكة المنشار وطائر النورس لا يظهران في هذه
 الأنحاء ، وبخاصة أن سمكة المنشار تعيش في البحر ، ولكن من
 الممكن أن يكون البجع هنا ، فلا تنخدعي به ، فتقعين في كيسه .
 قالت السمكة : أى كيس ؟

قالت السحلية : للبعجة كيس تحت رقبتها يسع كثيرا من الماء ،
 وأحيانا وهي تسبح في الماء تدخل الأسماك كيسها دون إرادة منها ،
 ومن ثم تذهب إلى بطنها مباشرة ، ومما لاشك فيه أن البعجة عندما
 لا تكون جائعة ، تدخر الأسماك في نفس الكيس لتأكله في وقت
 آخر .

قالت السمكة : أما وقد دخلت سمكة الكيس ، ألا سبيل لها إلى الخروج ؟
 قالت السحلية : لا سبيل لها إلا أن تمزق الكيس . سوف أعطيك
 خنجرا ، فإن سقطت أسيرة للبعجة ، تقومين بهذا العمل
 ثم زحفت السحلية داخل شق في صخرة وعادت بخنجر صغير جدا .
 أخذت السمكة الصغيرة الخنجر وقالت

- أيتها السحلية العزيزة ، أنت عطوفة جدا ، لا أعلم كيف أشكرك .
 قالت السحلية : لا لزوم للشكريا عزيزتي ، فأنا لدى الكثير من هذه
 الخناجر ، عندما لا يكون لدى ما أفعله ، أجلس وأصنع الخناجر من
 نصال النباتات ، وأعطيتها للأسماك الحكيمة مثلك .

قالت السمكة : وهل مرت سمكة قبلي من هنا ؟
 قالت السحلية : مر الكثيرون ، وهم الآن قد شكلوا جماعة من
 أنفسهم ، ويسببون الضيق للصيد .

قالت السمكة السوداء : فلتسمحي لي فالكلام يجرب بعضه ، إن لم تعتبرى قولي هذا فضولا ، أخبريني كيف سببت الضيق للصيد ؟
قالت السحلية : الخلاصة أنهم متحدون ، ما إن يرمي الصيد شبكته ، فإنهم يدخلون الشبكة معا ويسحبونها ويحملونها معهم إلى قاع البحر .

وضعت السحلية أذننها على شق في صخرة وأصغت ثم قالت :
- عن إذنك ، فأطفالي قد استيقظوا .

ذهبت السحلية داخل شق الصخرة ، ولم يكن في وسع السمكة السوداء إلا الرحيل ، لكنها أخذت تسأل نفسها السؤال تلو السؤال :
لأرى حقا هل يصب الجدول في البحر؟ مصيبة أن تتمكن البجعة منى !! أحقل يطاوع سمكة المنشمار قلبها وتأكل من هم من جنسها؟! أى عداء لطيور النورس معنا ؟

ظلت السمكة الصغيرة في سيرها سابعة تفكر ، كانت ترى في كل شبر تخطوه جديدا وتتعلم ، وهي الآن سعيدة لأنها راحت تنشق قلب هابطة من مياه الشلال ، ثم تعاود السباحة ، وكانت تحس بحرارة الشمس فوق ظهرها ، فكانت تستمد منها القوة . وفجأة شاهدت غزالا يعب الماء بسرعة فحيته السمكة الصغيرة وقالت له :

- أيها الغزال الجميل ، لم هذه العجلة ؟

أجاب الغزال:الصيد يطاردني ،وقد أطلق علي رصاصة ، هذا أثرها ..
لم تر السمكة الصغيرة مكان الرصاصة ، لكنها فهمت من جرى الغزال وهو يعرج أنه صادق . وفي موضع ما كانت السلاحف تغفو تحت حرارة الشمس ، وفي موضع آخر كان هديل القطا يرن في الوادى .

وكان شذى الأعشاب الجبلية يتموج في الهواء ويمتزج بالماء .
وبعد الظهر وصلت إلى مكان كان الوادى يتسع فيه . وكانت المياه
توسط غابة ، وكانت المياه كثيرة جدا ، وكانت السمكة السوداء حقا
سعيدة بهذا . ثم التقت أيضا بأسمك كثيرة ومنذ ان كانت قد تركت
أمها لم تكن قد رأت سمكة ، والتفت عدة سمكات صغيرة حولها
وقالت : يبدو أنك غريبة ها ؟

قالت السمكة السوداء : نعم ، فانا غريبة ، جئت من مكان بعيد .

قالت الأسماك الصغيرة : أين تريد أن تذهبى ؟

قالت السمكة السوداء : أريد أن أذهب لاكتشف نهاية الجدول .

قالت الأسماك الصغيرة : أى جدول ؟

قالت السمكة الصغيرة : هو نفس الجدول الذى نسبح فيه .

قالت الأسماك الصغيرة : نحن نطلق على هذا نهر .

لم تقل السمكة السوداء شيئا . وقالت إحدى السمكات الصغيرات :

ألا تعلمين أن البجعة على رأس الطريق ؟

قالت السمكة السوداء : نعم أعلم .

قالت أخرى : وهل تعلمين أيضا أن للبجعة كيسا واسعا ؟

قالت السمكة السوداء : نعم أعلم ذلك أيضا .

قالت سمكة صغيرة : مع كل هذا ومازلت تريد أن تذهب ؟

قالت السمكة السوداء : نعم ، مهما يكن من أمر ، لابد أن أذهب .

وسرعان ما انتشر بين الأسماك خبر السمكة السوداء الصغيرة التى

كانت قد جاءت من بعيد وتريد أن تذهب لتكتشف نهاية النهر .

ولاتخشي أيضا من البجعة مطلقا . خطر لبعض السمكات الصغيرات

الذهاب معها ولكن لم تنبس خوفا من الكبار. وقال بعضهم : " لولم تكن البجعة هناك لاتينا معك ولكننا نخشى كيسها " .

كان هناك قرية على ضفة النهر ، وكانت نساء القرية وفتياتها يغسلن ملابسهن ومواعينهن راحت السمكة الصغيرة تنصت إلى ضجيجهن لفترة ، وشاهدت أيضا أطفالهم وهم يستحمون لفترة ثم ذهبت . وأخذت تسير وتسير حتى حل الليل ، وأوت إلى أسفل صخرة ونامت ، واستيقظت فى منتصف الليل فرأت أن ضوء القمر سقط فى الماء وأضاء كل مكان .

كانت السمكة الصغيرة السوداء تحب القمر كثيرا . ففى الليالى التى كان ينعكس القمر فيها على الماء ، كانت السمكة تحب أن تخرج من أسفل الطحالب وتتحدث معه ببضع كلمات . ولكن كل مرة كانت أمها تستيقظ وتسحبها تحت الطحالب وتنمىها مرة أخرى .

تقدمت السمكة الصغيرة من القمر وقالت : " سلاما يا قمرى الجميل " قال القمر : سلاما ، ايتها السمكة الصغيرة السوداء . أين أنت من هذا المكان ؟

قالت السمكة : أطوف حول العالم .

قال القمر : العالم كبير جدا وأنت لايمكنك الطواف فيه كله .

قالت السمكة : ليكن ، سأذهب إلى حيث أستطيع .

قال القمر : أريد أن أبقى أمامك حتى الصباح ، ولكن هناك سحابة سوداء كبيرة تتجه صوبى وسوف تحجب ضوءى .

قالت السمكة : أيتها القمر الجميل ، أنا أحب ضوءك كثيرا ، وأريده أن يشع على دائما .

قال القمر: أيتها السمكة العزيزة، فى الحقيقة أنا لأملك ضوءاً،
فالشمس تعطينى الضوء، وأنا بدورى أعكسه على الأرض. حقا ألم
تسمعى قط أن البشر فى خلال بضعة سنوات قادمة قد يملأوا ويحيطوا
على سطحى.

قالت السمكة: هذا غير ممكن.

قال القمر: إنه عمل صعب للغاية، ولكن البشر كل ما يرغبون فيه
لم يستطع القمر ان يتم كلامه لأن سحابة السوداء وصلت وغطت
وجهه. وأظلم الليل مرة أخرى. وظلت السمكة السوداء بمفردها تماماً
ولبضع دقائق حدقت فى الظلمة وهى مبهوته ومتحيرة ثم زحفت
أسفل الصخرة ونامت.

استيقظت مبكرة، فرأت أعلى رأسها عدة سمكات صغيرات كن
يتحدثن مع بعضهن همسا وما أن رأين السمكة السوداء تستيقظ
حتى صحن معاً قائلات:
صباح الخير.

وسرعان ما عرفتهم السمكة السوداء وقالت: صباح الخير، فى النهاية
تبعتمونى

قالت إحداهن: نعم، ولكن الآن لم ينته خوفنا.

قالت أخرى: التفكير فى البجعة يؤرقنا.

قالت السمكة السوداء: أنتم تفكرون كثيراً. لا ينبغي أن تفكروا طوال
الوقت، بمجرد أن نبدأ السير يزول خوفنا تماماً.

ولكن عندما أرادوا السير رأوا أن الماء من حولهم إرتفع ووضع غطاء
فوق رؤوسهن وأصبح المكان مظلماً تماماً ولا مجال للهروب أيضاً.

فأدركت السمكة السوداء فوراً انهن قد وقعن فى كيس البجعة .
 قالت السمكة السوداء : يا أصدقاء لقد وقعنا فى كيس البجعة ، ولكن
 طريق الفرار لم يغلق تماماً .

شرعت السمكات الصغيرات فى البكاء والنحيب ، قالت إحداهن :
 ليس أمامنا طريق للفرار . فهذا تقصير منك ، فأنت التى أغويتنا
 وضللتنا .

قالت أخرى : الآن ستبتلعنا جميعاً وينتهى أمرنا .
 فجأة دوت ضحكة مخيفة فى الماء . كانت هذه هى البجعة تضحك
 وتقول : يا لها من سمكات صغيرة كثيرة حصلت عليها ، هاها هاها ...
 أننى أشفق عليكم حقاً ولا يطاوعنى قلبى على ابتلاعكم ها !! هاها
 هاهاها .

أخذت السمكات الصغيرة تتوسلن وقلن : يا صاحبة السيادة البجعة
 لقد سمعنا الثناء عليك منذ وقت طويل ، وإذا تفضلت فلتفتحي
 منقارك المبارك قليلاً كي نخرج ، وسوف نشكرك وندعوك دائماً!
 قالت البجعة : اننى لأريد أن أبتلعكم الآن ، فلى سمك فائض ،
 أنظرن أسفل بطونكن

كانت بعض السمكات الصغيرة والكبيرة ملقاة أسفل الكيس . قالت
 السمكات الصغيرة : يا صاحبة السعادة أيتها البجعة ، إننا لم نفعل
 شيئاً ، نحن أبرياء . هذه السمكة الصغيرة السوداء هى التى
 أغويتنا.....

قالت السمكة الصغيرة : أيتها الجبانات ، هل تعتقدن أن هذا الطائر
 المحتال هو معدن العطاء بحيث تلتمسن منه هكذا .

قالت السمكات الصغيرة : ألا تفهمين ماتقولين ؟. الآن ترين كيف أن
حضرة سيادة البجعة ستعفوننا وتبتلعك أنت !!!!
قالت البجعة : نعم ، أعفونكن ولكن بشرط واحد .
قالت السمكات الصغيرات : تفضلى أُملى شرطك يا صاحبة السعادة.
قالت البجعة : أحنقوا هذه السمكة الفضولية حتى تظفروا بحريتك.
نحت السمكة الصغيرة السوداء نفسها جانباً وقالت للسمكات
للصغيرات : لاتقبلن، هذا الطائر المحتال يريد أن نتشاجر معا ... لدى
خطة..... .

لكن السمكات الصغيرات كن يفكرن فى خلاصهن بحيث لم يفكرن
فى شيء آخر

وهجمن على السمكة الصغيرة السوداء، فأخذت تتراجع نحو أسفل
الكيس وهى تقول بهدوء : أيتها الجبانات ، على كل حال لقد وقعن ،
وليس لكن طريق للفرار ، ولا قدرة لكن على .

قالت السمكات الصغيرة : لابد أن نحنقك ، نريد حريتنا .

قالت السمكة السوداء : هل جننن ؟ إذا خنقننى فلن نجدن طريق
الفرار، لا تخدعن البجعة .

قالت السمكات الصغيرات : تقولين هذا الكلام لتخليص نفسك ،
والأفأنت فى الأصل لا تفكرين فىنا .

قالت السمكة السوداء : إذا أنصتن سأدلكن على حل ، سأنظاها
بالموت وسط الأسماك الميتة ، ولنر عندئذ هل ستطلق البجعة سرا
حكن أولا ، وإذا لم تقبلن كلامي ، أقتلكن بهذا الخنجر وأخلصكن
وأخلص نفسي

قاطعتها إحدى السمكات وصاحت : كفى ، لا أتحمل هذا الكلام ..
أوهو.. أوهو...أوهو

عندما رأتها السمكة السوداء تبكي قالت : أيتها الطفلة المدللة ، لماذا
اصطحبتموها معكم ؟

ثم أخرجت خنجرها وشهرته أمام السمكات الصغيرات ، فقبلت
التعسات اقتراح السمكة السوداء الصغيرة ، وتظاهروا كذبا بشجار
فيما بينهم ، كما تظاهرت السمكة السوداء بالموت ، وصعدت
الأخريات وقلن :

- يا حضرة البجعة ، خنقنا السمكة السوداء الفضولية
ضحكت البجعة وقالت : حسنا فعلن ، والآن مكافأة لهذا العمل ،
سأبتلعن وأنتن حيات لتقمن برحلة طيبة في بطنى .
لم يعد أمام السمكات الصغيرات أى فرصة ، وعبرن حلقوم البجعة
بسرعة البرق ، وانتهى أمرهن .

أما السمكة السوداء فقد سحبت خنجرها فى نفس الوقت، وبضربة
واحدة مزقت جدار الكيس، وخرجت وصرخت البجعة من شدة الألم ،
ودقت رأسها فى الماء ولكنها لم تستطع مطاردة السمكة الصغيرة .

ظلت السمكة السوداء تسبح وتسبح دون توقف حتى الظهيرة. الآن
كان الجبل قد اختفى وكذلك الوادى . وكان النهر يعبر خلال سهل
منبسط . وكانت عدة أنهار صغيرة قد أتصلت به من يمين ومن يسار
وتضاعفت كمية الماء . وكانت السمكة السوداء تستمتع بكثرة المياه .
ثم أفافت فجأة ورأت أنه ليس للماء قاع ، ذهبت هنا وهناك ولكنها

لم تصطدم بشيء . كانت المياه غزيرة لدرجة أن السمكة الصغيرة تاهت فيها ، وسبحت بقدر ما اشتبهت لكن رأسها لم تصطدم بمكان . وفجأة رأت حيوانا طويلا ضخما ينقض طرفها بسرعة البرق ، وكان منشار ذو حدين يتقدم فمه . واعتقدت السمكة الصغيرة أن سمكة المنشار سوف تمزقها إربا في نفس اللحظة . وتحركت بسرعة وجمعت نفسها ، وارتفعت قريبا من سطح الماء ، ثم بعد فترة نزلت أسفل الماء مرة أخرى لرؤية قاع البحر . وألتقت في وسط الطريق بمجموعة من الأسماك ، آلاف آلاف الأسماك ! فسألت إحدى الأسماك قائلة : " أيتها الرفيقة ، أنا غريبة ، جئت من طرق بعيدة ، أين نحن ؟ "

نادت السمكة على رفيقاتها وقالت : " أنظرن .. واحدة أخرى " ثم قالت للسمكة السوداء : أيتها الرفيقة ، مرحبا بك في البحر . " قالت واحدة أخرى من السمكات : كل الأنهار والجداول تصب هنا ، ومما لا شك فيه أن بعضها يغوص في المستنقع .

قالت أخرى : يمكنك الانضمام إلى مجموعتنا في أى وقت تشائين . كانت السمكة الصغيرة السوداء سعيدة لأنها قد وصلت إلى البحر . فقالت : من الأفضل أولا أن أتجول ثم أجيء بعد ذلك وأنضم إلى مجموعتك ، فأنا أرغب أن أكون هذه المرة بصحبتك وأنن تسحبني شبكة الصياد .

قالت إحدى السمكات : ستحققين رغبتك سريعا ، الآن إذهبي وقومي بجولتك ، ولكن كوني حذرة من النورس إذا صعدت إلى سطح الماء ،

لأنه في هذه الأيام لا يخشى أحدا ، وكل يوم لا ينصرف ما لم يصد أربع أو خمس سمكات منا .

في ذلك الوقت تركت السمكة السوداء مجموعة أسماك البحر ، وأخذت في السباحة . ويعد قليل صعدت إلى سطح البحر ، كانت الشمس دافئة ساطعة ، فكانت السمكة الصغيرة السوداء تحس بحرارتها الشديدة على ظهرها ، وكانت تقول لنفسها :

يمكن للموت الآن أن يتجه صوبي بسهولة ، لكن ما دمت أستطيع الحياة ، فعلى ألا أذهب لاستقبال الموت ، ولا جدال لواضطرت لمواجهة الموت في وقت ما ، ليس يهم ماذا سأصبح ، المهم أى أثر يكون لحياتي أو موتي في حياة الآخرين

لم تستطع السمكة الصغيرة السوداء أن تمضي في أثر أفكارها وخيالاتها أكثر من ذلك إذ جاء النورس ورفعها وحملها . حاولت السمكة الصغيرة تخليص نفسها من بين منقار النورس ، لكنها لم تستطع ، فقد قبض النورس على خصرها بشدة كادت تزهرق روحها .. وفي النهاية كم يمكن لسمكة صغيرة أن تبقى حية خارج الماء ؟! .. فكرت السمكة : ليت النورس يبتلعها في الحال ، حتى يحول الماء الرطب داخل بطنه دون موتها بضع دقائق على الأقل .. وعلى هذا الأساس قالت للنورس : لماذا لا تبتلعني حية ؟ فأنا من ذلك الصنف من السمك الذى يصبح لحمه ساما بعد الموت

وفكر النورس دون أن يقول شيئا : أيتها الماكرة ... ترى ماذا وراؤك؟ مصيبة أن تريدنى دفعي إلى الكلام حتى تخرجني .

وكان الشاطيء يبدو واضحا من بعيد ، وأصبح أكثر قريبا ، وفكرت السمكة الصغيرة : إذا وصلنا إلى اليابسة فقد انتهيت . فكان أن قالت :

- أعرف أنك تريد أن تأخذني لأطفالك ، لكن إلى أن نصل إلى الشاطيء سأكون ميتة ، وقد يصبح جسدى كيسا من السم ، فلماذا لاترحم أطفالك ؟

فكر النورس : الاحتياط واجب ، تكوينين لي وأصطاد سمكة أخرى لأطفالي ، لكن لأر ..

هل هناك خدمة في الأمر ؟ لا .. إنك لا تستطيعين عمل شيء .. بينما كان النورس يفكر في هذه الأمور ، رأى جسد السمكة السوداء قد شل وبقي بلا حراك ، ففكر بينه وبين نفسه : يعني ماتت ، الآن أنا نفسي لا أستطيع أن أكلها أيضا ، لماذا خسرت سمكة بهذه الليونة واللذة ؟

وكان أن نادى السمكة السوداء وأخذ يقول : أيتها الصغيرة أما زال بك حتى الآن بعض الروح حتى أستطيع أن أأكلك ؟

لكنه لم يستطع أن ينهي كلامه ، لأنه ما إن فتح منقاره حتى قفزت السمكة السوداء وسقطت ، ورأى النورس أنه خدع ، فبدأ فى مطاردة السمكة الصغيرة السوداء أخذت السمكة تتشقلب كالبرق فى الهواء ، وكانت السمكة فاقدة الوعي من شدة اشتياقها إلى ماء البحر فأسلمت فمها اليايس إلى رياح البحر الرطبه . ولكن ما إن وصلت السمكة داخل الماء وتنفست من جديد حتى وصل النورس مثل البرق ، وهذه المرة اصطادها بسرعة ، وابتلعها بحيث ظلت السمكة فترة لاتعى

ماحل بها من بلاء كانت فقط تحس أن المكان كله رطب ومظلم ولا طريق . وكان صوت بكاء يأتى ، وعندما اعتادت عيناها على الظلمة رأت سمكة صغيرة جدا ، كانت قابعة فى زاوية وهى تبكى وتنادى على أمها . اقتربت منها السمكة السوداء وقالت : أيتها الصغيرة .. انهضى وفكرى فى حل ، يعنى ماذا البكاء والنداء على أمك ؟

قالت السمكة الصغيرة : من تكونين أنت الأخرى ؟ ألا ترينأن..... تهى.....؟ أهىأهى أهى أمى أمىلم أستطع ثانية أن آتى معك وأسحب شبكة الصيد إلى قاع البحرأهى ...أهى!!!!

قالت السمكة الصغيرة السوداء : كفاك يابنيه ، ضيعت كرامة كل الأسماكعندما توقفت السمكة الصغيرة عن البكاء ، قالت السمكة الصغيرة السوداء : أريد أن أقتل النورس وأريح السمك منه . ولكن يجب بداية أن أخرجك ، حتى لاتقومى بعمل فاضح .

قالت السمكة الصغيرة : أنت نفسك تموتين ، فكيف تريدين أن تقتلى النورس ؟

أشارت السمكة الصغيرة السوداء إلى خنجرها وقالت : سأمزق بطنه من الداخل ، الآن اسمعى ماذا سأقول . أنا سأبدأ بالرواح والغدو والذهاب هنا وهناك وذلك سوف يدغدغه فيفتح منقاره ويبدا فى الضحك وتسرعين أنت إلى الخارج .

قالت السمكة الصغيرة : وماذا عنك أنت ؟

قالت السمكة الصغيرة السوداء : لاتفكرى فى . أنا إن لم أقتل هذا الشرير لن أخرج .

قالت السمكة السوداء هذا ويدأت فى الرواح والغدو والذهاب هنا وهناك ودغدغت بطن النورس وكانت السمكة الصغيرة واقفة عند فم معدة النورس مستعدة . ما إن فتح النورس منقاره وشرع فى الضحك والهقهقه حتى قفزت السمكة الصغيرة من فمه وهربت وبعد قليل سقطت فى الماء ولكنها ظلت منتظرة ولم يكن هناك خبر عن السمكة السوداء . فجأة رأت النورس قد أخذ يتلوى ويصرخ . وما أن بدأ الرفرقة والسقوط حتى سقط فى الماء محدثا صوتا وعاد يرفرف مرة أخرى حتى سكت تماما عن الحركة . ولكن لم يكن هناك خبر عن السمكة الصغيرة السوداء بل ولا خبر عنها حتى الآن .

أنهت الجدة قصتها وقالت لأولادها وحفدتها الإثنى عشر ألفا : حان وقت النوم ، أيها الأطفال ، اذهبوا لتناموا .

قال الأولاد والأحفاد : يا جدتنا لم تخبرينا ماذا حدث للسمكة الصغيرة ؟

قالت السمكة العجوز لتبقى بقية قصتها إلى ليلة الغد . الآن حان وقت النوم ، تصبحون على خير .

قال إحدى عشرة ألف وتسعمائة وتسع وتسعون سمكة صغيرة : تصبحين على خير . وذهبن وشن .

ونامت الجدة أيضا ، ولكن سمكة صغيرة حمراء لم يغلبها النوم مهما فعلت ، وظلت تفكر فى البحر طوال الليل وحتى الصباح .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تصدير
٩	مقدمة المترجمة
٣٧	١ - أولدوز والدمية المتحدثة
٩٧	٢ - أولدوز والغربان
١٦٣	٣ - الأقرع اللاعب بالحمام
١٨٥	٤ - الصبى بائع البنجر المسلوق
١٩٧	٥ - سيرة حبة الثلج
٢٠٣	٦ - العجوز ودجاجتها الذهبية
٢١١	٧ - قطتان فوق الجدار
٢١٧	٨ - دومرول المجنون
٢٣٣	٩ - أسطورة الحب
٢٦١	١٠ - خوخة وألف خوخة
٢٩٣	١١ - أربع وعشرون ساعة من القلق
٣٢٣	١٢ - السمكة السوداء الصغيرة

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٧/٤٥٢٧

الترقيم الدولي
I.S.B.N.
977 - 235 - 966 - 9

مطالع الاعتراف بكونه رئيسا

أهم ما يتميز من أعمال صمد حقيقة تلك المجموعة من القصص التي كتبها للأطفال وعن الأطفال ، ومن خلالها ولج إلى حياة الكبار ومشاكلهم في مرحلة تعد من أعقد مراحل التاريخ الإيراني المعاصر ، ورغم عمره القصير ، اعتبر واحدا من بناء الفكر الشيوعي الإيراني المعاصر ، وترجمت مجموعات من قصصه إلى لغات أوروبية عديدة من أهمها الإنجليزية والفرنسية ، وكتب عنه دراسات نقدية عديدة ، وفازت بعض أفلام الأطفال التي أخذت عن قصته « السمكة السوداء الصغيرة » بجوائز أولى في مهرجانات عالمية لسينما الأطفال .



Bibliotheca Alexandrina



0212984